الحجاز في الكتابات الجغرافية
حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

إعداد
سلطانة ملاح مويشي الرويلي

المشرف
الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠١٣

نموذج ترخيص

أنا الطالب : سلطانة صلاح موسى الرويلي أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

الحجاز في الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: سلطانة صلاح موسى الرويلي

التوقيـــع:

التاريـــخ: ١٩/٥/٢٠١٢

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (الحجاز في الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٢.

أعضاء لجنة المناقشـــــــــة .	التوقيـــــــــــــع
الدكتور محمد عبد القادر خريسات، مشرفاً أستاذ ــ تاريخ إسلامي	....
الدكتور كايد عثمان أبو صبحة، عضواً أستاذ ـ جغرافية المدن والسكان	....
الدكتور يوسف أحمد بني ياسين، عضواً أستاذ مشارك ــ تاريخ إسلامي	....
الدكتور زريف مرزوق المعايطة ،عضواً أستاذ ــ التاريخ الإسلامي (جامعة مؤته)	.... د. يوسف بني ياسين رئيس قسم التاريخ

الإهداء

إلى زوجي العزيز لاحم العبد الله اللاحم

رفيق دربي وسندي على مر السنين

من أعانني على إكمال وتحقيق هذا الحلم الذي أصبح حقيقة والذي شاركني مصاعب الترحال والسفر والإغتراب

(أهدي إليك ثمرة جهدي)

شكر وتقدير

إلى جامعتي الجامعة الأردنية هذا الصرح العلمي الذي
نهلنا منه علماً ومعرفة
إلى الهيئة التعليمية الفاضلة في قسم التاريخ
وأخص بكل الشكر والتقدير المربي الفاضل الأستاذ
الدكتور محمد عبد القادر خريسات
وإلى اللجنة الكريمة التي تفضلت بقبول مناقشتي وإبداء
الملاحظات القيمة على هذه الدراسة
لكم مني جزيل الشكر مع الود

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

الكتابات الجغرافية عن الحجاز حتى القرن الرابع الهجري

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والفكرية في الحجاز

من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الفصل الخامس
المراكز الحضرية (العمرانية) في الحجاز
من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

فهرس الملاحق

قائمة الاختصارات

الرمز	المدلول
ت	توفي
د.ت	دون تاريخ نشر
د.ن	دون ناشر
ص	صفحة
ع	عدد
ج	جزء
مج	مجلد
ط	طبعة
ق	قسم، وإذا ارتبطت بتاريخ فتدل على القرن
م	ميلادي، وإذا ارتبطت بمقياس فتعني متر
هـ	هجري
كم	كيلو متر
p	Page
pp	Page to page

الحجاز في الكتابات الجغرافية

حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

إعداد

سلطانة ملاح مويشي الرويلي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

مـــــلخـــــص

تناولت الدراسة إقليم الحجاز والذي يمثل أحد أقسام الجزيرة العربية، وحظي باهتمام كبير لدى الجغرافيين العرب والمسلمين، فألفوا فيه الكتب والرسائل، وبحثوا في مواضعه والطرق الموصلة إليه من الجهات الأربع، وذكروا ما امتاز به هذا الإقليم عن غيره، لحاجة الناس إلى معرفة ذلك خصوصاً مع رغبة عموم المسلمين لزيارته من أجل أداء فريضة الحج أو آداء العمرة وزيارة المعالم الدينية أو للالتقاء بالعلماء والمحدثين والأخذ عنهم، وذلك في القرون الأربعة الأولى من التاريخ الإسلامي.

وقد هدفت الدراسة إلى التعريف بإقليم الحجاز وتحديد الإطار الجغرافي له وبيان حدوده الإدارية والمدن والقرى التابعة له، وإبراز مكانته لدى عموم المسلمين، ودراسة الحياة الاجتماعية، ورصد القبائل التي استقرت فيه، وإظهار مقوّماته الاقتصادية: زراعية وصناعية وتجارية، وبيان الحالة التي كان عليها إقليم الحجاز في الجوانب الحضارية والعلمية والعمرانية، ومدى تطور هذه الجوانب خلال فترة الدراسة.

ولتحقيق هذا عمدت الباحثة إلى تتبع الإفادات الجغرافية والتاريخية التي أوردتها المصادر حول هذه الجوانب، وجمع الروايات والمعلومات من المصادر الأولية، ثم دراسة النصوص والمعلومات وتحليلها ونقدها، واستخلاص الصورة التي كان عليها الإقليم في تلك الحقبة.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج لعل من أهمها أنها استطاعت رسم حدود الإقليم خصوصاً مع الاختلاف الكبير الحاصل بين الجغرافيين العرب والمسلمين في ذكرهم لحدوده من جهة الشمال والشرق والجنوب، واختلافهم في ذكر النواحي التابعة له.

وتناولت الدراسة الكتابات الجغرافية عن الحجاز حتى القرن الرابع الهجري.. وحصرت أسماء الجغرافيين من العرب والمسلمين ممن كتبوا عن الحجاز واهتموا بالتأليف والكتابة عنه من طبقة أهل الأدب واللغة، والمؤرخين وكتب الطبقات، وكتب الأنساب والتراجم وكتب المغازي واليسر.

وبينت الدراسة أهمية الحجاز من النواحي الاقتصادية من خلال بيان الثروة الزراعية التي احتوى عليها، وما نبتت فيه من الأشجار والزراعة الحقلية والثروة الحيوانية، والصناعات التي كانت تقام فيه، وظهر أن أهم نشاط اقتصادي في الحجاز هو التجارة المرتبطة بالحج وآداء العمرة، وسبب ذلك كثرة الزائرين له فيحملون معهم بعض البضائع، ويشترون منه أخرى، إضافة إلى موقعه الجغرافي على البحر الأحمر، ومرور الطرق التجارية من خلال مدنه وقراه.

وبينت الدراسة أيضاً الحياة الاجتماعية والفكرية في تلك الفترة الزمنية، فدرست القبائل التي استوطنت إقليم الحجاز قبل الإسلام وبعده، وأحوالها الاجتماعية ومساكنها والحياة الدينية والمعارف والعلوم والعلماء..

وتناولت الدراسة أهم المراكز الحضارية في الحجاز في تلك الفترة فاستعرضت أهم المدن والقرى والحواضر والمواضع الحجازية التي كانت عامرة ومشهورة خلال القرون الأربعة الأولى من قيام الدولة الإسلامية، مع بيان ما وصفت به وامتازت وفق ما جاء وارد في كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين وكتب التاريخ.

المقدمة

يهدف دراسة موضوع الحجاز في الكتابات الجغرافية التاريخية خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى إلى إضافة مادة جديدة متكاملة في بابها، إذ أنه لم يسبق أن دُرس هذا الموضوع بشكل كامل ولم يطرق إليه بهذه الصورة، وإنما هنالك دراسات تناولت مواضيع مختلفة للحجاز دون التطرق للكتابات الجغرافية عن الحجاز خلال هذه الفترة.

وتبدو أهمية هذا الموضوع أيضاً في إضافة مادة جغرافية جديدة عن الحجاز جنباً إلى جنب المادة التاريخية ليكونا كلاً متكاملاً وثيقاً في باب واحد وهو (الحجاز في الكتابات الجغرافية التاريخية حتى القرن الرابع الهجري).

وقد ارتكزت هذه الدراسة على ما دونه الجغرافيون العرب والمسلمون خلال القرون الأربعة الأولى وما وصلنا من مؤلفاتهم، أو من خلال بقايا النصوص التي حفظها لنا الجغرافيون المتأخرون عن الجغرافيين الذين سبقوهم، أمثال ياقوت الحموي وأبي الفداء وغيرهما من الجغرافيين العرب، في محاولة لرسم صورة الحجاز خلال تلك الفترة الزمنية، ومع ذلك، فإن الدراسة لم تغفل المصادر التاريخية المباشرة وكتب التراجم والأنساب والمغازي ودواوين الشعر والأدب.

ولقد تناولت هذه الدراسة عدة أمور جوهرية منها:

الفصل الأول: تناولت في الفصل الأول الإطار الجغرافي للحجاز من خلال الكتابات الجغرافية فبحثت في سبب تسمية إقليم الحجاز بهذا الاسم، وأوردت مختلف الآراء التي قدمها الجغرافيون في ذلك، وتناولت أيضاً حدود الحجاز وتضاريسه من سهول وحرار وجبال وهضاب وأودية وما فيه من مصادر مائية، كما تناولت مناخ هذا الإقليم وأحواله من حيث الحرارة والرياح والأمطار وقد يبدو للبعض أنه ليس هناك من جديد في بعض الأمور، لكن هناك إشارات واضحة وكبيرة الجغرافيين العرب والمسلمين في ذكرهم لبعض التغيرات لاسيما المناخية منها، أو ذكر ينابيع المياه وجفافها.

أما الحدود الإدارية فقد أدى تغيرها إلى ارتباك بعض الجغرافيين في تعيين حدود الحجاز، ومع ذلك فقد حاولت رسم صورة لهذه الحدود خلال فترة الدراسة.

أما الفصل الثاني فيتحدث عن الكتابات الجغرافية عن الحجاز حتى القرن الرابع الهجري.. وحصرت في هذا الفصل أسماء الجغرافيين من العرب والمسلمين ممن كتبوا عن الحجاز واهتموا بالتأليف والكتابة عنه من طبقة أهل الأدب واللغة، والمؤرخين وكتب الطبقات، وكتب الأنساب والتراجم وكتب المغازي واليسر.

أما في الفصل الثالث فقد تناولت الحياة الاقتصادية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري من حيث الزراعة وبيان أهم المزروعات وأنواع النباتات واختلافها من منطقة لأخرى وكيف أن هذه المزروعات تتأثر بالمناخ والطقس وترتبط به وأساليب الزراعة ووسائلها لدى أهل الحجاز ولم أقتصر على ذلك بل عدت إلى كتب النباتات والزراعة والأنواء.

وثانيا: الصناعة وأهم مصنوعات الحجاز وما يحتويه من المواد الخام اللازمة للصناعة والتي اعتمدت عليها الصناعة بشكل مباشر وأساسي، وأهم المهن والصنائع التي زاولها أهل الحجاز. كما تناولت التجارة من حيث أسواق الحجاز وسلعه ومرتاديه وعروض التجارة والعملات المتداولة في تلك الفترة، والمكاييل والموازين وطرق المواصلات التجارية التي كانت تنظم وحدات الحجاز.

وبالإضافة إلى كتب الجغرافيا وكتب التاريخ العام عدت إلى كتب المعاجم لإبرازها لأسماء صناعات عديدة كانت سائدة خلال تلك الفترة.

أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه الحياة الاجتماعية والفكرية في تلك الفترة الزمنية، فدرست القبائل التي استوطنت إقليم الحجاز قبل الإسلام وبعده، وأحوالها الاجتماعية ومساكنها والحياة الدينية والمعارف والعلوم والعلماء..

أما الفصل الخامس والأخير فقد تناولت فيه أهم المراكز الحضرية في الحجاز تلك الفترة فاستعرضت أهم المدن والقرى والحواضر والمواضع الحجازية التي كانت عامرة ومشهورة خلال القرون الأربعة الأولى من قيام الدولة الإسلامية، مع بيان ما وصفت به وامتازت وفق ما جاء وارد في كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين وكتب التاريخ.

وقد واجهتني بعض العوائق أثناء قيامي بدراسة هذا الموضوع ومن أهمها: ضياع كثير من المؤلفات الجغرافية المبكرة والتي لم تصلنا، مما جعلنا نبحث عن مقتطفات منها مما نقله الجغرافيون والمؤلفون المتأخرون في القرون التالية لحقبة الدراسة، إذ أن كثيراً من هذه النصوص موجودة في

مؤلفات القرن السابع والثامن الهجريين، فاقتضى البحث استعراض هذه المؤلفات بحثاً عن أية إشارة - حتى ولو كانت إشارة عابرة - يمكن أن تخدم البحث.

ومن الصعوبات التي اعترضت البحث أيضاً تناثر المـادة فـي ثنايـا كتـب الجغـرافيين ومدوناتهم، وصعوبة جمعها أحياناً، بالإضافة إلى التغير الحاصل في أسماء الكثيـر مـن المواقـع والمدن والقرى الحجازية، وتحولها إلى أسماء جديدة تبع لها تغير الحدود والتبعية الإدارية مما جعل الموضوع أكثر تعقيداً.

كما وجدت في رسم حدود الإقليم صعوبة بالغة خصوصاً مع الاختلاف الكبير الحاصل بين الجغرافيين العرب والمسلمين في ذكرهم لحدوده خصوصاً من جهة الـشمال والـشرق والجنـوب، وبالتالي اختلافهم في ذكر النواحي التابعة له.

الفصل الأول

(الجغرافية الطبيعية) للحجاز من خلال الكتابات الجغرافية

حتى القرن الرابع الهجري

الفصل الأول

(الجغرافية الطبيعية) للحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى القرن الرابع الهجري[*]

يناقش هذا الفصل الإطار الجغرافي للحجاز من خلال الكتابات الجغرافية في القرن الرابع الهجري، من حيث تسمية الحجاز، وحدوده وتضاريسه من سهول وحرار وجبال وهضاب وأودية، وما فيه من المصادر المائية، كما يتناول مناخ الحجاز وأحواله حسبما ورد ذلك في مؤلفات الجغرافيين العرب حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

تسمية الحجاز:

الحجاز في اللغة هو الفاصل بين شيئين[١]، ويقال: احتجز الرجل بإزار إذا شدَّه على وسطه ومنه قيل حجزة السراويل[٢]، وقالت العرب: حجز الرجل البعير يحجزه، إذا أناخ البعير وشد حبلا في أصل خفيه جميعا من رجليه ثم يرفع الحبل من تحته حتى يشده على حقويه، ويقال للحبل حجاز[٣].

والحجاز في الاصطلاح هو إقليم في جزيرة العرب على بحر القلزم[٤].

---

[*] انظر الملحق (١).

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص٣٣٣؛ وسيشار له فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، (د.ت). ج٢، ص١٧٢؛ وسيشار له فيما بعد: الفيروز آبادي، القاموس المحيط؛ الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٤، ص٢٣، وسيشار له فيما بعد: الزبيدي، تاج العروس

[2] البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج١، ص١١؛ وسيشار له فيما بعد: البكري معجم ما استعجم، ياقوت، ابن عبد الله الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٢١٨، وسيشار له فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان؛ ابن المجاور، يوسف بن يعقوب الدمشقي، جمال الدين (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة (تاريخ المستبصر)، ط٢، اعتنى بتصحيحها أوسكر لوفقرين، منشورات المدينة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٣٩. وسيشار له فيما بعد: ابن المجاور، صفة بلاد اليمن.

[3] ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣٣.

[4] دائرة المعارف الإسلامية، م٧، ص٣١١.

حاولت الكتب الجغرافية تعليل هذه التسمية "الحجاز"، فذكرت أنه سمي بهذا الاسم لكثرة الحرار فيه واحتجاز أهله من العدو به[١]، أو لحجزه فيما بين اليمامة والعروض، وفيما بين اليمن ونجد[٢]، أو لأنه فصل ما بين الغور والشام وبين البادية[٣]، أو لحجزه بين الغور والشام وبين السراة ونجد[٤]، أو لحجزه بين اليمن والشام[٥]، أو لحجزه بين السراة ونجد، أو لأنه احتجز بالحرار الخمس وهي: حرة النار لبني سليم (أم صبار)، وحرة ليلى، وحرة راجل (حرة شوران)، وحرة واقم بالمدينة، وحرة النار لبني عبس[٦]، أو لحجزه بين تهامة والتهائم والغور وبين نجد

---

(1) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب أبو محمد (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٣٦٨ وسيشار له فيما بعد: الهمداني، صفة جزيرة العرب؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣١.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠؛ الخزاعي، علي بن ذي الوزارتين محمد بن أحمد بن موسى (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٨٥، وسيشار له فيما بعد: الخزاعي، تخريج.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٨؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣١؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م. ص١٨٨، وسيشار له فيما بعد: الحميري، الروض المعطار.

(4) البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، حققه وقدم له أدريان فان لينوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م، ج١، ص١٤٧، وسيشار له فيما بعد: البكري، المسالك؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٨-٢٢٠؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٨.

(5) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج٢، ص٣٥، وسيشار له فيما بعد: المسعودي، مروج الذهب؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٤؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٨٦٢هـ/١٣٥٧م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٢٨٠هـ/١٩٦٠م، ص٨٤، وسيشار له فيما بعد: القزويني، آثار البلاد

(6) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١١؛ ابن الجواليقي، موهوب بن أحمد البغدادي (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، شرح أدب الكاتب، ط١، تحقيق طيبة حمد بودي، جامعة الكويت، الكويت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٢٠؛ وسيشار له فيما بعد: ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣١؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٧٢؛ الخزاعي، تخريج، ص٦٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٨؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م، ج١، ص١٤٧. وسيشار له فيما بعد: علي، المفصل في تاريخ العرب.

والنجود[١]. والباحثة تميل إلى الرأي الأخير القائل بأن تسميته بهذا الاسم لكونه يحجز تهامة عن نجد، اعتماداً على مدلول الاسم أو لفظة "الحجاز" التي تعني: الفاصل بين شيئين.

موقع الحجاز الجغرافي وحدوده خلال فترة الدراسة:

وردت كلمة الحجاز في المصادر التاريخية المبكرة للدلالة على منطقة جغرافية دون تحديد حدودها[٢]، وحاولت الكتب الجغرافية تحديد الحجاز، إلا إن الجغرافيين اختلفوا فيما بينهم في تثبيت الحدود على وجه دقيق[٣]، فمنهم من اعتمد في تحديده على اعتبارات إدارية، وآخرين على أسس طبيعية (التصاريس) كالأصمعي مثلاً الذي اعتبر المنطقة التي تشتمل على الحرار جمع (حره) هي الحجاز[٤]، أو لاعتبارات قبلية وعشائرية كالبكري القائل: "وأرض جهينة والقبلية كلها حجاز"[٥].

---

[1] الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥٨؛ البكري، المسالك، ج١، ص١٤٧؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١١-١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٨ -٢٢٠؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣١؛ شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الأنصاري شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطرسبورغ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، ص٢٢٠، وسيشار له فيما بعد: شيخ الربوة، نخبة الدهر؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٧٢؛ ابن ماجد، أحمد بن ماجد بن السعدي شهاب الدين (ت٩١٣هـ/١٥٠٦م)، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ص٢٨٩، ٢٩١. وسيشار له فيما بعد: ابن ماجد، الفوائد

[2] الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٣٢م)، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٦م، ج٢، ص٥٣٠، ٦٥٤، ٦٧٦، ٧٠٣، ٧٢١، ٧٢٩، وسيشار له فيما بعد: الواقدي، المغازي؛ ابن هشام، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت٢١٨هـ/٨٣٣م)، السيرة النبوية، ط٢، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، ج١، ص١٤٤، ٦٠٠، ٦٠٧ وسيشار له فيما بعد: ابن هشام، السيرة؛ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ج٣، ص٤٠، وسيشار له فيما بعد: ابن سعد، الطبقات

[3] الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي أبو إسحق (ت٣٤١هـ/٩٥٢م): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص٢١، وسيشار له فيما بعد: الإصطخري، المسالك؛ البكري، المسالك، ج١، ص١٤٧ -١٤٨.

[4] الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٣٠٥؛ العلي، صالح أحمد، الحجاز في صدر الإسلام: دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠م. ص ٦٨، وسيشار له فيما بعد: العلي، الحجاز في صدر الإسلام.

[5] البكري، معجم ما استعجم ج١، ص ١٣؛ العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ٦٨

ورغم هذا الاختلاف الحاصل فيما بين الجغرافيين في تعيين حدوده، إلا إن الحجاز كان يشكل وحدة إدارية واحدة، عاصمته المدينة، وكانت هي المركز الأول للدولة الإسلامية زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفيها أرسى دعائم الدولة الناشئة، وبقيت على هذه الحال في زمن الخلافة الراشدة ومنها جرت فتوح أقاليم الدولة الإسلامية في المشرق والمغرب[١]، وبقي الحجاز في العصر الأموي وحتى القرن الرابع الهجري يشكل وحدة إدارية واحدة بالرغم من انتقال العاصمة من المدينة إلى دمشق، فأصبحت قصبة إقليم الحجاز مكة ومن مدنها: يثرب وينبع وقرح وخيبروالمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا[٢] والعونيد والجحفة[٣] والعشيرة ومن قراها: بدر، خليص[٤]، أمج[٥]، الحجر، بدا يعقوب، السوارقية، الفرع، السيرة، جبلة، مهاج، حاذة[٦].

الحدود الشرقية:

تمتد الحدود الشرقية للحجاز لتتصل بسفوح جبال السراة التي تفصل بين الحجاز ونجد[٧]، فتمتد من معدن النقرة حتى ذات عرق[٨]، وحتى نهاية مناطق الحرار[٩]. وتتصل باليمامة وجبلي

---

(1) العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ١٧

(2) السقيا: هي سقيا بني غفار، تقع قرب الجحفة بين مكة والمدينة. ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص ٢٨٨، درادكة، صالح، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية، ط١، المطابع العسكرية، عمان، ١٩٩٧م، ص٢٣٣.

(3) الجحفة: بلدة كبيرة على طريق المدينة من مكة على بعد أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة، ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ١١١

(4) خليص: تقع بين مكة والمدينة. ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ٣٨٧؛ درادكة، طرق، ص٢٣٦.

(5) أمج: بلدة تقع بين مكة والمدينة على بعد ثلاثة أيام. ياقوت، معجم البلدان ج ١، ص ٢٤٩؛ درادكة، طرق، ص٢٣٧.

(6) المقدسي، محمد بن أحمد شمس الدين أبو عبد الله (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٩٨ وسيشار له فيما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم؛ الاصطخري، المسالك، ص٦.

(7) البكري، المسالك، ج١، ص١٤٧؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠.

(8) السلمي، عرام بن الأصبغ (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ط١، تحقيق عبد السلام هارون، عني بنشره يوسف زينل ومحمد نصيف، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ص ٥٢، وسيشار له فيما بعد: السلمي، أسماء جبال تهامة؛ البكري، المسالك، ج١، ص١٤٧؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩-١٠، ١٤، ج٣، ص١٠٨٣؛ ياقوت، ابن عبد الله الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، المشترك وضعا المفترق صقعا، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤١٥، وسيشار له فيما بعد: ياقوت، المشترك وضعا

(9) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٩.

طيء وفيد[١] حتى الربذة[٢]، وحتى أطراف حرة بني سليم حتى جبل حضن[٣]. وترتبط حدود الحجاز الشرقية بطريق مكة الكوفة[٤]، كما ترتبط بطريق مكة البصرة، وبالطريق من الحجاز إلى اليمامة[٥]، ويعد أعلى وادي الرمة حتى بطن نخل من الحجاز[٦]، كما تعد بيشة وترج وتبالة والمراغة ورنية من المناطق الحدودية الفاصلة بين الحجاز ونجد[٧]، وكذلك تربة فتعد من الحجاز[٨].

الحدود الجنوبية:

وأما فيما يتعلق بالحدود الجنوبية، فتشكل قرية المهجم، عند شجرة بطيحة الملك حدا فاصلا بين عمل مكة وعمل اليمن[٩]، وسمى قدامة هذه الشجرة "طلحة الملك"، وتقع قرية المهجم في وادي

---

(1) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني (ت٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م، ص٩٢ وسيشار له فيما بعد: ابن الفقيه، البلدان؛ الاصطخري، المسالك، ص٢١.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٢.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٧١.

(4) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٧٠م، ج٣، ص٨٦، ٢٤٧، ٣٨٤، ٣٨٥، ج٤، ص٤٧٧، ٤٨٠، ج٥، ص٣٩٤-٣٩٦، ج٦، ص٤٣٦-٤٤٠، ٤٩٧ وسيشار له فيما بعد: الطبري، تاريخ الرسل؛ الخزاعي، تخريج، ص٦٧.

(5) الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، بلاد العرب، ط١، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٣٣٨، ٣٧٩-٣٨١، وسيشار له فيما بعد: الأصفهاني، بلاد العرب

(6) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٧٩؛ الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٩م، ص٥١٧-٥٢٥، وسيشار له فيما بعد: الحربي، المناسك.

(7) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٩.

(8) ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م، ص١٨٤ وسيشار له فيما بعد: ابن رسته، الأعلاق النفيسة؛ الحربي، المناسك، ص٦٤٣-٦٤٥؛ ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص١٣٤ وسيشار له فيما بعد: ابن خرداذبه، المسالك؛ قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن جعفر بن زياد البغدادي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد، ١٩٨١م، ص٨١-٨٢، ٨٥، وسيشار له فيما بعد: قدامة، الخراج

(9) قدامة، الخراج، ص ٨٣؛ البكري، المسالك، ج١، ص٣٥٥؛ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسين (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، إيطاليا، ١٩٧٠م-١٩٧٧م، ج١، ص١٤٦، وسيشار له فيما بعد: الإدريسي، نزهة المشتاق

سردد في مدينة الزيدية[1]، وتقع شجرة بطيحة الملك بين شروم راح والمهجرة[2]، وذكر أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حجر بهذه الشجرة بين اليمن ومكة[3]، كما جعلت هذه الحدود حتى السرين على الساحل[4]، وهي إحدى مراحل طريق صنعاء مكة التهامية[5]، وجعلت مدينة حلي حدا فاصلا بين الحجاز واليمن[6]، وحلي مدينة باليمن على ساحل البحر الأحمر بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام[7]، وبذلك يمتد الحجاز جنوبا إلى اليمن[8]، وكانت سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن إلى بلاد مذحج عام ١٠هـ/٦٣١م[9]، وعندما ولى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أبا سفيان بن حرب جُرش[10]، حددت ولايته فيما بين آخر حد الحجاز وآخر حد نجران[1]،

---

(1) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٨٣، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٧٥؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٠.

(2) ابن خرداذبه، المسالك، ص١٣٥.

(3) قدامة، المصدر نفسه، ص ٨٣

(4) ابن خرداذبه، المسالك، ص١٤٨؛ الاصطخري، المسالك، ص٢١؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، ص٢٩، وسيشار له فيما بعد: ابن حوقل، صورة الأرض؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٩-٤٠؛ الفقيه، حسن ابراهيم، مدينة السرين الأثرية، مجلة العرب، ع٦، ١٩٨٣م، ص١٨٩، وسيشار له فيما بعد: الفقيه، مدينة السرين

(5) قدامة، المصدر نفسه، ص٨٧؛ الخزاعي، تخريج، ص٢١٧.

(6) ابن خرداذبه، المسالك، ص١٤٨، ١٩٢؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص٨١-٨٢، ٨٥.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٧؛ الفقيه، مدينة السرين، ص١٩٠.

(8) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٨٣؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٧٩، وسيشار له فيما بعد: ابن خلدون، تاريخ

(9) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٦٩؛ فراج بن شافي، حول مقال كثنة والهجيرة، مجلة العرب، س١٨، ع٨، ١٩٨٣م، ص٩٢-٩٣.

(10) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٧٠، وسيشار له فيما بعد: البلاذري، فتوح البلدان؛ عياش، سعيد، مدينة جرش الأثرية، مجلة العرب، ع٤، ١٩٧١م، ص٢٤٣.

نجران[١]، فجنوب الحجاز هي أرض مذحج من تثليث[٢] والهجيرة وأنهار جرش وكتنة وأم جحدم وجبل كدمل وحمضة[٣].

الحدود الشمالية:

وأما فيما يتعلق بالحدود الشمالية لإقليم الحجاز، فهي تمتد حتى تصل إلى مدينة أيلة[٤] على ساحل بحر القلزم[٥]، كما تصل إلى تخوم بلاد الشام[٦]، حيث تتصل بالشام[٧]، وذلك عند ذات المنار[٨] وسرغ[٩] الواقعة بين المغيثة وتبوك[١٠]، إذ يرد أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يدخل بلاد الشام عام ١٧هـ/٦٣٨م لانتشار الطاعون فيها ورجع إلى المدينة من سرغ[١١]، التي تعد من أشراف الشام[١٢].

---

(1) قدامة، المصدر نفسه، ص٢٦٩.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥٩.

(3) الهمداني، المصدر نفسه، ص٦٥.

(4) البكري، المسالك، ج١، ص٥١٧؛ الإسكندري، أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن (ت٥٦١هـ/١١٦٥م)، الأمكنة والجبال والمياه والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، ط١، أعده للنشر حمد الجاسر، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص٦٤، وسيشار له فيما بعد: الإسكندري، الأمكنة والجبال؛ الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى الهمذاني (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٩٤م، ج١، ص١، وسيشار له فيما بعد: الحازمي، الأماكن؛ ياقوت، ابن عبد الله الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، تحقيق يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب حمران، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠١م، ج٢، ص١١٢؛ وسيشار له فيما بعد: ياقوت، الخزل والدأل، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢؛ ابن سعيد الأندلسي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م، ج١، ص٥٧، وسيشار له فيما بعد: ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب. وأيلة، هي مدينة العقبة في المملكة الأردنية الهاشمية. درادكة، طرق، ص١٧٨.

(5) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢. وبحر القلزم هو: البحر الأحمر

(6) الأصفهاني، بلاد العرب، ص١٤؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٩.

(7) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان، باريس، ١٨٤٠م، ص٧٨، وسيشار له فيما بعد: أبو الفداء، تقويم البلدان

(8) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٣.

(9) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٢١١.

(10) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٢١٢؛ الخزاعي، تخريج، ص١٥٢. وسرغ: هي المدورة الآن تقع بين بطن الغول وحالة عمار. أما المغيثة فتقع بين معان والعقبة. درادكة، طرق، ص١٨٥.

(11) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٥٧-٥٨.

(12) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٦٧.

واعتبر الجغرافيون العرب جبال حسمى (في الأردن) حداً فاصلاً بين نهاية بلاد الشام وأول الحجاز[١]، وبذلك فإن مدين وتبوك[٢] شمال الحجر[٣] تعد من ضمن إقليم الحجاز[٤]، وعدت قبائل بلي[٥]، وعذرة[٦]، وجذام[٧]، المنتشرة فيما بين تبوك[٨] وأيلة ضمن الحجاز.

ومما تقدم يمكن القول بأن إقليم الحجاز يقع في الناحية الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، على شكل مستطيل يصل أسفله أرض اليمن، وأعلاه يصل أرض الشام، أما من ناحية الشرق فتفصله عن نجد جبال السراه وبعض المواضع التي تقع على طريق الكوفة[٩].

وعلى ضوء ما تقدم يمكن تحديد الحجاز في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على النحو التالي:

أولاً: من الناحية الغربية: لم يطرأ أي تغير على حدود الحجاز خلال تلك الفترة حيث حده من الغرب بحر القلزم.

ثانياً: من الشرق: نجد أن هضبة نجد هي الحد الشرقي للحجاز.

ثالثاً: من الشمال: وادي القرى اعتبر الحد الفاصل بين الجزيرة العربية وبلاد الشام هذا مع العلم أن منطقة وادي القرى كانت تضم في بعض الأحيان إلى البلقاء، فهي في العمل (الإدارة) تبع البلقاء، وتعد في (الجغرافيا) تبع الحجاز.

---

(1) الحربي، المناسك، ص٥٣٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٢٥ -٢٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٤، ص٣٥٤؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٧٧، ٢٢٥.

(2) الاصطخري، المسالك، ص٢١، ٢٤؛ ياقوت، الخزل والدأل، ج١، ص٨١؛ ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج١، ص٤٦.

(3) الحجر، هي مدائن صالح الآن، تقع بين تبوك والعلا. درادكة، طرق، ص٢٠١.

(4) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٧٩.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٦٢٥ -٦٢٦؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠، ٤٤.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٦٧؛ البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٤٤.

(7) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٥٦٤.

(8) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٨٣؛ ابن خرداذبه، المسالك، ص١٥٠؛ قدامة، الخراج، ص٨٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٤، ص٣٥١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٤.

(9) الشريف، أحمد إبراهيم، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٤ وما بعدها.

رابعاً: الجنوب: فتمثل قرية المهجم، عند شجرة بطيحة الملك حداً فاصلاً بين عمل مكة وعمل اليمن.

أ/ تضاريس الحجاز:

١ - السهول:

شكلت منطقة الحجاز تضاريس متنوعة ما بين السهول والجبال والأودية، فمن سهول الحجاز السهول الساحلية الغربية للجزيرة العربية ويطلق عليها اسم تهامة وتقسم إلى قسمين: تهامة اليمن[1]، وتهامة الحجاز التي يطلق عليها عدة تسميات فهي تسمى السافلة[2]، والغور[3] وطية الحجاز والسهل[4] والسيف وسيف البحر[5]. وتمتد من أقصى الشمال حتى تخوم الحجاز الجنوبية مع اليمن[6]، فهي تقع في الجهة الغربية من بلاد الحجاز بمحاذاة البحر الأحمر[7]. أما سبب تسميتها تهامة، فإما لخبث ريحها وسكونه وشدة حرها[8]، أو لانخفاضها عن مستوى سطح البحر، فتهامة كل مكان هابط[9]، وقد لاحظت الكتابات الجغرافية اختلاف اتساع السهل الساحلي الحجازي من منطقة إلى أخرى، فذكرت أنه يضيق جنوب جدة[10]، ويبدأ غور تهامة عند ذات عرق[11]. ويلاحظ أن هذا السهل كان يضيق ويتسع وفق السلسلة الجبلية المحيطة بهذه السهول.

---

(1) خليفة، تاريخ، ج١، ص١٢؛ البكري، المسالك، ج١، ص١٤٥.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٦٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٧١.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩، ١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٩؛ ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٢٩٠-٢٩١.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص١٢٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٤.

(5) الهجري، أبو علي هارون بن زكريا (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م، ص٣١٧؛ قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٨٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٧١.

(6) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٨٣.

(7) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٢٠.

(8) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٧٢.

(9) ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٢٩٠-٢٩١.

(10) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٧؛ الخزاعي، تخريج، ص١٩٦.

(11) الأصفهاني، بلاد العرب، ص١٤-١٥، ٣٣٦-٣٣٨، ٣٧٣-٣٧٥؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٢١٧.

٢ - الحرات:

مفرده (حرة) وهي تكوينات بركانية تشكلت نتيجة للنشاط البركاني الذي تعاقب على منطقة الحجاز خلال العهود القديمة[١]. فالحرة هي كل أرض غليظة تركبها حجارة سود[٢]، وهي أرض مفروشة بصخر[٣]. ويرد عند بعض الجغرافيين واللغويين أن الحجاز إنما سمي بهذا الاسم لكثرة حراره واحتجازه بها[٤]، كما يطلق على الحرار أيضا اسم اللوب[٥]، ويتعذر على الإنسان والحيوان المشي أو الركوب في هذه الحرار[٦].

ويلاحظ أن أكثر الحرار في الحجاز تمتد من نواحي المدينة إلى الشام[٧]. ومن أشهرها: حرة بني سليم أو حرة أم صبار أو حرة النار وتقع شمال غرب المدينة وهي لبني سليم[٨]، وقيل: حرة النار لبني عبس[٩]، وحرة ليلى شمال شرق المدينة[١٠]، وحرة واقم[١١] وسميت بذلك نسبة لأطم

---

(1) Encyclopedia Britannica, vol.15,2action, p. 206.

(2) ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ص١٢٠؛ ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٧.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٥.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣١؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج١، ص١٧٢.

(5) الهمداني، المصدر نفسه، ص٣٦٨.

(6) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٢٠٢، ٢٣٠.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٥.

(8) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٧، ١٢٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٦، ٢٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٨١.

(9) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ص١٢٠؛ السمهودي، علي بن أحمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط٤، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص١٥٥، وسيشار له فيما بعد: السمهودي، وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى

(10) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ص١٢٠؛ ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٧.

(11) ابن شبة، أبو زيد عمر البصري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ، ج٢، ص٤٢١-٤٢٧، وسيشار له فيما بعد: ابن شبة، تاريخ المدينة؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٣٧؛ الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ص١٢٠، ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٩.

واقم من آطام المدينة[1]، وحرة الوبرة غرب المدينة[2]، وحرة شوران أو حرة راجل[3]، وحرة ميطان وكلاهما تقعان جنوب غرب المدينة[4]، وحرة غلاس[5].

ومن الحرات أيضا حرة الأفاعي، وحرة بني بياضة، وحرة تبوك، وحرة الحوض، وحرة در، وحرة الرجلاء، وحرة العريض، وحرة قباء، وحرة معشر، وحرة هلال بن عامر، وحرة يبلى، وحرة الشقة من حرة خيبر، وحرة ذيالة، وحرة طاهر[6]، وحرة حنين، وحرة نقدوة، وحرة بين المدينة والعقيق، وحرة قبلي المدينة، وحرة ببلاد فزارة، وحرة ببلاد بني القين، وحرة بالدهناء، وحرة بعالية الحجاز، وحرة قرب فيد، وحرة بجبال طيء، وحرة بظاهر المدينة تحت واقم، وحرة بالبريك في طريق اليمن، وحرة لبن، وحرة لفلف، وحرة الحمارة، وحرة جفل، وحرة معشر، وحرة عباد[7]، وحرة أشجع [8].

---

(1) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٩.

(2) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٠؛ الخزاعي، تخريج، ص٧٩٩.

(3) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ص١٢٠؛ ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٧-١٢٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٦٥.

(4) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٨.

(5) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٨١.

(6) لمزيد من المعلومات عن هذه الحرات انظر: الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٢٣٠-٢٣٥؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٣٥-٤٣٨، ٥٢١، ٦١٩، ج٣، ص٧٢٢؛ ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٧-١٢٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٥، ٢٤٧-٢٤٨، ٢٥٠؛ الخزاعي، تخريج، ص٨٧، ١١٥.

(7) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٧-١٢٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٥-٢٤٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٧.

(8) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج١، ص١٢٧، وسيشار له فيما بعد: ابن الأثير، الكامل

٣ - الجبال:

تمتد سلسلة الجبال في وسط الحجاز ويطلق عليها اسم جبال السراة أو جبال الحجاز[١]، أو السروات[٢]. وتبدأ جبال السراة من قعرة اليمن وتخترق الحجاز وصولا إلى تخوم الحجاز الشمالية وبوادي الشام[٣]. ويطلق على أعلى جبال السراة اسم الحجاز الأعلى[٤]، وتقسم السراة إلى سراة بني ثقيف وهي أدنى السروات إلى مكة وسراة فهم وعدوان وسراة الأزد وسراة بني شبابة وسراة هذيل[٥]. وسميت السراة بهذا الاسم لارتفاعها، فالسراة تعني أعالي الجبال والأراضي المرتفعة التي تحجز بين تهامة ونجد[٦]، والسراة هي ظهر الدابة سمي بذلك لعلوه[٧]. كما تحيط الجبال بمدينتي مكة والمدينة[٨].

أ - جبال مكة:

وتكثر في الحجاز الجبال المختلفة في الارتفاعات، فمكة تقع في بطن واد قد أحاطت به الجبال من كل نواحيه[٩]، ومنها: جبل قعيقعان الذي يشرف على مكة من الغرب وجبل أبي قبيس

---

(1) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٢، ٢٢٠؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج٢، ص١١٥؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٧١.

(2) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٧١م، ص٣٦٥-٣٦٦، وسيشار له فيما بعد: الجاسر، في سراة غامد وزهران

(3) البكري، المسالك، ج١، ص١٤٧، ٤١٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٩، ج٣، ص٢٠٥؛ ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٢٨٩، ٢٩١.

(4) العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ج٤، ص٤٩٢، ٥٠٢، وسيشار له فيما بعد: العصامي، سمط النجوم

(5) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٣٤٣-٣٤٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥.

(6) ياقوت، المصدر نفسه، ص٣٤٣؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٨٣.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٥.

(8) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٥.

(9) التلمساني، محمد بن أبي بكر (ق٤هـ/ ١٠م)، وصف مكّة شرّفها الله وعظمها، ووصف المدينة الطيبة كرّمها الله، ووصف البيت المقدس المبارك وما حوله [تحقيق] حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة الثامنة، ج ٥ ٦، (١٩٧٤م)، ص ٣٣٣ وسيشار له فيما بعد: التلمساني، وصف مكة والمدينة

الذي يشرف على مكة من الشرق[١] وهو أكبر وأعلى من قعيقعان[٢]، وجبل ثبير وهو جبل مشرف على منى والمزدلفة[٣]، وجبل الخندمة[٤]، والجبل الأبيض[٥]، وجبال الأخاشب والجباجب[٦]، وجبل أجياد[٧]، وجبل ابن عمران، وجبل البكاء[٨]، وجبلا شامة وطفيل[٩]، وجبل حراء وهو على يسار المار إلى منى[١٠]، وجبل ثور[١١]، وجبل صبح[١٢].

[1] الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٣٣هـ/٨٤٧م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط٨، تحقيق رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٣٢، ٥١، ٦٥، ٨٢، ١٠٣، ١٣٣، ج٢، ص١٦، ١٨، ٦١، ٩٣، ١١٣، ١٦٤، ٢٠٣، ٢٥٢-٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٦-٢٦٧، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣١٣؛ وسيشار له فيما بعد: الأزرقي، أخبار مكة؛ الاصطخري، المسالك، ص٢٢؛ التلمساني، وصف مكة والمدينة، ص ٣٣٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٨٠، ج٤، ص٣٧٩؛ ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى شهاب الدين (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ج١، ص٦١-٦٢، وسيشار له فيما بعد: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٧٨.

[2] الاصطخري، المسالك، ص٢٢.

[3] الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٣؛ التلمساني، وصف مكة والمدينة، ص ٣٣٦، ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٨٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٧٣؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص٦٣؛ الخزاعي، تخريج، ص٤٤٤؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج١، ص٢٤٧؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٢٧.

[4] التلمساني، وصف مكة والمدينة، ص ٣٣٤؛ ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٨١.

[5] التلمساني، المصدر نفسه، ص ٣٣٤؛ ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٢ ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٥٠.

[6] ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٢ ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٧٣، ٤٦٤.

[7] ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٢؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال والمياه والآثار، ج١، ص٧٠؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٤، ٤٨.

[8] التلمساني، وصف مكة والمدينة، ص ٣٣٤، ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٣.

[9] التلمساني، المصدر نفسه، ص ٣٣٥؛ الإسكندري، المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٠؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٨٤؛ ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٣؛

[10] ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٣؛ الإسكندري، المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٥؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٤٤.

[11] ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٤ ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٦.

[12] ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٢٩٠-٢٩١؛ الإسكندري، المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٧؛ الحازمي، المصدر نفسه، ج١، ص٨٠.

ب - جبال المدينة:

وتقع المدينة بين جبلي أحد وعير[١]، ويقع جبل أحد شمال المدينة[٢]، بينما يقع جبل عير جنوبها[٣]. ومن جبال المدينة أيضاً جبل ذباب[٤]، الذي يشرف على جبانة (المقبرة) المدينة أسفل من ثنيتها[٥]، وجبل سلع[٦]، الذي كان يقع بسوق المدينة[٧]، وجبل ثور، وتميزت الجبال حول المدينة بأنها لا نبات فيها[٨].

وهناك جبل رضوى[٩] أو جبل ينبع، الذي يقع شمال شرق ينبع ما بين مكة والمدينة وهو أعلى قمم جبال وسط الحجاز[١٠]، وجبل رضوى هو بداية امتداد جبلي نحو الشرق يعرف بالجبال الوسطى حتى شمال غرب المدينة.

ومن الجبال أيضاً: جبل سويقة الواقع بين المدينة وينبع[١١]، وجبل جمدان بين قديد وعسفان وهو من منازل بني أسلم[١٢]، وذلك بين ينبع والعيص قرب المدينة[١٣]، وجبل شوران الذي يقع

---

(1) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٥؛ الاصطخري، المسالك، ص٢٣؛ ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٩١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٠٩، ج٤، ص١٧٢؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص٦٤؛ الخزاعي، تخريج، ص٥٠؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج١، ص٧٦، ج٢، ص٢٢٧؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٥، ٩٣.

(2) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٦-١٧٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٣.

(3) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٣١٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٧٢.

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣.

(5) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٠٩.

(6) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٩٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٦؛ ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه، ج١، ص٦٤.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٦.

(8) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٠٦-٩٠٧.

(9) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٥١، ؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢١٨؛ ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٢٩٠-٢٩١.

(10) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٥؛ البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٧؛ ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٣٢؛ ؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج٢، ص٦٠٦؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص١٢٩.

(11) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٧؛ الإسكندري، المصدر نفسه، ج٢، ص٧٨؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٧٥.

(12) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٦١؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، المغانم المطابة في معالم طابة، ط١، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٩٢. وسيشار له فيما بعد: الفيروز آبادي، المغانم المطابة. وقديد وعسفان : تقعان بين مكة والمدينة. درادكة، طرق، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(13) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٩٢-٩٣.

قرب عقيق المدينة عن يسار المتجه إلى مكة، وفيه مياه كثيرة[١]، وجبل ميطان غربي جبل شوران[٢]، وجبل شي الذي يقع حذاء جبل ميطان[٣]، وهناك حزم بني عوال وهو من جبال غطفان الذي امتاز بوفرة المياه فيه[٤]، وجبال الجلاه أو الحلاء[٥]، التي تقع بحذاء جبل ميطان جنوب شرق المدينة[٦]، وهي لا تنبت شيئا وإنما تقطع منها حجارة الأرحاء والبناء[٧]، وجبل ورقان[٨]، ويقع بين العرج والرويثة على يمين المتجه إلى مكة[٩]، وفيه أنواع الشجر المثمر وغير المثمر[١٠]، وجبل الحجون وهو جبل مشرف على مكة بحذاء البيعة يلي شعب الجزارين[١١]، وجبل عرفات[١٢]، وجبل ظلم الذي يقع مما يلي مكة جنوبي الدفينة[١٣]، وهو جبل أسود شامخ لا ينبت شيئا[١٤]، والجبل الأسود الذي يقع بحذاء بطن نخل[١٥]، (وبطن نخل بين مكة والمدينة[١٦])، وهو جبل شامخ لا نبت فيه غير الكلأ[١٧].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٧١؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٦٥؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج٢، ص١٢٩؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٨٠.

(2) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧١؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٣٩٩.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٠٦.

(4) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٠٦؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٣.

(5) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٠٦ -٩٠٧؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١١٧.

(6) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٠٦؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص١١٧.

(7) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٠٧.

(8) البكري، المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٧٧؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٧٢؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال والمياه والآثار، ج٢، ص٥٧٧؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص١٢٦.

(9) البكري، المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٧٧؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٧٢. والعرج والرويثة: موضعان بين مكة والمدينة. درادكة، طرق، ص٢٣٣.

(10) البكري، المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٧٧.

(11) الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، بغداد. ص٦٢، وسيشار له فيما بعد: الزمخشري، الأمكنة؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج١، ص٣٤٦؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٤٣.

(12) الزمخشري، الأمكنة، ص١٦٦؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص٦١؛ الخزاعي، تخريج، ص٢٣٨.

(13) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٦٢؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج٢، ص٢٠٧؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص١٢٦.

(14) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٦٢.

(15) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص١٩٢؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٤١، ١٠٣.

(16) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢٣٧؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١١٤٩.

(17) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص١٩٢.

وهناك جبال الأجرد والأشعر وقدس[1]، وجبال القبلية فيما بين المدينــة وينبــع[2]، وجبــال كلا[3]، وسراة بني ثقيف وفهم وعدوان والأزد وبني شبابة من بجيلة[4]، وجبــل يلملــم[5]، وجبــال العالية[6]، وجبال مسلح والنصع[7]، وجبال الأهيل والسخل، وأشمد في حرة خيبر[8]، وجبلا القهــب وأسود البرم من جبال حمى الربذة[9] شمال المدينــة[10]، وجبــال شــواحط وصــحن[11]، وجبــل شروري[12]، وهو جبل مطل على تبوك من شرقيها[13]، وجبال حسمى التي تقع غرب تبوك (وتمتد إلى الأردن)[14]، وبينها وبين وادي القرى ليلتان[15].

---

(1) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص١٩٠؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص١٠١، ١٩٨، ج٤، ص٣١١؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج٢، ص٣٤٨؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص١٠٣.

(2) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠٧، ؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١٢٨٦.

(3) ابن الفقيه، البلدان، ص٣١.

(4) ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص٣٢؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٢٠، ٢٥٨، ٢٦٠؛ يــاقوت، المــصدر نفسه، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥.

(5) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٧٥؛ الاصطخري، المسالك، ص٢١؛ ابن ماجد، الفوائد في أصول علــم البحــر والقواعد، ص٢٩٠، ٢٩٢.

(6) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣٣٦.

(7) السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١٣٠٧، ؛٣٢٠، الإسكندري، الأمكنة والجبــال، ج١، ص٣٤٨، ج٢، ص٥٥٣؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٢٧، ١٢٣.

(8) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣٩٤؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٠٦-٢٠٧، ج٢، ص٥٢١.

(9) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٢٤٠، ٢٤٢-٢٤٦؛ السمهودي، وفاء الوفــا، ج٣، ص١٠٩١-١٠٩٢.

(10) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب أبو محمد (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، الإكليل من أخبار اليمن وأنــساب حميــر، نسخه وحققه وعلق عليه محمد بن علي بن حسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١٠، ص١٤٦، وسيشار له فيما بعد: الهمداني، الإكليل.

(11) السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١٢٤٦، ١٢٥٠؛ الإسكندري، الأمكنــة والجبــال، ج٢، ص١٧٧؛ الحــازمي، الأماكن، ج١، ص٨١.

(12) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٩٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٣٩.

(13) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣٩.

(14) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص١٤؛ ٢٥٨-٢٥٩.

(15) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩؛ الخزاعي، تخريج، ص٤٤١. ووادي القرى: هي العلا الآن، وتقع بين الحجر والمدينة المنورة. درادكة، طرق، ص٢٠٢.

ومن الجبال الفاصلة بين نجد والحجاز جبل قطن، وهو جبل بناحية فيد به ماء لبني أسد بن خزيمة، وكانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إليه في عام ٤هـ/٦٢٥م[١].

وتقترب جبال الحجاز الجنوبية (السراة) من الساحل أحيانا مثل جبل يلملم، ويتسع عرضها حتى يتراوح من (٣٠ - ٤٠)كم، وترتفع تدريجيا حتى (٢٥٥٠م) شمال غرب الطائف، و (٢٥٦٥م) عند جبل قرنيط[٢].

٤ - الهضاب:

أما أهم الهضاب في الحجاز فهناك هضبة مبرة بين الجار والمدينة[٣]، وهضبة صاحة وهي هضبة حمراء تقع شمال غرب المدينة قرب عقيق المدينة[٤].

٥ - الأودية:

كثرت الأودية في الحجاز، وكانت تغير مجاريها من فترة لأخرى مما يمنع استفادة المنتفعين من مياهها، وقد تغير مجاري الوديات وأدى إلى وقوع المنازعات بين السكان والقبائل، مثل النزاع بين بني خفاف وبين الأنصار على عين النازية، حيث تضاربوا فسدوها، وقد قتل ناس بذلك السبب كثير[٥]. واكتسبت الأودية أهمية خاصة لسكان الحجاز لوفرة المياه فيها مما يؤدي إلى وفرة الأراضي الزراعية فيها وأطلق عليها اسم الأموال[٦]. ومن الأمثلة عليها عكاظ وهي عبارة عن نخل في واد[٧].

وأدت وفرة المياه والأراضي الزراعية في الأودية إلى اتخاذ القبائل مواطنها فيها أو قريبا منها، فقد كانت لهذيل جبال من السراة ولهم صدور أوديتها وشعابها الغربية، ونزلت خزيمة بن مدركة أسفل هذيل عند مسايل تلك الشعاب والأودية، وجاورت فهم وعدوان قبيلة هذيل في جبالهم

(1) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٥٠؛ الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج٢، ص٣٧٠؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص١٠٦.

(2) Encyclopedia of Islam, vol. 4, 2action, p. 160.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٦.

(4) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٢١؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٢٣٦.

(5) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦٠.

(6) الحربي، المناسك، ص٥٤٢.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢؛ الخزاعي، تخريج، ص٥١٣.

أيضا[١]. كما أن قريش انقسمت إلى قريش البطاح الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة، وقريش الظواهر الذين ينزلون خارج الشعب[٢].

وجاءت الأودية متعرجة بين الجبال والآكام والتلال ومسلك السيول ومنافذها، فما سال من السراة إلى ينبع يسمى الغور، وما سال في أودية المدينة يسمى بالأودية القبلية[٣]. وكانت هذه التعرجات تمنع الأودية الأضرار التي يمكن أن تلحق بالمزارع في بعض الأحيان ويستفاد من الماء المنساب فيها بري بعض الأراضي الزراعية التي تقع على جانبيها[٤].

أما أهم أودية الحجاز، فهناك واد قريب من الطائف يطلق عليه برد فيه حائطان عظيمان يقال لموضعهما وج[٥]. ويقع المسجد الحرام وسط واد بين الجبال ومكة من حوله[٦]. ومن أودية المدينة وادي الشبا وفيه عين خيف الشبا لبني جعفر بن إبراهيم من بني جعفر بن أبي طالب[٧]، وهو من أعراض المدينة[٨]. ووادي العرج الذي تتعرج السهول فيه ويدعى أيضا المنبجس ففيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين[٩]. وهناك وادي العروس في الطريق من المدينة المنورة إلى العراق[١٠]، ومن أودية المدينة وادي العقيق وفيه عيون ونخل وقصور ودور ومنازل وقرى[١١]، وسمي بذلك لأن العقيق هو كل ما شقه ماء السيل في الأرض فأنهره ووسعه[١٢].

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٨٨.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٤.

(3) الزمخشري، الأمكنة، ص١٨٨؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٣.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٥٨.

(5) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠؛ الخزاعي، تخريج، ص١٢٩؛ كمال، محمد سعيد، قبائل الطائف، مجلة العرب، س٢، ع٣، ١٩٦٧م، ص٢٤٥.

(6) خسرو، ناصر، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢٣، وسيشار له فيما بعد: خسرو، سفر نامة.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٧٦-٧٧٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٤٢١.

(8) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٩٧.

(9) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٠٩.

(10) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨١.

(11) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٣١٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٣٩.

(12) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٥٥.

وهناك وادي إضم أو وادي جلواخ في نجد وتهامة، وفيه المدينة، ويسمى من عند المدينة القناة، ومن عند الشد يسمى الشظاة، ومن عند البيضاء إلى البحر يسمى إضم[١]، وتقع المدينة في هذا الوادي[٢]، فالمدينة لها أربعة أودية: وادي قناة ووادي بطحان ووادي العقيق الأكبر ووادي العقيق الأصغر وتأتي مياهها وقت الأمطار والسيول إلى حرة بني سليم ثم إلى وادي الغابة ثم إلى وادي إضم[٣]. فوادي قناة باتجاه المدينة يستقبل بعض السيول من حرة واقم قبل اندفاعه وأودية المدينة الأخرى غربا وانتهائها في زغابة[٤]. ومن أودية المدينة أيضا وادي القف وعليه مال لأهلها[٥]. وتتجه بعض شعب أودية المدينة نحو الشمال الشرقي حتى تصب في وادي قناة[٦]. وينحدر وادي العقيق شمالا حتى ذي الحليفة حاملا اسم النقيع[٧].

ومن روافد العقيق: الأتمة، وبراجم، ويلبن، وسلامة، والمزج، ورواوة، والطفيتين، والأثبة، وريم، والمنبجس، وصراح، وأنقة، وتضارع، والنبعة، ومراخ، ومرشد، وحاذة، وقلعة برام[٨].

ومن الأودية أيضاً: وادي حرض وهو من أودية القناة على ميلين من المدينة عند أحد[٩]. ووادي حداء وفيه حصن ونخل بين مكة وجدة، ويسمى أيضا حدة[١٠]. وهناك وادي المحو، ووادي

---

(1) الزمخشري، الأمكنة، ص١٦.

(2) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٢٥.

(3) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٥.

(4) Al-Rashid, Saad A., Darb Zubayda, Riyad University Libraries, Riyad, 1980, p. 3, 4.
وسيشار له فيما بعد: Al- Rashid, Darb Zubayda

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٨٩؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٣٤٩.

(6) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٧-١٧٢؛ الحربي، المناسك، ص١٢٠، ٤١١-٤١٢؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢٨٦؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١٢٩٢.

(7) ابن شبة، المصدر نفسه، ج١، ص١٦٦؛ الحربي، المصدر نفسه، ص٤٢١؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٣٢٣-١٣٢٤؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م، ج٣، ص١٣٧١، ١٣٨٧. وموضع ذو الحليفة: أطلق عليها فيما بعد اسم الشجرة، وتسمى الآن أبيار علي، تقع بين المدينة المنورة والبيداء. درادكة، طرق، ص٢١٩.

(8) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٦-١٦٧؛ الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٣٣٦-٣٤٠؛ الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٢٣٦، ٢٨٥، ٢٩٠؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠٤، ج٤، ص١٣٢٣-١٣٣٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٦٦؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٦٨.

(9) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٠٧-١٠٨.

(10) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٦.

يليل، ووادي برام، ووادي الدوداء، ووادي الصفراء[1] الذي يجري ماؤه إلى ينبع[2] (بين مكة والمدينة)[3]، وسمي بذلك لمروره بقرية الصفراء بين ينبع والمدينة[4]. ووادي مر الظهران[5] (فاطمة) المنحدر عن جبال السراة[6]. ووادي الأبواء قرب المدينة[7]، ووادي الفرع[8]. ووادي بلاكث ووادي شبكة الدوم اللذان ينحدران عن حرة خيبر[9].

وتنتهي مياه بعض الأودية لتصب في البحر الأحمر، فوادي الليث أسفل جبل السراة يدفع في البحر الأحمر[10]. وهناك وادي ينبع[11] الذي يعرف أيضا بوادي يليل ويصب في البحر الأحمر[12].وينحدر وادي عرم من ينبع إلى البحر[13]. ويأخذ واديا أمج وغران من حرة بني سليم ويفرغان في البحر الأحمر[14].

---

(1) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤٠٧، ٤١٢؛ الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص١٩٨، ٢٩٢؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٥٧، ٢٤٨، ج٢، ص٦١٣، ٦٤٤، ج٣، ص٩٥٤، ج٤، ص١٢٢٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٢.

(2) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٤١٢.

(3) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٤٥٠.

(4) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٤١٢.

(5) مر الظهران: هو بطن مر يقع بين مكة والمدينة. درادكة، طرق، ص٢٣٩. ويسمى الآن وادي فاطمة. الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٧، ١٩٧٣م، ع١٠، ص٧٣٨-٧٥١، ع١١، ص٨١٦-٨٢٨، ع١٢، ص٩٣٦-٩٤٦، س٨، ١٩٧٣م، ع١، ص٣٥-٤٨.

(6) الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس (ت بعد ٢٧٢هـ)، المنتقى في أخبار أم القرى، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤م، ص٤٧؛ الاصطخري، المسالك، ص٢٤؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢١٢؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص١٠١٩؛ الجزيري، عبد القادر بن محمد، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ص٥٦٥؛ الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٧، ١٩٧٣م، ع١٠، ص٧٣٨-٧٥١، ع١١، ص٨١٦-٨٢٨، ع١٢، ص٩٣٦-٩٤٦، س٨، ١٩٧٣م، ع١، ص٣٥-٤٨.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٨؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٣٦. والأبواء: تقع بين مكة والمدينة. درادكة، طرق، ص٢٣٤.

(8) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٣٥٥، ٣٦٦؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٢٠.

(9) الهجري، المصدر نفسه، ص٣١٧.

(10) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨.

(11) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص١٩٣؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٠٦؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٤٥٠.

(12) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٤٤١.

(13) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٣٠٧.

(14) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٠.

أما وادي القرى فهو مجموعة من الشعاب والأودية المنحدرة عن جبال الحجر وحرة العويرض[1]. وأسفل منها أرض بيضاء طيبة تعرف بمطران الأسود[2]، وذلك قبل التقاء وادي القرى بوادي الجزل[3]، ويرفد وادي القرى: مربين، وملل، والفرش، والسيالة، ومخيض، والعيص، وورولان[4].

ومن أودية الحجاز أيضاً" وادي الرمة الذي ينحدر شرقا عن حرة خيبر وشمال شرق المدينة حيث توجد بعض شعابه وأوديته الحجازية الخصبة[5]، مثل: الطرف، والشقرة، ونخل، وفدك، وضرغد[6].

وتكثر الأودية فيما بين مكة وينبع، منها أودية ينبع ويليل وودان والسائرة والغايضة وسيارة وساية وغران وفيدة ووادي الهدة ووادي مر، ودعان وواسط وكوى وغلقة وحباقة وكحلة وخيمى، والعميق وقلهف ورحاب ورحيب والأخيمص والشطير ودفين ولحظان والمنخرف ودوران وسعبر ومليح ويعترض والمستحجر وسرف وياج وذيا[7]. وهناك وادي رابغ قرب الجحفة على عشرة أميال منها[8].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٥؛ Nasif, Abdallah Adam, Al-Ula: a Historical Archaeological Survey with Special Reference to Its Irrigation System, King Saud University Press, 1988, p. 9-10.

(2) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤٠٠.

(3) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٧٢؛ الجاسر، حمد، في شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م، ص٥١٢، وسيشار له فيما بعد: الجاسر، في شمال غرب الجزيرة.

(4) ابن شبة، المصدر نفسه، ج١، ص١٧٢-١٧٣؛ الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٣١٠، ٣١٧، ٣٦٥؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص١٢٨٩. وملل والسيالة، تقعان بين مكة والمدينة. درادكة، طرق، ص ٢٢٣، ٢٢٦.

(5) الأصفهاني المصدر نفسه، ص٧٩؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١١-١٢.

(6) الجاسر، حمد، في شمال غرب الجزيرة، ص٢٢٤، ٢٩٧، ٢٣٥.

(7) الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص٢٣٥. وسرف: تقع بين مكة والمدينة. درادكة، طرق، ص٢٤٠.

(8) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١١؛ الخزاعي، تخريج، ص٥٥٧. ورابغ، تقع بين المدينة ومكة. درادكة، طرق، ص٢٦٤.

وقد تلازمت الأودية في الحجاز مع الجبال، فرضوى جبل ذو شعاب وأودية واسعة من ينابيع الماء، به كخضرة البقل، وفيه مياه كثيرة وأشجار[1].

٦ - **المياه والعيون:**

- **العيون:**

تعتبر عيون الماء من أهم مصادر المياه في الحجاز، واشتهرت العديد من المدن والقرى والمواضع الحجازية بما فيها من عيون، ففي حرة ليلى في المدينة نخل وعيون[2]. واشتهر وادي العقيق في المدينة بكثرة العيون[3]. وهناك عين ألات الحب بإضم من ناحية المدينة[4]. وعين يليل أو البحيرة في الجار وهي تزود القرى المجاورة بالمياه العذبة ومن بينها مرسى قراف الذي هو جزيرة في البحر فيأتون بالماء من وادي يليل الذي يفيض بالجار ثم يصب في البحر[5].

وقرية الحجر، وهي من نواحي المدينة بحذاء قرية الأرحضية بمحاذاة جبل قنة الحجر[6]، بها عيون لبني سليم[7]. وفي بدر بين المدينة ومكة عينان جاريتان عليهما الموز والعنب والنخل[8]. وعين تعهن أو تعاهن على مسافة ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة[9]، وذلك بين القاحة

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٣.

(2) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٢٨.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٣٩.

(4) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٢.

(5) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩-١٠؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٣٥٥-٣٥٦؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٩٣.

(6) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٠٥-١٠٦.

(7) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٥٧؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص١٠٦.

(8) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٣١.

(9) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٧٦.

والسقيا[١]. وعين البردان بأعلى نخلة الشامية من نواحي مكة[٢]. وهناك عين تنضب بأعلى نخلة الشامية أيضا[٣]. وفي منزل بطن مر[٤] عين ماء تقع في سيل رمل[٥].

وتوجد عيون ماء غزيرة في ينبع تقع في وسط نخيل وزروع[٦]، وكانت هذه العيون تسقي نخيلا لآل علي بن أبي طالب إضافة إلى سقاية مزروعات بقية الأهالي السكان[٧]. وعين بتبوك تسقي نخيلها وزراعتها وتزود حصن المدينة بالماء[٨]. وعين الخرماء تقع في وادي الصفراء[٩]، وعيون في وادي عليب[١٠]، وعيون في كرا، ورنية، وتربة، وتبالة، وكتنة، وبنات حرب، وبيشة، وعينونة[١١].

كما توجد عين ماء بقرب حصن ابن أبي الحقيق في خيبر[١٢]. وثلاثة عيون للماء في وادي القرى تسمى عيون غالب، وزيان، ومعن[١٣]. وعيون أخرى في ودان والأبواء ورهاط (جنوب المدينة إلى الطائف)، وقرن المنازل والغمرة ووجرة وذات عرق[١٤].

---

(1) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٧٦.

(2) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٤٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٥.

(3) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٥.

(4) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج١، ص١٤٤؛ الحلي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، وصالح درادكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٧، وسيشار له فيما بعد: الحلي، أبو البقاء، المناقب المزيدية.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٢.

(6) الاصطخري، المسالك، ص٢٥.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٥٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٤٥.

(8) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٤؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٧٢.

(9) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ، ص١٢٩.

(10) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٧.

(11) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٨١-٨٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٤٥-١٤٧، ١٥١.

(12) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٤٦٣، ٤٦٥.

(13) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٦-٣٩٧.

(14) الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٣٤٩، ٣٥٣-٣٥٦، ٤٦٤-٤٦٥؛ قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٨٤.

وهناك عيون بمر الظهران (ظهران الحجاز) وعرفة ورهاط وتثليث ونعمان[١]، وعين في العشيرة[٢].

ووصفت بعض الأودية بغزارة العيون[٣]. وأدت وفرة العيون في منطقة ما إلى تحويل الأرض التي حولها إلى أرض زراعية أطلق عليها اسم الأموال[٤].

وإضافة للعيون التي كانت موجودة فقد عمل بعض الملاكين على استنباط العيون في أراضيهم، فاستنبط علي بن أبي طالب في ينبع النخل عين البغيبغة وأبي نيزر ونولا وسكر[٥]، وأبي مسلم وجبير[٦]، وأجرى معاوية بن أبي سفيان في الحرم عيونا، واتخذ لها أخيافا (جدران مرتفعة) فكانت حوائط[٧]، وعمل عبد الله بن جعفر على استنباط العيون في الغابة[٨]، وعمل مروان بن الحكم على استنباط العيون في ذي خشب، حيث استنبط عين مروان وعين الحديد[٩].

وتشكل السيول مصدراً من مصادر المياه لأهل الحجاز، وقد تميزت بعض الأودية بسيولها مثل ستارة وقديد والخرار[١٠]، والعقيق وقناة ومهزور وبطحان في المدينة[١١]، وإضم[١٢]، وأودية

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٧.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٦٠٧.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٧.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٤؛ الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٥٤٢.

(5) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص٢٢٠-٢٢١.

(6) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٣٩١.

(7) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٢٧-٢٣٠؛ الفاكهي، المنتقى في أخبار أم القرى، ص٣٣.

(8) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٥٨.

(9) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤١٥؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، الأغاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج١، ص٣٠١.

(10) الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٤٥٧.

(11) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٧-١٧٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١، ٢٤، ٢٦.

(12) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٣٧٢.

مكة[١]، وأودية الجبال[٢]. وكانت بعض سيول الأودية من الغزارة والاندفاع بحيث أطلق على الأودية الغزيرة اسم نهر[٣]، مثل أنهار خيبر[٤].

كما تعتبر الغدران أحد المصادر المائية في الحجاز، وهي عبارة عن تجمعات مائية سطحية ناشئة عن الأمطار، ومن أهم الغدران في الحجاز يلبن وبرام[٥]، وبراجم ورابغ وذو الطفيين والمستوجبة ومزج الذي لا يخلو من الماء[٦]، وغدران في طرف وغدران في عسفان، وغدير ذات الأشطاط[٧]، والرجيع[٨]، وهو ماء لهذيل بصدور الهدة قرب عسفان[٩].

وتعد القلات من أماكن تجميع المياه ومصدراً من مصادر المياه، والقلت كالنقرة في الجبل يستنقع فيها الماء[١٠].

ومنها أيضاً الأحساء، والحسي هو المياه التي تتسرب إلى تجاويف صخرية صلبة، وتعلوها طبقة من الرمل والحصى، ومن الأمثلة على الأحساء، الأحساء في أودية مرتمى وسعة[١١].

ومن مصادر المياه الأخرى الأوشال، والوشل هو ماء يخرج من شاهقة لا يطولها أحد (لا يحوم حولها ولا يدنو منها) ولا يعرف منفجرها، فهو المياه المتقطرة من بين الصخور

---

(1) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٦٦-١٧١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٨٦.

(2) الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص٣٨٢-٣٨٣، ٤٣١، ٤٥٩، ٥٢٢.

(3) الجزيري، المصدر نفسه، ص٢٩٧، ٣٣٦، ٥٦٢.

(4) ابن شبة، المصدر نفسه، ، ج٢، ص٤٦٣، ٤٦٥.

(5) ابن شبة، المصدر نفسه، ج١، ص١٦٦.

(6) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٣٤١؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٣٨١.

(7) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٧-١٧٨؛ الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٤٦٣؛ الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص١٩١.

(8) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط٢، تحقيق علي المنتصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٤٨، وسيشار له فيما بعد: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة.

(9) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٥٥.

(10) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤٢؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤١٢.

(11) الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٣٤٢-٣٤٣، ٥١٨.

الجبلية العالية حيث كانت تجمع وتستغل في الزراعة، ومن الأمثلة عليها الأوشال في جبل الغراب[١].

وقد ارتبطت منازل القبائل العربية قبل الإسلام بأماكن توفر المياه، فقد كان لكل قبيلة منازلها الخاصة بها، كما كان لكل قبيلة مياهها الخاصة بها[٢]، وتتنقل القبيلة في منازلها حسب توافر المياه، كانتقال سليم وغطفان من قرقرة الكدر بحثا عن المياه[٣]، كما ارتبطت معظم قطائع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأماكن توفر المياه[٤]. وارتبطت المنازل المقامة على طرق الحج[٥] بوجود مناهل المياه فيها[٦]، ومنها منهل العمق[٧].

واهتم كثير من سكان الحجاز باستنباط المياه، فكان عبد الله بن عامر بن كريز لا يعالج أرضا إلا أنبط فيها الماء[٨].

ب/ مناخ الحجاز:

١ - الحرارة

يُعرف الحجاز بإنه إقليم شديد الحر[٩]، إلا السروات، فإن هواءها معتدل[١٠]. وفسر الجغرافيون ذلك بتوقد (عمودية) الشمس في الحجاز[١١]، خصوصا في الصيف[١٢]. واشتهرت تهامة بحرها[١٣]، وشدته خصوصا في الصيف[١٤].

---

(1) الفاكهي، المنتقى في أخبار أم القرى، ص٤٥.
(2) انظر على سبيل المثال حول منازل القبائل ومياهها: أبو سنينة، زياد سلمان نعمان، بنو تميم في الجاهلية وصدر الإسلام حتى مطلع العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية،عمان، ١٩٩٠م، ص٢٧-٣٥.
(3) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٣١.
(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧؛ الجاسر، حمد، القطائع النبوية، مجلة العرب، س٨، ع١، ١٩٨٣م، ص٤.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٦٩٠.
(6) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٧-١٧٩؛ ابن خرداذبه، المسالك، ص١٢٧-١٣١؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٥٠؛ قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٨٠-٨٤.
(7) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤٠٣.
(8) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤١٤.
(9) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٥؛ ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٣٨٦.
(10) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٤.
(11) البكري، المسالك، ج٢، ص٧٣٤.
(12) القزويني، آثار البلاد، ص٤٨٤.
(13) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٥٠٥.
(14) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٧٢.

كما اشتهرت مكة بحرها[١]، وشدته خصوصا في الصيف[٢]. حيث يكون بالحرم حر عظيم[٣]. ووصفت مكة بأن هواها صحيح وأن جوها طيب وأن ليلها أطيب من نهارها[٤]، فالليل في مكة طيب بالصيف[٥].

ووصفت معظم مناطق الحجاز باستثناء الطائف بارتفاع درجة الحرارة فيها، بل واشتهرت بيشة والمدينة[٦]، وجدة وينبع بشدة الحر[٧]. وصفت البزواء وهي موضع في طريق مكة قريب من الجحفة بأنها من أشد بلاد الله حرا[٨].

أما في السروات فالهواء فيها معتدل، بل يوصف مناخها بالبرد الشديد على قمم الجبال[٩]. وقد اتسمت الطائف بطيب هوائها وبرودته لوقوعها على ظهر جبل غزوان[١٠]. فالماء يجمد في ذروة هذا الجبل في الطائف في الصيف[١١]. ووصف هواء الطائف بالشامي لتميز مناخها وبرودة مائها[١٢]، وذكر أنه ليس بالحجاز مكان أبرد من رأس جبل غزوان في الطائف[١٣]، ويطلق على جبل نعمان المشرف على الطائف من ناحية مكة اسم جبل السحاب؛ "لأن السحاب أبداً عليه"[١٤].

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧١؛ القزويني، آثار البلاد، ص١١٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٩٩.

(2) المقدسي، المصدر نفسه، ص٧١؛ القزويني، المصدر نفسه، ص١١٣؛ الحميري، المصدر نفسه، ص٤٩٩.

(3) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٩٩.

(4) القزويني، المصدر نفسه، ص١١٣؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٥.

(5) المقدسي، المصدر نفسه، ص٧١، ٩٥.

(6) الجزيري، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة، ص٤٥٩.

(7) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٩٣-٩٤؛ المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩، ٨٣.

(8) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤١١.

(9) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٤.

(10) الاصطخري، المسالك، ص٢٤.

(11) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤٤.

(12) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٤؛ المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩.

(13) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٥.

(14) قدامة، الخراج، ص ٨١

٢ - الرياح والأمطار:

تهب على الحجاز رياح الجنوب أو الأزيب، وتسميها قبيل هذيل النعامى، وبعضهم يسميها مسعا أو يسع[١]، وتهب عليه الرياح الغربية التي تعرف بالدبور، لشدة سرعتها، وقلة أمطارها، وكثرة غبارها، حتى وصفت بالعقيم[٢]. كما تهب عليه رياح السموم التي تتميز بعواصفها الرملية[٣]. أما السهل الساحلي فيمتاز بركود الهواء مما يؤدي إلى صعوبة التنفس[٤].

وأشارت بعض الجغرافيين العرب إلى قلة سقوط الثلج في الحجاز، فقد ذكر المقدسي بأن أهل الحجاز: "لا ثلج لهم ولا جليد" [٥]. ولكن هذه الإشارة ليست صحيحة، فقد ذكر سكان الحجاز الثلج في الشعر مما يؤكد نزول الثلج عندهم في بعض المواسم، ولكن بصورة نادرة. قال النعمان بن بشير الأنصاري[٦]:

ترى القمر بالقيعان جئن بنانه أبابيل ينسفن الجحيم وصيما

والقمر هو تحير البصر من الثلج، والقيعان هي المستوي من الأرض، ويؤكد نزول الثلج على المواضع الحجازية ما حصل هذا العام ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م من نزول الثلوج الكثيفة في المدينة والمواضع التي تقع إلى الجنوب منها.

أما الأمطار فقد كان الحجازيون يطلقون على السحابة كثيرة المطر "عنود"[٧]، وارتبطت الأمطار عند العرب عموماً بالأنواء، فقد جعل العرب نوء النجم علَماً للمطر ووقتا له، ونسبوها إلى

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٥٣-٤٥٤، ج٨، ص٤١٤؛ ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٣١٢-٣١٣، ٣١٦-٣١٨، ٣٢١.

(2) ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواء، ص١٣٠؛ ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٣١٠، ٣١٤-٣١٥، ٣١٨.

(3) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٣٠-١٣١؛ الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص٤٥٩-٤٦٠.

(4) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص٥١؛ الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص٥٣٧.

(5) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٦.

(6) النعمان بن بشير الأنصاري، (ت٦٤هـ/٦٨٣م)، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق يحيى الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، ص١١٩.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٠٩.

مساقط النجوم[١]. ومن هذه الأنواء نوء الثريا وهو وقت يرجا فيه المطر ويؤمل[٢]، ووصف نوؤها بأنه نوء محمود غزير مذكور، وأنه خير نجوم الوسمي، لأن مطره في زمن تريد الأرض فيه الماء، وإنه ما اجتمع مطر نوء الثريا في الوسمي مع مطر نوء الجبهة في الربيع إلا كان ذلك العام تام الخصب[٣] كثير الكلاء[٤]، وذكروا أن الجوزاء غزيرة النوء، مذكورة[٥]، وأن الذراع نوء محمود قل ما يخلف[٦]، وذكروا أن وقت طلوع نوء الجبهة، وسقوطها محمود[٧]، وأن نوء السماك الأعزل غزير مذكور[٨]، وأن نوء الفرغ الأول محمود مذكور، وأن نوء الفرغ الثاني محمود غزير[٩]، وذكروا أن بمطر القيظ (الصيف) حياء أهل اليمن، لأنهم يمطرون في القيظ (الصيف) فيخصبون في الخريف، كما يحمد العرب نوء الفرغ[١٠]، وذكروا أن بمطر الوسمي تخصب الأرض، وبه تنبت الكمأة، وهو أقل وألين وأبلغ في الأرض وأروى، وهو خصب أهل الحجاز وأهل البادية[١١]، كما ذكروا أن صنعاء لا تمطر إلا في حزيران وتموز وآب وبعض أيلول، ولا يمطرون إلا بعد الزوال في غالب الأمر[١٢]، وذكروا أن نوأي البطين والدبران غير محمودين أو مذكورين[١٣].

لقد اهتم عرب الحجاز بالمطر، ووصفوا تكونه: قال أعرابي من بني عامر بن صعصعة عن مطر صاب بلادهم: "نشأ عارضا فطلع ناهضا، ثم ابتسم وامضا، فأعتن في الأقطار فأشجاها، وامتد في الآفاق فغطاها، ثم ارتجز فهمهم، ثم دوى فأظلم، فأرك ودث وبغش وطش، ثم قطقط فأفرط، ثم ديم فأغمط، ثم ركد فأثجم، ثم وبل فسجم، وجاد فأنعم، فقمس الربى، وأفرط الزبى، سبعا

---

(1) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الأنواء في مواسم العرب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد، الدكن، ١٩٥٦م.، ص١٣؛ وسيشار له فيما بعد: ابن قتيبة، الأنواء؛ البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص٣٣٩.

(2) ابن قتيبة، الأنواء، ص١٤؛ ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواء، ص١٣٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٤.

(3) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٣١؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص١٣٥ .

(4) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٣٢؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص١٣٥.

(5) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٤١؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص١٣٩.

(6) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٤٩؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص١٣٩.

(7) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٥٨؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص١٤٥.

(8) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٦٤؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص١٣٩.

(9) ابن قتيبة، الأنواء، ص٨٣؛ ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواء، ص١٤٨.

(10) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص١١٤؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص١٤٨.

(11) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص١١٧؛ ابن الأجدابي، المصدر نفسه، ص٩٥.

(12) البكري، المسالك، ج١، ص٣٦٢.

(13) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، الأزمنة والأمكنة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٣٢هـ، ص٤٣.

تباعا، ما يريد انقشاعا، حتى إذا ارتوت الحزون، وتضحضحت المنون، ساقه ربك إلى حيث شـاء، كما جلبه من حيث شاء"[١]. ووصف أعرابي من بني عامر بن لؤي بن صعصعة مطرا فقال: "نـشأ عند القصر بنوء الغفر حبيا عارضا، ضاحكا وامضا، فكلا ولا ما كان حتى شـجيت بـه أقطـار الهواء، واحتجبت به السماء، ثم أطرق فاكفهر (نزل بقوة)، وتراكم فادلهم (أي غلظ وتكاثف)، وبسق فازلأم (ارتفع)، ثم حدت به الريح فحن، فالبرق مرتعج (متتابع)، والرعد متبوج (عالي الـصوت)، والخروج تنبعج (الخروج: السحاب، تنبعج: تنشق)، فأثجم (تحيّر) ثلاثا، متحيراً هثهاثا (متداخل في بعضه)، أخلافه حاشكة (الأخلاف: ضرع الناقة، متحاشكة: ممتلئة)، ودفعه متواشـكة (مـسرعة)، وسوامه متعاركة (سوامه: إبله)؛ ثم ودع منجماً (أي: انقشع)، وأقلع متهماً (نحو تهامـة)، محمـود البلاء، مترع النهاء، مشكور النعماء، بطول ذي الكبرياء"[٢].

وعرف من العرب من تنبأ بسقوط الأمطار مثل بني مارية من كلب، وبني مرة من شـيبان وغيرهم[٣].

وقد اتسم الحجاز بصورة عامة بشح الأمطار ــ باستثناء الطائف واليمامة ــ مما يؤدي إلى حدوث القحط في بعض السنوات[٤]، لا سيما مكة التي وصف واديها في القرآن الكـريم بأنـه "واد غير ذي زرع". ووصف الحجاز بأنه رضيع الجوع والبؤس[٥]، وقيل بأن الله خلق الفقر وخلق معه القنوع وأسكنه الحجاز[٦]، وأدت ظروف الشح في الأمطار والقحط والجدب وقلـة الطعـام[٧] إلـى خروج أناس من الحجاز وهجرتهم باتجاه مصر[٨].

---

(1) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع، تحقيـق عـز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٣م، ص١٤ -١٥. وسيشار له فيما بعد: ابن دريد، وصـف المطر والسحاب

(2) ابن دريد، وصف المطر والسحاب، ص٤٣ -٤٤.

(3) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج١، ص١٩٩.

(4) خسرو، سفرنامة، ص١١٠ -١١٢.

(5) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١١٤.

(6) ابن الفقيه، البلدان، ص٧٣.

(7) خسرو، المصدر نفسه، ص١١٢.

(8) خسرو، المصدر نفسه، ص١١٣.

الفصل الثاني

الكتابات الجغرافية عن الحجاز

حتى القرن الرابع الهجري

الفصل الثاني
الكتابات الجغرافية عن الحجاز حتى القرن الرابع الهجري

مدخل:

اهتم المسلمون بمنطقة الحجاز كونها موطن الإسلام الأول ومنها الكعبة المشرفة ومسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لذلك وصفت الكتب الجغرافية العديدة التي تتحدث عن الحجاز من مختلف النواحي الاقتصادية والبشرية والطبيعية. ولم يقتصر الحديث عن الحجاز في فترة الإسلام بل تناول الفترة التي سبقت الإسلام لا سيما وأن القرآن قد تحدث في بعض صوره عن ذلك، ومثال ذلك سورة الإيلاف والأصنام وما تعرضت له مكة من عزو الحبشة وأيام العرب وأسواقهم لا سيم سوق عكاظ وسوق ذي مجاز وسوق المجنة وبدر وأسواق المدينة.

وتمثل مكة المكرمة والمدينة المنورة أهم مركزين رئيسيين في إقليم الحجاز والجزيرة العربية بشكل عام، وبالرغم من أن مكة هي قبلة المسلمين التي يتوجهون إليها في الصلاة، وفيها الكعبة التي يحجون إليها، إلا أن المدينة المنورة بقيت لقرون عديدة في المركز الأول، نتيجة استقرار الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع المهاجرين فيها، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية الناشئة، وهجرة أعداد كبيرة إليها من القبائل القرشية وأهل الحجاز وبقية أقاليم الجزيرة وما يجاورها، إضافة لمكانتها العلمية والفكرية لمن يرغب في أخذ الحديث والسنة النبوية عن صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتابعين وتابعي التابعين[١].

ولم تتغير مكانة الحجاز بقيام الدولة الأموية وانتقال عاصمة الخلافة من المدينة إلى الحجاز، فالخلفاء الأمويون هم في الأصل من أهل الحجاز، ومعاوية مؤسس الدولة الأموية هو ابن أبي سفيان زعيم مكة حتى الفتح الإسلامي، وكثيرٌ من خلفاء بني أمية تولوا إدارة الحجاز مدة من الزمن قبل أن تؤول إليهم الخلافة[٢]، إذ أن الخلفاء الأمويين كانوا لا يولون ــ في معظم فترت حكمهم ــ إلا أموي

---

[١] العلي، صالح أحمد، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ١١، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص ١١٨، وسيشار له فيما بعد: العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز

[٢] خريسات، محمد عبد القادر، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، عمان، ٢٠٠٥م، ص ٨٣

أو مقرب من الأمويين وخاصة زمن السفيانيين، وذلك نتيجة لأهمية الحجاز ومكانته في الدولة الأموية[١].

ونتيجة للأهمية التي حظيت بها أقاليم الجزيرة العربية كافة، فقد ظهرت منذ القرن الأول الهجري نصوص جغرافية تتناول منطقة الحجاز، خصوصاً مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد ساعد على نشوء هذا النوع من التأليف المتعلق بالمدن ذلك التشجيع الذي لاقاه المؤلفين والأخباريين من قبل الخلفاء والولاة، ويورد المسعودي رواية تقول إن الخليفة عمر بن الخطاب كتب لأحد الحكماء يسأله: "إنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد، ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن الأمصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما يؤثره الترب والأهوية في سكانها"[٢]، فكان مما أجابه به الحكيم في وصف الحجاز قوله: "وأما الحجاز فحاجز بين الشام واليمن والتهائم، هواؤه حَرور، وليله بهور، ينحف الأجسام، ويُحشّف الأدمغة، ويشجع القلوب، ويبسط الهمم، ويبعث على الإحن وهو بلد قحْط جَدب ضَنْك"[٣]، وسأل معاوية بن أبي سفيان ابن الكواء عن أخلاق أهل الأمصار فقال: "أهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنة وأضعفهم فيها وأقلهم غناء"[٤]، ويرد أيضاً أن للحجاج اهتمام في معرفة البلدان وطباع سكانها، فقد سأل أحد فصحاء العرب وهو أيوب بن زيد المشهور بابن القِرِّيَّة (ت ٨٤هـ/ ٧٠٣م) عن علمه بالأرض، فأجابه إجابة تدل على معرفة واسعة بأقاليم عديدة من العالم: الهند، مكران، خراسان، أرض العرب (الجزيرة)، عُمان، البحرين، مكة، المدينة، البصرة، الكوفة، الشام، الحجاز، ووصف أهل مكة والمدينة قائلا: "فأهل مكة قوم ذوو جفاء ومن سجيتهم الوفاء... وأهل المدينة ذوو لطف وبرٍّ وخير وشر ..إلخ"[٥]. وسأل الحجاج أيضاً رجلاً اسمه زادان بن فروخ عن العرب والأمصار، فجاء في كلامه أن "أهل الحجاز قد نزلوا بحضرة السودان فأخذوا من حمقة عقولهم وطربهم.."[٦]، وبقي التساؤل عن أخبار البلدان وأوصاف سكانها

---

[١] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، ص ١١٨

[٢] المسعودي، مروج الذهب ج٢، ص ١٧٩، كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي. (٢مج) [ترجمة] صلاح الدّين عثمان، القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٦٣م. ج١، ص ٥٧، وسيشار له فيما بعد: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي

[٣] المسعودي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٨١

[٤] ابن الفقيه، البلدان، ص ١٨١

[٥] الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٢٢، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ٥٧ ــ ٥٨

[٦] ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص ١٦٤

في العصر العباسي، فقد طلب المنصور من إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان شيخاً كبيراً، أن يصف له الناس، فقال عن أهل الحجاز بأنهم: "مبدأ الإسلام وبقية العرب"[١]، وفي هذا الكلام دلالة على الأهمية الدينية والاجتماعية (القبلية) لأهل الحجاز والجزيرة بشكل عام.

وتداول الناس في منتصف القرن الأول التخطيط المنسوب إلى عبد الله بن عمرو بن العاص الذي يرسم فيه هيئة المعمورة: "صوّر الدنيا على خمسة أجزاء كرأس الطير والجناحين والصدر والذنب، الرأس: الصين، الجناح الأيمن: الهند، والجناح الأيسر: الخزر، وصدر الدنيا: مكة والحجاز والشام والعراق ومصر، والذنب: المغرب"[٢].

ويشير المقدسي إلى جوانب أخرى من وجوب معرفة الجزيرة وجغرافيتها، إذ يذكر بأنه يتوجب على المدرسين معرفة جزيرة العرب ليتمكنوا من تبيان شروحهم للطلبة، وأجمل في كلامه أهمية الجزيرة ومكانتها عند المسلمين، يقول: "إنما بدأنا بجزيرة العرب لأن بها بيت الله الحرام ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام، ومنها انتشر دين الإسلام، وفيها كان الخلفاء الراشدون، والأنصار والمهاجرون، وبها عُقدت رايات المسلمين، وقويت أمور الدين، وأيضاً فإن بها المشاعر والمناسك والمواقيت والمناحر، قد ذكرها الأئمة في دواوينهم ولا بد للمدرسين من معرفتها في شروحهم"[٣].

ويعزو كراتشكوفسكي تطور الكتابة الجغرافية في القرنين الأول والثاني الهجريين إلى اللغويين أو "طبقة أهل الأدب"، ويشير إلى انصرافهم بشكل تام نحو الجزيرة العربية دون سواها، ومن هؤلاء اللغويين يذكر: المؤرخ والنسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢٠م)، والأصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م) وغيرهما[٤]. وبعد ذلك ظهرت منذ منتصف القرن الثالث الهجري عدد من كتب المسالك والممالك وكتب الجغرافية، التي بحثت في أقاليم العالم وحددت طرق المواصلات والمحطات ومقدار المسافات بين المدن والمواضع، خصوصاً الطرق الموصلة إلى مكة والمدينة لحاجة الناس إلى معرفتها، وتضمنت هذه المؤلفات فصولاً متفاوتة في الحجم والمقدار عن الحجاز، استمد أغلب مؤلفيها مادتهم من عملهم في دواوين الدولة الرسمية أو

---

[١] ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٧٥

[٢] ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص ٤، شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ٢٤

[٣] المقدسيّ، أحسن التقاسيم، ص ٦٧

[٤] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٢٦ ــ ١٢٨

كأصحاب خبر وبريد ومنهم ابن خرداذبة واليعقوبي وقدامة بن جعفر البغدادي وابن حوقل النصيبي[١]، ويظهر أثر فريضة الحج على مؤلفاتهم، فلا يكاد يخلو كتاب منها من ذكر المشاعر المقدسة وايراد دليل أو مرشد بالطريق الواصلة بين مكة وبين أقاليم الدولة الإسلامية في الجهات الأربع، فالضرورة إلى معرفة الطريق كانت جزءاً من اهتمام الجغرافيين بتبيانه للقراء والمهتمين ممن ينون آداء الفريضة أو يتطلعون إليها ومما يتولون نقل البريد.

وإضافة لما تقدم فإن كتب الأنساب والتراجم قد تضمنت مادة قيمة عن الحجاز، فمثلاً كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد يحتوي على معلومات غنية تتصل بتراجم الحجازيين من الصحابة والتابعين شملت ستة أجزاء من أصل ثمانية أجزاء هي كامل الكتاب، وفيه مادة مبعثرة عن الأماكن والملكيات والمعلومات الإدارية[٢]، وهذا يوفر معلومات أصيلة ومبكرة عن الجزيرة العربية خلال القرون الثلاثة الأولى في عدة نواحي: في دراسة مجتمع الجزيرة العربية، ودراسة الأحوال السياسية والعسكرية، وتتبع الحركة العلمية والثقافية[٣].

لقد لقيت الجزيرة العربية وبضمنها الحجاز كأحد أقاليمها عناية واهتماماً كبيرين من علماء العصر العباسي، فدرسو أوضاعها وأحوالها البشرية والطبيعية، وألفوا فيها كتباً ورسائل عديدة، ذكر النديم في كتابه طائفة كبيرة من أسمائها وعرّف بمؤلفيها. وكان من بينهم مجموعة من الجغرافيين الذين كتبوا مادة قيمة عن الحجاز، وشكلت معلوماتهم مصدراً رئيسياً ومهماً لمن أتى بعدهم من الجغرافيين أمثال أبي عبيد البكري وياقوت الحموي وأبو الفداء والسمهودي وغيرهم، وسوف يتم استعراض هؤلاء الجغرافيين وتناول آثارهم على أزمنتها بحسب القرون:

---

(١) خريسات، محمد، وحسن محمد النابودة، صاحب الخبر في الدولة الإسلامية، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين (الإمارات العربية المتحدة)، ٢٠٠٣م. ص ٣٧٥ ــ ٣٨٠، وأيضاً: محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي ١١٨، نفيس أحمد، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي، (ترجمة) فتحي عثمان، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٩٧٨م، ص ٥٧، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٧١

(٢) العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص ٢٤، العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٢١

(٣) طرخان، إبراهيم علي، الجزيرة العربية في كتب السير والتراجم مع دراسة تحليلية لكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد وأهميته مصدراً لتاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١، ص ١٦٢ ــ ١٦٤

الكتابات الجغرافية في القرن الأول الهجري:

كان من الطبيعي أن يكون الحجاز حاضراً في ثقافة القرن الأول الهجري، ففيه مهبط الوحي، وعلى أراضيه قامت دولة الإسلام، وشهدت ساحته معارك بين المسلمين والمشركين، وبين مدينتيه: مكة ويثرب (المدينة المنورة) وقعت الهجرة النبوية، ومع ذلك فلم يصلنا شيئ مكتوب يرجع إلى هذا القرن، باستثناء روايات منقولة عن الصحابة والتابعين جرى تدوينها فيما بعد، خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وتضمنتها كتب المحدثين والرواة وكتب المغازي والسير والأخبار التي أوردت أسماء جغرافية عديدة للحجاز لا سيما مناطق الغزوات.

كما كان للحوادث الخطيرة التي وقعت في الحجاز خصوصاً في القرن الأول ومطلع القرن الثاني تأثيراً في تطور الكتابة عن الحجاز، ومن هذه الأحداث: حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (١١ ــ ١٣هــ/ ٦٣٢ ــ ٦٣٤م) وواقعة الحرة بين أهل المدينة المنورة وجيش يزيد بن معاوية (١٣ محرم ٦٣هــ)، وثورة ابن الزبير (٦١ ــ ٧٣هــ) التي توسعت حتى شملت نواحي الحجاز كله، ومناطق الصراع في أواخر الدولة الأموية، وخروج محمد النفس الزكية في مطلع دولة بني العباس حتى مقتله سنة ١٤٥هــ/٧٦٢م، وغيرها الكثير من الأحداث التي كان الحجاز مسرحاً لها، كل هذه الحوادث دفعت بعض الكتاب والمؤرخين لوضع مؤلفات خاصة تتناولها، فقد ألف عن واقعة الحرة كل من أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩هــ/٨٢٤م)، وأبي مخنف والواقدي وغيرهم، وألف أبو مخنف كتاباً عن حصار ابن الزبير، إضافة إلى مؤلفات كثيرة عن المدن الحجازية ذكرها النديم في كتاب الفهرست، ولكن هذه الكتب لم تصلنا سوى القطع المنقولة التي تضمنتها كتب التاريخ التي جرى تدوينها في القرن الثاني الهجري وما بعده، خاصة النقول التي حفظها الطبري في تاريخه والبلاذري في كتابه أنساب الأشراف والمسعودي في كتاب مروج الذهب والسمهودي في كتاب وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى. وفي ثنايا ما تضمنته هذه المقطوعات المنقولة نجد معلومات قيمة ومبكرة عن الحجاز والمواضع التي فيه، وعن طرق المواصلات وبعض التفصيلات عن تخطيط المدن خاصة مكة والمدينة لكونهما مركز كثير من الأحداث التي حدثت في صدر الإسلام[١].

---

[١] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٢٢

الكتابات الجغرافية في القرن الثاني الهجري:

نشطت في هذا القرن عملية التدوين التي بدأت في منتصف هذا القرن، وتحديداً عام ١٤٣هـ/٧٦٠م، يقول الذهبي في أحداث هذه السنة: "وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جُريج التصانيف بمكة، وصنف سعيد بن أبي عروبة، وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، وصنف الأوزاعي بالشام، وصنف مالك الموطأ بالمدينة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف معمر باليمن، وصنف أبو حنيفة وغيره الفقه والرأي بالكوفة، وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع، ثم بعد يسير صنف هشيم كتبه، وصنف الليث بمصر وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب. وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلمون عن حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة، فسَهُل ولله الحمد تناول العلم، وأخذ الحفظ يتناقص"[١].

ففي منتصف هذا القرن بدأ الإخباريون والمؤرخون بتصنيف كتب المغازي والسير، ولقيت الجزيرة العربية اهتماماً كبيراً من العلماء في العصر العباسي، فدرسوا أحوال الجزيرة وأوضاعها، وألفوا فيها مجموعة من الكتب والرسائل، ذكر كثيراً منها النديم في كتابه الفهرست والسخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ، فمنهم:

ابن زبالة واسمه محمد بن الحسن المخزومي (توفي في أواخر القرن الثاني الهجري)، هو أخباري ونسابة، له "كتاب المدينة وأخبارها"، أو "تاريخ المدينة"[٢]، وأهمية هذا الكتاب الذي ألفه سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م تعود لكونه من أقدم المصنفات التي تناولت المدينة المنورة وقدمت وصفاً مباشراً لمسجدها النبوي، إذ كان مؤلفها تلميذاً للإمام مالك بن أنس وواحد من أصحابه، وقد جمع مادته من خلال وجوده في المدينة نفسها[٣].

---

[١] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (تحقيق) بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م. ج٣، ص ٧٧٦

[٢] النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، كتاب الفهرست، (تحقيق) أيمن فؤاد سيد، ٤ ق في ٢مج، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م. ج١، ص ٣٣٤، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت ٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ٢٧٤

[٣] بورويبة، رشيد، مسجد المدينة في حدائق الكتب الثمينة، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١، ص ١٨٣، العلي، صالح، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص١٢٧

وكتاب ابن زبالة مفقود الآن وقد ظل موجوداً حتى القرن التاسع الهجري اذ اطلع عليه السخاوي ووصفه بأنه في مجلد ضخم[1]، وبقيت منه قطع متناثرة حفظها المتأخرون، فقد نقل عنه الطبري في أحد عشر موضعاً من تاريخه تتعلق ببعض الأحداث التي حدثت في المدينة المنورة، ونقل عنه ابن رستة في كتابه الأعلاق النفيسة، ولكن أكثر من نقل عنه السمهودي، حيث أخذ عنه صراحة في ٣٥٠ موضعاً، كما استفاد منه ابن حجر في كتابه الإصابة في معرفة الصحابة[2].

ويمكن من خلال النصوص المحفوظة والمتبقية من كتاب ابن زبالة تكوين فكرة عن أهم ما تضمنه كتابه، فقد تناول الأسماء التي أطلقت على المدينة المنورة، والحرم النبوي وبداية سكنى المدينة، وخطط القبائل فيها من الأوس والخزرج وغيرهما، وتحدث عن مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتفصيل كبير مبيناً مساحته ومقداره وزخرفته ومنبره وسواريه وأساطينه (أعمدته) ومنائره وقناديله وأبوابه وما لحقه من توسعة في زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، وقبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقبور أصحابه رضي الله عنهم، كما تحدث عن خطط المدينة ودورها وأسواقها ومصلياتها ومساجدها المتعددة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، وذكر العديد من المواضع التي تحيط بها مع تعداده لمحطات الطريق والمنازل التي تقع بين مكة والمدينة[3].

الكتابات الجغرافية في القرن الثالث الهجري:

وفي هذا القرن ظهرت عدد من كتب المسالك والممالك وكتب الجغرافية التي تناولت طرق المواصلات والمحطات والمنازل بين المواضع، وتضمنت بعضها فصولاً عن الحجاز وهناك من المؤلفين من وضع مؤلفات خاصة بمواضع ومدن حجازية معينة.

فمن طبقة اللغويين الذين اعتنوا بجغرافية الحجاز يرد ذكر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦هـ/٨٢١م)، الذي صنف كتباً كثيرة منها في الجغرافية: كتاب البلدان الكبير، والبلدان الصغير، وكتاب تسمية مَن بالحجاز من أحياء العرب، وكتاب قسمة الأرضين، وكتاب الأنهار، وكتاب أسواق العرب، وكتاب الأقاليم وغيرها من المؤلفات الجغرافية[4]. وقيل إن مؤلفاته الجغرافية

---

[1] السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص ٢٧٤، روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين ص ٦٤٢
[2] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٢٧
[3] العلي، المرجع نفسه، ص ١٢٨
[4] النديم، الفهرست ج١، ص ٣٠٥، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٢٦، محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي ص ١١٥

بلغت عشرة كتب[١]، ولم يصلنا من هذه الكتب سوى نصوص وشذرات نقلها المتأخرون من بعده أمثال ابن الفقيه الهمذاني وأبي عبيد البكري وياقوت الحموي، وشكلت المادة التي حفظها ياقوت من كتب الكلبي وغيره من الجغرافيين أهمية كبيرة في دراسة الجزيرة العربية وخاصة المادة الجغرافية المتعلقة بالحجاز[٢]، وقد أثنى ياقوت على الكلبي كثيراً فقال: "ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجة"[٣].

وألف الحسن بن عبد الله الأصفهانيّ، المعروف بـــ "لغدة" (ت ٢١٠هـــ/٨٢٥م) كتابه الموسوم بـــ بلاد العرب، وهو من طبقة اللغويين والأدباء، وأهمية هذا الكتاب فيما تضمنه من معلومات عن أجزاء كثيرة من منازل العرب القديمة التي سكنت وسط الجزيرة العربية، وذكر ما كان لها من مواضع ومناهل وجبال وأودية وشعاب وأمكنة، وقد جمع المؤلف مادته من أناس من أعراب الجزيرة ومن سكانها أنفسهم[٤]، وقد رتب كتابه حسب العشائر وفروعها وذكر منازل كل قبيلة ومساكنها. ويعتمد بشكل كبير على الأماكن والمواضع المذكورة في أشعار من تقدمه، فهو مثلاً يبتدئ بذكر بلاد بني عقيل ومياههم ومنازلهم، ومنها بالحجاز موضع البَرَدان[٥]، ومنهم من سكن بأعالي الحجاز[٦]، وأيضاً جماعات منهم سكنت واستقرت بين صحراء رُكبة والحجاز[٧]. ويلفت النظر تحديده الواسع لإقليم الحجاز الذي حدده "من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام"[٨]، ويبدو أنه أدخل فيه عسير وتهامة فاعتبرهما من الحجاز.

ومن جغرافيي هذا القرن أبي عبيدة التيمي كتاباً بعنوان "كتاب مكة والحرم"، وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى التيمي، ولد سنة (١١٤هـــ/٧٣٢م)، وتوفي نحو سنة (٢١٠هـــ/ ٨٢٥م)[٩]، ولم يصلنا من هذا الكتاب سوى بعض النصوص التي نقلها المتأخرون كالبكري في كتابه معجم ما

---

[١] نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٥٤

[٢] انظر: الأصفهاني، بلاد العرب، ص ١٨

[٣] ياقوت، معجم البلدان ج٢، ص ١٨٨

[٤] الأصفهاني، بلاد العرب ص ٤٢، مقدمة المحقق

[٥] الأصفهاني، المصدر نفسه ص ٣، ٥، ٨

[٦] الأصفهاني، المصدر نفسه ص ٦

[٧] الأصفهاني، المصدر نفسه ص ١٠

[٨] الأصفهاني، المصدر نفسه ص ١٤

[٩] النديم، الفهرست ج١، ص ١٥١

استعجم وكتابه الممالك والمسالك[١]، ومنها ١١ نصاً حفظها الفاكهي في كتابه أخبار مكة، وياقوت الحموي في معجمه.

كما يرد ذكر المدائني كأبرز المؤرخين المسلمين في القرن الثاني الهجري ومطلع القرن الثالث الهجري، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف، ولد سنة (١٣٥هـ/٧٥٢م) وتوفي سنة (٢١٥هـ/٨٣٠م)، وأخذ عنه الطبري كثيراً في تاريخه، وله مؤلفات عديدة منها كتب جغرافية تناولت مواضع حجازية، فقد ألف كتاب: "حمى المدينة وجبالها وأوديتها"[٢]، و"كتاب المدينة" و"كتاب مكة"، ونقل عنه في كثير من المواضع الجغرافي ابن الفقيه الهمذاني، ولكن السمهودي ـــ مع كثرة نقوله من المصادر المبكرة ـــ لم ينقل عنه سوى نصاً واحداً[٣].

ومن أهم من كتب عن الجزيرة العربية وأقاليمها كان عبد الملك بن قريب الباهلي المشهور بالأصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، له مؤلفات جغرافية تتعلق بالجزيرة العربية ضاعت ولم تصلنا، لكن وصلت قطع كثيرة تضمنتها النقول التي نقلها المتأخرون فقد نقل عنه ابن الفقيه الهمذاني في مواضع عديدة من كتابه، منها ما يتعلق بتسمية الحجاز[٤]، ولغدة الأصفهاني في كتابه بلاد العرب لا سيما فيما يتصل بجزيرة العرب والحجاز، والهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، وأبي عبيد البكري في معجم ما استعجم ونقل عنه نحو ١٥٠ نصاً[٥]، كما نقل عنه أيضاً في كتابه المسالك والممالك[٦]، ونصر بن عبد الرحمن الإسكندري (ت ٥٦١هـ/١١٦٥م) في كتابه "الأمكنة والمياه والجبال والآثار" ونقل منه نصوصاً كثيرة، وياقوت الحموي في معجمه، واعتبره المصدر الأساسي عن جزيرة العرب، وسمى كتاب الأصمعي الذي أخذ عنه باسم "كتاب جزيرة العرب" ونقل عنه

---

[١] الغنيم، عبد الله يوسف، جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٧٧م، ص ٦

[٢] النديم، المصدر نفسه ج١، ص ٣٢٠

[٣] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٣٠-١٣٢.

[٤] ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨٤

[٥] الأصفهاني، بلاد العرب، المقدمة ص ٢٢

[٦] الغنيم، جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ص ٦

صراحة ما يزيد على ٣٣٥ نصاً، منها ٢٨٠ نصاً تتعلق بجزيرة العرب و٢٣ نصاً تتعلق بمكة وجبالها[١]. ويذكر كراتشكوفسكي أن للأصمعي كتاباً آخر اسمه "مياه العرب"[٢].

ومن أشهر المؤلفات البلدانية التي تناولت جغرافية الحجاز بتفصيل دقيق كتاب أبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٥م)، حيث ألف كتاباً عنوانه: "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار"[٣]، وسماه النديم: "كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها"[٤]. والكتاب أشبه بكتب الخطط، إذ تتبع فيه مؤلفه إنشاء الكعبة المشرفة والمسجد الحرام ومعاهد مكة المكرمة وما فيها من أماكن وآثار وأسواق ودور ومنازل، وما يحيط بها من مواضع حجازية، وكتابه يجمع بين الجغرافية وكتابة السيرة، ولهذا اشتمل على كثير من المعلومات المتعلقة بالمدن والنواحي الحجازية الأخرى غير مكة[٥].

وذكر السخاوي أن رزين بن معاوية السرقسطي وسعد الله بن عمر الاسفراييني قد لخص كل واحد منهما كتاب الأزرقي[٦]، كما نقل عن الأزرقي محمد بن أبي بكر التلمساني (من أهل ق ٤هـ) في كتابه "وصف مكة شرفها الله".

ونقل عنه كذلك جارالله ابن فهد المكي (ت ٩٥٤هـ/١٥٤٧م) في كتابه "حسن القرى في ذكر أودية أم القرى"[٧].

ومن كتب الجغرافية التي تناولت الحجاز كتاب منسوب لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، عنوانه: "كتاب البلدان"[٨]، وسماه المسعودي: "كتاب الأمصار وعجائب

---

[١] الأصفهاني، بلاد العرب ص ٢٣، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٢٧

[٢] كراتشكوفسكي، المرجع نفسه ج ١، ص ١٢٧

[٣] السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص ٢٧٩

[٤] النديم، الفهرست ج١، ص ٣٤٤

[٥] انظر للمزيد: روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين ص ٢٢٤، مختار، محمد علي، الأزرقي المؤرخ من خلال رواياته، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١، ص ١٩٩ ـــ ٢٢٧

[٦] السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص ٢٨٠ ـــ ٢٨١

[٧] انظر: ابن فهد، جارالله محمد بن عبد العزيز بن عمر (ت ٩٥٤هـ)، حسن القرى في ذكر أودية أم القرى، مجلة العرب، السنة ١٨، ج١، ٢، (رجب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٢٨

[٨] الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، كتاب البلدان. تحقيق صالح أحمد العلي. بغداد: مطبعة الحكومة، ١٩٧٠م. (مستلة من مجلة كلية الآداب)

البلدان"[1]، ولا ندري إن كان الكتاب الذي ذكره المسعودي هو ذاته كتاب البلدان أم لا، وقد ألفه في أواخر حياته سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢)[2]، وذكره النديم ضمن مؤلفات الجاحظ[3]، ويؤكد نسبته إليه تطابق النص المتبقي مع بعض النقول التي أخذت عنه في مرحلة لاحقة، إذ نقل عن الجاحظ بعض الجغرافيين منهم ابن الفقيه الهمذاني[4]، وابن رستة في كتابه الأعلاق النفيسة، وياقوت في معجم البلدان[5]، إضافة إلى آخرين لم يصرحوا بالنقل عنه. وأثنى على كتاب الجاحظ كل من المسعودي ووصفه "بأنه كان إماماً في التأليف مبدعاً في حلاوة التصنيف ومن كتبه النفيسة كتابه المسالك والممالك"[6] ووصفه الجغرافي ابن حوقل بأنه "كتاب نفيس في معرفة الأمصار"[7]، بينما نجد المقدسي يذمه ويذم أيضاً كتاب ابن خرداذبة فقال: "وأما الجاحظ وابن خرداذبة فإن كتابيهما مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة"[8]، وأيا كان الرأي في الكتاب فإن ما تضمنه من معلومات عن الحجاز يعتبر مهماً، فهو يتناول خصائص قريش وما امتازت به بين القبائل من الشرف والرئاسة وذكر عاداتها، وخصَّ من بينهم آل أبي طالب من بني هاشم بالذكر، وهم أهل مكة، وتحدث عن تجاراتهم وأرزاقهم ودياناتهم[9]، ثم تحدث عن مكة المكرمة وفتحها ومكانتها لدى المسلمين[10]، وتحدث عن المدينة المنورة وفضلها وطيب بقعتها وتربتها ومزروعاتها[11]، ولكنه لم يتطرق البته إلى أهل المدينة أو مساجدها. ويذكر الجاحظ أن الهدف من تأليفه هو "الإخبار عن مكة، ولكن ذكر مكة جرَّ ذكر خصال قريش، وذكر خصال قريش جر ذكر خصال بني هاشم"[12].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب ج١، ص ١١٣

[2] الجاحظ، كتاب البلدان ص ٤٤٦، مقدمة المحقق

[3] النديم، الفهرست ج١، ص ٥٨٦

[4] ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ١٥

[5] الجاحظ، كتاب البلدان ص ٤٤٨

[6] المسعودي، مروج الذهب ج١، ص ١٤، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص ٣٢٣

[7] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٦

[8] المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤ ــ ٥

[9] الجاحظ، المصدر نفسه ص ٤٦٦ ــ ٤٨٠

[10] الجاحظ، المصدر نفسه ص ٤٨١ ــ ٤٨٤

[11] الجاحظ، المصدر نفسه ص ٤٨٥ ــ ٤٨٨

[12] الجاحظ، المصدر نفسه ص ٤٨١

وممن كتب عن المواضع الحجازية: الزبير بن بكار الأسدي القرشي (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، من نسل عبد الله بن الزبير، ولد بالمدينة المنورة سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)، ويعتبر الأسدي أحد العلماء والكتاب إذ ذكر له النديم (٣١) كتاباً في التاريخ والأدب، وهو تلميذ ابن زبالة الذي تقدم ذكره، وكان عالماً بأنساب القرشيين، ومن مؤلفاته المتعلقة بجغرافية الحجاز: "كتاب أخبار المدينة" وهو كتاب مفقود نقل عنه السمهودي، كما ألف كتاباً عن العقيق قرب المدينة سماه: "كتاب العقيق وأخباره"[١]، وذكره ابن الفقيه الهمذاني باسم "كتاب معارف العقيق"[٢].

وللزبير بن بكار كتاب آخر يبحث في المدينة سماه "أخبار المدينة" وهو أيضاً كتاب مفقود نقل عنه البكري وياقوت الحموي والسمهودي في مواضيع تتعلق بأماكن من المدينة والعقيق والوديان والغدران والشعاب التي تحيط بها[٣].

كما وضع عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري، أبو زيد (٢٦٢هـ/ ٨٦٥م) عدة مصنفات عن مدن حجازية، وابن شبة شاعر وأخباري وفقيه ولد سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)، وسكن بغداد ثم انتقل إلى سامراء، وله عدة مؤلفات تبحث في مواضع من الجزيرة العربية، هي: كتاب مكة، وكتاب أخبار المدينة، وكتاب أمراء مكة، وكتاب أمراء المدينة[٤]، وقد بقي كتابه عن مكة حتى القرن التاسع حيث اطلع عليه السخاوي من نسخة كتبها في مجلد مؤرخ مكة ابن فهد[٥]، ولم يصلنا من مؤلفاته سوى كتاب تاريخ المدينة المنورة، الذي بقيت منه نسخة وحيدة وعليها طبع الكتاب[٦]، وكان كتابه "أخبار المدينة" من أهم المصادر التي نقل عنها المؤرخون المتأخرون، فقد نقل عنه السخاوي في مواضع عديدة من كتابه "التحفة اللطيفة في أخبار المدينة"، لكن يبقى السمهودي أكثر من أخذ عنه، حيث نقل عنه نصوصاً متفاوتة في الطول والقصر في أكثر من ٣٥٠ موضعاً من كتابه "وفاء الوفاء"[٧].

---

[١] النديم، الفهرست ج١، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٢

[٢] ابن الفقيه، كتاب البلدان ٨٣

[٣] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٣٥ ـ ١٣٨

[٤] النديم، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٤٦، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص ٢٧٣، ٢٨٠

[٥] السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص ٢٨٠

[٦] ابن شبة النميري، أبو زيد عمر البصري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

[٧] العلي، المصدر نفسه، ص ١٣٢

وهذا الكتاب يؤرخ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وسيرة عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان رضي الله عنهم، ويتناول في ثنايا ذلك الكلام على الحياة العمرانية للمدينة المنورة من حيث بناء المساجد وتخصيص الصدقات وما يحتاجه مجتمع المدينة من المرافق كالأسواق والعيون والآبار، كما يبين حدود المدينة وما يجاورها، وما فيها من موارد مائية ومناهل وأودية وغدران، وتحدث عن دور أهل المدينة ومنازلهم والمحال التي نزلت فيها قبائل المهاجرين ومنازل القبائل الأخرى بالمدينة[١]. وفي كلامه على المهاجرين فقد رتبهم على العشائر، فهو يذكر العشيرة ثم يفصل الكلام على ذكر دور رجالها، وأولى ابن شبة عناية خاصة للجوانب الاقتصادية في المدينة، فتكلم على الصدقات من الأراضي والمزارع والبيوت والملكيات وأورد نصوصاً كثيرة من كتب الصدقات[٢].

وتصدى لتدوين تاريخ مكة في القرن الثالث الهجري عالم من أهلها هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، أبو عبد الله (ت بعد ٢٧٢هـ/٨٨٥م)، وألف عنها كتاباً بعنوان "كتاب مكة وأخبارها في الجاهلية والإسلام"[٣]، ولم يصلنا منه سوى النصف الثاني فقط، وتم نشره في ستة أجزاء بعنوان: "أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه"[٤]. والفاكهي معاصر لأبي الوليد الأزرقي، ومتأخر عنه قليلاً، ولهما فضل السبق في التأليف عن مكة والمدينة[٥].

تعرض الفاكهي في القسم المتبقي من كتابه إلى عدد من المباحث، فتناول مكة المكرمة وما فيها من مشاعر مقدسة، وتحدث عن المسجد الحرام وفضله وعمارته والزيادات التي تمت عليه وذكر الحجر الأسود والملتزم والصفا والمروة، والمزدلفة وعرفة وما يحيط بمكة من مواضع كمسجد التنعيم والحديبية، وتناول في فصل مستقل ما جاء عن مكة في الجاهلية والإسلام، كما تعرض لخطط مكة وكيفية توزيع دورها ورباعها، والآبار والعيون والطرقات والأسواق إلى غير ذلك من المباحث التي أعانت كثيراً في رسم صورة أهم بقعة حجازية "مكة المكرمة".

---

[١] شلتوت، فهيم، تاريخ المدينة المنورة تأليف عمر بن شبة النميري، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ٢، ص ٣ـ ٨

[٢] العلي، المرجع نفسه، ص ١٣٢

[٣] النديم، الفهرست ج١، ص ٣٣٧

[٤] الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس (ت بعد ٢٧٢هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، (٦ج) دار خضر، بيروت، ١٩٩٤م

[٥] روزنثال، علم التأريخ ص ٢٢٧

وقد استفاد من كتاب الفاكهي عدد من الجغرافيين والمؤلفين فمنهم الإمام الحربي في كتابه مناسك الحج وياقوت الحموي في "معجم البلدان" وتقي الدين الفاسي في كتابه "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" وكتابه "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"[١].

ويذكر النديم أحد العلماء الذين ألفوا عن المدينة المنورة وهو عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن الأنصاري المشهور بالوراق (ت ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م)، وهو أخباري ونسابة وراوية للشعر، له كتاب المدينة وأخبارها[٢]، وهو من الكتب المفقودة التي لم تصل ولم يرد ذكر من نقل عنه.

وضمن الجهود الجغرافية التي تناولت الحجاز في القرن الثالث الهجري يرد اسم كتاب "أسماء جبال تهامة، وسكّانها، وما فيها من القرى، وما ينبت عليها من الأشجار، وما فيها من المياه". من تأليف أعرابي اسمه عرّام بن الأصبغ السُّلَميّ (ت نحو ٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، ألفه في سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م معتمداً على معرفته الجيدة بمواضع جزيرة العرب[٣]، والمتبقي من الكتاب يتناول إقليم الحجاز بصورة محددة. وبالرغم من أن عنوانه يشير إلى تهامة فقط وهي السهول الساحلية الممتدة على ساحل البحر الأحمر[٤]، أو ما يساير شاطئ البحر الأحمر من اليمن حتى تخوم الشام، أي الأرض المنخفضة غرب الحجاز، لكنه يتناول المنطقة الممتدة من جنوب الطائف إلى حرة بني سليم إلى جبال رضوى قرب ينبع وصولاً إلى البحر[٥]، فيذكر كثيراً من المواضع القريبة من مكة وجبالها ومزروعاتها والمسافات فيما بينها[٦]، وتحدث أيضاً عن رضوى وأماكنها وينبع والجار وغيرها الكثير من المواضع الحجازية، وذكر جبال مكة والطائف[٧]، وأفرد فصلاً سماه "حد الحجاز" تناول فيه المواضع والمدن والقرى والجبال والمواقع الحجازية المجاورة للمدينة المنورة، وكذلك الطرق والمسالك فيما بينها وبين مكة ومَن يقطنها من القبائل وموارد شربهم ونباتهم[٨]، وبانتهاء هذا

---

(١) انظر مقدمة كتاب الفاكهي، أخبار مكة ص ٣٥ ــ ٣٦

(٢) النديم، الفهرست ج١، ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥

(٣) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٢٧، نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٥٨

(٤) العلي، صالح أحمد، تحديد الحجاز عند المتقدمين، مجلة العرب، السنة الثالثة، الجزء الأول (رجب ١٣٨٨هـ/ تشرين الأول ١٩٦٨م)، ص ٩

(٥) السلمي، أسماء جبال تهامة ص ٣٧٥، مقدمة المحقق

(٦) السلمي، المصدر نفسه ص ٤١٥ ــ ٤٢١

(٧) العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٤٠

(٨) السلمي، أسماء جبال تهامة ص ٤٢٤ ــ ٤٤١،

الفصل ينتهي كتاب عرّام وورد في آخره ما نصه "تم كتاب أسماء جبال مكة والمدينة وما يتصل بها" خلافاً لعنوانه الأساسي.

وبرغم صغر حجم المتبقي من كتاب عرام إلا إن مادته على قدر كبير من الأهمية في دراسة الحجاز، وقد استفادت الباحثة منه فائدة كبيرة. وإضافة لهذا النص المنشور من كتاب عرّام فقد بقيت نصوص أخرى من هذا الكتاب فيما نقله البكري في كتابه معجم ما استعجم وقد نبه البكري على استفادته تلك في مقدمة كتابه[١]، كما استفاد منه ياقوت الحموي في معجمه، فنقل عنه ما يزيد عن خمس وتسعين نصاً أشار في معظمها صراحة إلى أنها من كتاب عرام السلمي[٢]، ونقل عنه أيضاً السمهودي في مواضع كثيرة من كتابه وفاء الوفا[٣].

وممن ألف عن المواضع الحجازية يحيى بن الحسين بن جعفر العلوي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، وهو من أصحاب الإمام مالك بن أنس، وعنوان كتابه "تاريخ أو أخبار المدينة"[٤] وهو مفقود، ويعتبر من أهم الكتب التي تناولت المسجد النبوي الشريف، ووجدت نصوص كثيرة وطويلة منه عند الإمام الحربي في كتابه المناسك[٥]، وكان السمهودي قد اطلع على كتاب العلوي ونقل عنه في نحو ٢١٠ موضعاً في كتابه وفاء الوفا[٦]. ونقل عنه أيضاً البكري في أكثر من أربعين موضعاً[٧]، وكذلك ياقوت الحموي في مواضع عديدة من معجمه.

ومن خلال ما تبقى عند السمهودي من كتاب العلوي فيتبين بأنه تناول فيه هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونزوله في قباء ثم إقامته بين بني النجار وفي المربد وبناء مسجده وأنه ذكر بيوت أزواج النبي وأبواب المسجد وما لحق المسجد من توسيعات وما أجراه الخلفاء فيه من زيادات

---

[١] البكري، معجم ما استعجم مج١، ص ٤ ــ ٥، العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٤٠

[٢] العلي، المرجع نفسه ص ١٤٢

[٣] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٢٧، العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٤٣

[٤] السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص ٢٧٤

[٥] الحربي، المناسك ص ٢٦٠

[٦] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٣٠

[٧] الحربي، المصدر نفسه، ص ٢٦٨

حتى زمن العلوي، وما يحيط بالمسجد من دور ومساكن إلى غير ذلك من المباحث التي تتعلق مباشرة بالمدينة المنورة دون غيرها[١].

وذكر النديم كتاباً اسمه "صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما وراءها" من تأليف ابن الأشعث، وهو عزيز بن الفضل بن فضالة الهذلي، كان حياً في زمن المعتمد (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)[٢]، وهذا الكتاب من الكتب المفقودة التي لم تصلنا.

ومن أشهر جغرافيي القرن الثالث الهجري ابن خرداذبة واسمه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، وضع كتاباً في الجغرافية بعنوان المسالك والممالك، ألفه سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م)، وشكلت مادتة مصدراً للنقل لمن أتى بعده من الجغرافيين فأخذ عنه ابن الفقيه الهمذاني في كتابه البلدان[٣]، وقدامة البغدادي في كتابه الخراج، وابن فهد في كتابه "حسن القرى"[٤]. وقد استفاد ابن خرداذبة من عمله على البريد بإقليم الجبال في تدوين كتابه وتحصيل المعلومات[٥] التي لا يمتلكها بهذه الدقة إلا عمال البريد وأصحاب الخبر، فجاء كتاب ابن خرداذبه أشبه بسجل رسمي للطرق والمواضع والمسافات بين المدن، إذ يخلو عمله من الكتابة الأدبية التي انتشرت فيما بعد في أوساط الجغرافيين.

وقد أخّر ابن خرداذبه الحديث عن الجزيرة العربية إلى آخر الكتاب بعد أن تحدث عن المشرق الإسلامي ثم تناول المغرب ويليه الشمال (الغربي) ثم أخيراً "خبر التيمن"[٦]. وفي هذا القسم ذكر الطرق الموصلة بين مدن الحجاز ونواحيه وتحدث عن الطريق إلى المدينة وأعراضها (النواحي التي تتبع إليها)، وتتبع الطريق الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة[٧]، وذكر طريقاً آخر يصل بين المدينة ومكة معدداً المواضع والمسافات بينها بالأميال[٨]،

---

[١] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٣٠

[٢] النديم، الفهرست ج١، ص ٣٥٢

[٣] ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ١٤، ٢٠

[٤] ابن فهد المكي، حسن القرى ص ٣٠

[٥] نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٥٧، خريسات، صاحب الخبر، ص ٣٧٧

[٦] ابن خرداذبه، المسالك والممالك ص ١٢٥

[٧] ابن خرداذبه، المصدر نفسه ص ١٢٨ ــ ١٢٩، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٥٨

[٨] ابن خرداذبه، المصدر نفسه، ص ١٣٠، أحمد رمضان، المصدر نفسه، ص ٦٠

ثم وصف الحرم النبوي الشريف وحدوده وأطوال المسجد الحرام[١]. كما استعرض الطرق الجنوبية الموصلة بين مكة والطائف ثم اليمن[٢]، وذكر في موضع آخر من كتابه الطريق التي تربط مكة ببعض أقاليم العرب، فأشار إلى الطريق من مصر والشام[٣] إلى مكة. ويرد في ثنايا كتابه معلومات أخرى عن الطرق والمسافات، منها ما يتصل بالكلام على مواسم الأمطار في الحجاز، ولفت انتباهه نزول المطر في الحجاز في فصل الصيف[٤].

ومن أهم المصادر التي تناولت الحجاز كتاب المناسك وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة للإمام إبراهيم بن إسحاق البغدادي الحربي (ت ٢٨٥هــ/٨٩٨م)، وهو من أصول خراسانية، ونسبته إلى الحربية: المحلة التي في الجانب الغربي من بغداد، ولد سنة (١٩٨هــ/٨١٣م)، وكانت له عناية بالحديث النبوي الشريف رواية وجمعاً، وكتابه يحفل بالإفادات الجغرافية المتصلة بالجزيرة العربية، بما يطابق عنوان الكتاب في تقديم دليل للطرق تسهل على الحجاج والقاصدين إلى الحجاز مهمة سفرهم، ولهذا فقد جاء الكلام على جغرافية الجزيرة العربية وأقسامها إلى آخر الكتاب، على خلاف المشهور بين الجغرافيين في الاستفتاح بذكرها وبيان حدودها، وقدم عليها بيان الطرق والمسالك، فكتب وصفاً دقيقاً وشاملاً للطرق التي تربط أجزاء الجزيرة وذكر أسماء المنازل والمدن والقرى والمواضع، وما فيها من برك وعيون وآبار، وجبال وأودية وشعاب، وأورد تقدير المسافات بينها بالأميال، وما فيها منابت وزروع. وقد ابتدأ بذكر الطريق الواصلة من العراق إلى المدينة، وبعض المنازل التي يوردها تقع ضمن درب زبيدة، وبعضها منحرفة عنها شمالاً وجنوباً، وقد استغرق وصف هذه الطريق نحو ٧٥ صفحة من كتابه المطبوع[٥].

ثم أفرد الحربي فصلاً للمدينة المنورة وما فيها من الآثار، فتحدث عن المسجد النبوي وتاريخ بنائه، ثم ما لحقته من زيادات في عهد الخليفة عثمان بن عفان وزيادة الوليد بن عبد الملك وزيادة الخليفة المهدي، ثم تحدث عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وقبري أبي بكر وعمر في الروضة الشريفة، واستعرض مقاسات الحرم وأذرعه، وما على جدران المسجد من كتابات

---

[١] ابن خرداذبه، المسالك والممالك ص ١٣٢

[٢] ابن خرداذبه، المصدر نفسه ص ١٣٤

[٣] ابن خرداذبه، المصدر نفسه ص ١٤٩-١٥٠.

[٤] ابن خرداذبه، المصدر نفسه ص ١٥٦، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٥٨

[٥] الحربي، المناسك ص ٢٨١ ــ ٣٥٦

ونقوش، وعدد نحو ٣٢ مسجداً بالمدينة بعضها صلى فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم -[١]، وبعد أن فرغ من الكلام على المسجد النبوي والمعالم الدينة الأخرى اتجه للكلام على حدود المدينة وجبالها ومياهها من عيون وبرك وآبار، وعدد أسماء شهداء معركة أحد وقبورهم التي بالمدينة[٢].

وعند الحديث عن الطريق من المدينة إلى مكة تطرق الحربي إلى مناسك الحج التي يجب على الحاج فعلها منذ إحرامه بذي الحليفة (أبيار علي)، وهي ميقات أهل المدينة وغيرهم من المارين بها، وفي أثناء ذلك يذكر بقية المنازل على ذات النهج الذي سار عليه في أول كتابه وصولاً إلى مكة[٣].

وقدم الحربي معلومات جغرافية لمدينة مكة، فوصف الحرم المكي وأبوابه والصفا والمروة، والكعبة وبنيانها وزمزم، ثم وصف الطريق إلى منى ومسجد الخيف، والمزدلفة، وعرفات[٤]، ثم عاد للحديث على المنازل التي كان الناس ينزلونها فيما بين فيد والمدينة والمعروفة قديماً بطريق الأخرجة، وفيد تقع على منتصف المسافة بين الكوفة ومكة، فهي على طريق حاج العراق، وذكر طريقاً آخر يسمى طريق السلمان[٥].

وفي القسم الأخير من كتابه استعرض أقسام الجزيرة العربية، ومن بينها إقليم الحجاز، مع ذكر الطرق الخارجية التي تربط الجزيرة بما حولها من الأقاليم في الجهات الأربع[٦].

وقد نقل عن الحربي مجموعة من الجغرافيين المتأخرين، كأبي عبيد البكري في كتابه الممالك والمسالك[٧]، والمؤرخ السمهودي في كتابه وفاء الوفاء.

وإلى ذلك القرن الثالث الهجري ينتمي جغرافي ومؤرخ له صيت كبير، وهو أحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبيّ (ت بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، له كتاب في التاريخ يسمى باسمه "تاريخ اليعقوبي"، وآخر في الجغرافية يسمى "كتاب البلدان" وفي المتبقي من كتابه بدأ بالكلام عن بغداد،

---

[١] الحربي، المناسك، ص ٣٥٩ ـــ ٤٠٤

[٢] الحربي، المصدر نفسه ص ٤٠٥ ـــ ٤١٩

[٣] الحربي، المصدر نفسه ص ٤٢٠ ـــ ٤٦٨

[٤] الحربي، المصدر نفسه ص ٤٧١ ـــ ٥١١

[٥] الحربي، المصدر نفسه ص ٥١٥ ـــ ٥٢٨

[٦] الحربي، المصدر نفسه ص ٥٣١، ٦٤٣ ـــ

[٧] الغنيم، جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ص ٦

عاصمة الخلافة في وقته تليها سامراء ثم بقية مدن العراق ليتجه بعدها في تناول مدن وأقاليم المشرق الإسلامي، وبعد هذا تناول ما سماه: (الربع القبلي) وفيه: خص مدينتي الحجاز: مكة والمدينة بصفحات قليلة من كتابه، وقدم إلى ذلك باستعراض الطريق الواصلة بين الكوفة إلى المدينة ومكة وما عليها من منازل ومحطات ومَن يقطنها من القبائل[١].

ثم أفرد اليعقوبي باباً للكلام على المدينة المنورة وما يحيط بها ويجاورها ومن يسكنها من القبائل[٢]، وباباً آخر للكلام على مكة وأعمالها ونواحيها وشعابها، ثم الكلام على الحرم النبوي الشريف، وهو يشير إلى أن آخر توسعة تمت على الحرم كانت في عهد الخليفة المهدي سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م) حيث تمت توسعته والزيادة فيه، ولم يذكر الزيادة التي قام بها المعتضد سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥) حسب كلام ابن رستة الآتي فيما بعد، وربما كان تاريخ تأليف كتاب اليعقوبي سابق على تاريخ هذه الزيادة، كما استعرض الأعمال والنواحي التي تتبع إلى مكة والقبائل التي كانت تسكنها في زمنه[٣]. وأخيراً يذكر الطريق الواصلة من اليمن إلى مكة [٤] ومن مصر إلى مكة[٥].

ومن أشهر جغرافيي القرن الثالث الهجري ابن رسته، واسمه أحمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠هـ/ نحو ٩١٢م)، ألف كتاباً في الجغرافية سماه: "الأعلاق النفيسة"، فقد أغلب الكتاب ولم يصل منه سوى الجزء السابع فقط[٦]، وفي هذا القسم المتبقي من كتابه، وبعد أن قدم له بمقدمة عن صفة الأرض وهيئتها والأجرام السماوية، شرع في الكلام عن أقاليم الأرض فابتدئ بذكر "مكة وأحوالها وذكر الكعبة وبنائها وصفتها"، وتوسع في الكلام على مكة حتى فاق كلام من تقدمه، وابتدأ بتأريخ بناء الكعبة فأرجع بداية بنيانها إلى زمن آدم عليه السلام، وقدم وصفاً للكعبة ومقدار ذرعها والدرجة التي يتم الارتقاء عليها إلى سطح الكعبة، وأساطين الحرم أو أعمدته، وأرضية الحرم المعمولة من الرخام، وصفة الحجر ومقداره وما عليه من الفضة، ومساحة مقام إبراهيم عليه السلام

---

[١] اليعقوبي، كتاب البلدان ص ٣١١، نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٥٩

[٢] اليعقوبي، المصدر نفسه ص ٣١٢ ــ ٣١٤

[٣] اليعقوبي، المصدر نفسه ص ٣١٤ ــ ٣١٦

[٤] اليعقوبي، المصدر نفسه ص ٣١٧

[٥] اليعقوبي، المصدر نفسه ص ٣٤٠ ــ ٣٤١، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٧٧

[٦] أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٨٩

وبئر زمزم، ثم وصف المسجد الحرام وأساطينه وأبوابه، ثم مسجدي المزدلفة ومسجد منى (الخيف)، ثم عاد للكلام على الحرم الشريف وعدد الطرق الموصلة إليه من الجهات الأربع[١].

وبعد أن تحدث ابن رستة الكلام عن مكة وما فيها من المشاعر المقدسة، انتقل للكلام على المدينة المنورة، وسماها "يثرب مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم -"، وكان قد زار المدينة سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م[٢] فتحدث عبر نحو عشرين صفحة من كتابه عن طيب بقعتها ومناخها، ومن سكنها من القبائل العربية في الجاهلية حتى مجيء الإسلام وقيام دولته، وبناء مسجدها (المسجد النبوي) في موضع المربد، وهيئته وما زيد عليه وأضيف إليه حتى زمنه (القرن الثالث الهجري)، ويذكر أن المعتضد بالله أمر في سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) بتجديد عمارة المسجد وتوسعته، وقدم وصفاً لهيئة المسجد وما على جدرانه من كتابات منقوشة، وصفة منبر الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وعدد أساطين (أعمدة) المسجد وما تمت زيادته عليه في زمنه، وعدد القناديل المعلقة فيه، وعدد أبوابه وصفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وختم الكلام على المدينة بذكر الأسماء التي عرفت بها[٣].

وفي موضع آخر من كتابه عدد ابن رستة المواضع التي تقع على الطريق من بغداد إلى مكة بالفراسخ والأميال[٤]، ثم الطريق من المدينة إلى مكة[٥]، وذكر طريقا أخر لأهل العراق من معدن النقرة إلى مكة[٦]، والطريق من البصرة إلى مكة[٧]، والطريق من البحرين إلى مكة[٨]، ومن مصر إلى مكة والمدينة، ثم من دمشق إلى المدينة[٩]، وطريقان من الطائف إلى مكة[١٠]. وقدم في

---

[١] ابن رسته، أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة ص ٢٤ ــ ٥٨

[٢] بورويبة، رشيد، مسجد المدينة في حدائق الكتب الثمينة، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربيـــة، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١، ص ١٨٤

[٣] ابن رستة، الأعلاق النفيسة ص ٥٨ ــ ٧٨

[٤] ابن رستة، الأعلاق النفيسة ص ١٧٤ ــ ١٧٧

[٥] ابن رستة، المصدر نفسه ص ١٧٧ ــ ١٧٨

[٦] ابن رستة، المصدر نفسه ص ١٧٨ ــ ١٧٩

[٧] ابن رستة، المصدر نفسه ص ١٨٠ ــ ١٨٢

[٨] ابن رستة، المصدر نفسه ص ١٨٢

[٩] ابن رستة، المصدر نفسه ص ١٨٣

[١٠] ابن رستة، المصدر نفسه ص ١٨٤

تعداده لكل هذه الطرق والمسالك تعريفاً مختصراً للمنازل والمواضع التي ذكرها والصفة الغالبة عليها أو ما امتازت به.

الكتابات الجغرافية في القرن الرابع الهجري:

ترجع العديد من المؤلفات الجغرافية والبلدانية إلى القرن ٤هـ التي تعرضت لمواضع من الحجاز، خصوصاً مدينتي مكة والمدينة المنورة، ويشير النديم إلى كتاب يتناول مكة المكرمة عنوانه "مكة والحرم" من تأليف محمد بن مسعود أبو النصر العياشي (ت نحو ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)[١]، وهو كتاب مفقود لم يصلنا منه شيء ولم ينقل عنه أحد من المتأخرين.

وأيضاً كتاب "ذكر المسافات وصور الأقاليم" لأحمد بن سهل أبو زيد البَلْخيّ (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)، وهو من نمط كتب المسالك والممالك التي تناولت أقاليم العالم الإسلامي كافة، وقد صلت منه قطعة صغيرة ولم يطبع لغاية الآن، كما ذكر النديم من كتب أبي زيد أيضاً كتاب اسمه "كتاب فضيلة مكة على سائر البقاع"[٢].

ومن أشهر المؤلفات التي تناولت الجزيرة العربية بما فيها اليمن (جنوب الجزيرة)، كتاب صفة جزيرة العرب للهَمْدَانيّ، ومؤلفه هو الحسن بن أحمد بن يعقوب بن الحائك النسابة المؤرخ، لسان اليمن الهمداني (ت ٣٣٤ هـ/٩٤٥م)، ولد بصنعاء في صفر عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م[٣]، وعمل في مساعدة أسرته في عملهم بالجمالة أي: نقل الحجاج والتجار من صعدة باليمن إلى مكة[٤]، وأقام طويلاً في مكة فاستفاد من اطلاعه على المؤلفات التي شاهدها وأخذ عنها في تصنيف كتابيه: صفة جزيرة العرب وكتاب الإكليل، ويذكر كراتشكوفسكي أن الهمداني "لم يكن جغرافياً فحسب، بل وخبيراً كبيراً بأنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربية، وخاصة آثارها القديمة"[٥].

أورد الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب المدن والقرى والجبال والكور (المخاليف) والأودية ومناهل العرب القديمة والقبائل التي تسكن هذه المواضع والطرق والمسالك فيما بينها،

---

[١] النديم، الفهرست ج١، ص ٦٨٥

[٢] النديم، المصدر نفسه ج١، ص ٤٣٠

[٣] الهَمْدَانيّ، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ): صفه جزيرة العرب [تحقيق] مُحمّد بن علي الأكوع، الريـاض: دار اليمامة للنشر، ١٩٧٤م. ص ٩

[٤] الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٣٦٥، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٩٧

[٥] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٧٠

وذكر ما امتازت به هذه الأماكن من أنواع المحاصيل والمزروعات والنبات، ووسائل سكانها وأساليبهم في الزراعة والري، وما في أرضهم من معادن وأحجار، إضافة إلى كلامه على القبائل ولهجاتهم.

وفيما يختص بالحجاز فقد حدد الهمداني حدود الجزيرة العربية وذكر أن الحجاز وأرض نجد والعروض هي وسط الجزيرة العربية[١]، وتحدث عن تسمية الحجاز[٢]، والمسالك المؤدية إلى المدينة وما يحيط بها[٣]، كما تحدث عن مكة معدداً ما يجاورها من المنازل والمواضع[٤]، وتناول أيضاً ذكر طريق حجاج العراق الموصلة إلى مكة[٥]، وطريق حجاج اليمن[٦] ذاكراً المسافات بالأميال. ويظهر أنه استفاد كثيراً من معرفته الشخصية بمواضع الحجاز خلال أسفاره إلى مكة، إضافة إلى اطلاعه على مؤلفات الجغرافيين واللغويين في جزيرة العرب[٧].

وقد استفاد من عمل الهمداني كل من ابن خرداذبه والبكري في كتابه معجم ما استعجم، ونقل عنه في مواضع عديدة.

كما ويشار من بين مؤلفات الهمداني إلى "كتاب الإكليل" والذي جعله في عشر مجلدات فإن القسم المتبقي منه كان مفيداً في دراسة الحياة الاجتماعية بما تضمنه من معلومات عن القبائل والعشائر في الجزيرة العربية وجنوبها، وهو يعتبر من المصادر الأصيلة في دراسة اليمن وتاريخها[٨].

---

[١] الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٣٩

[٢] الهمداني، المصدر نفسه ص ٨٤ ــ ٨٥

[٣] الهمداني، المصدر نفسه ص ٢٤٤

[٤] الهمداني، المصدر نفسه ص ٢٨٨

[٥] الهمداني، المصدر نفسه ص ٢٩٩ ــ ٣٠١

[٦] الهمداني، المصدر نفسه ص ٣٠٣

[٧] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٧١

[٨] أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٩٨

أما أبو الفرج قُدَامة بن جعفر الكاتب البغداديّ (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م) فقد نشأ في بغداد وكان أبوه نصرانيا[١]، وعمل قدامة محاسباً في ديوان الخراج بمدينة بغداد[٢]، ثم عين في عهد الخليفة المقتدر بالله على رأس ديوان الخراج بعد أن اعتنق الإسلام سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، وهو ما أتاح له معرفة مسالك البريد وطرقها في كافة أقاليم الدولة الإسلامية في المشرق والمغرب[٣]، فألف كتاباً عنوانه "الخراج وصناعة الكتابة" وجعله على ثماني منازل (أقسام)، كل قسم مستقل بذاته، والمتبقي منه الآن الأقسام الأربعة الأخيرة، بعد أن ضاع ما قبلها، ألفه بحدود سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، وهو يتضمن معلومات اقتصادية بما يتصل بالخراج وأيضاً معلومات إدارية تتعلق بالدواوين وتنظيمها، وهي ذات فائدة لكل الدراسات المتعلقة بتاريخ الدولة الإسلامية وأقاليمها المختلفة بما فيها الحجاز، وتمثل وثيقة هامة عن قيمة ما يرتفع من مملكة الإسلام والجبايات التي ترد من النواحي والأقاليم[٤].

أما الجانب الجغرافي فقد ابتدئ فيه قدامة البغدادي بذكر العراق التي وصفها بأنها "قصبة مملكة الإسلام"[٥]، فهو يقدمها لمكانتها السياسية كعاصمة للدولة الإسلامية، تماماً مثلما فعل ابن خرداذبة وابن رستة واليعقوبي وغيرهم. وبينما توسع في الكلام على مدن العراق والمشرق الإسلامي فقد مر مروراً سريعاً على الجزيرة العربية، فذكر نجد والحجاز واليمن وعدد منها أسماء المدن والمواضع التي تتبع للمدينة المنورة[٦]، وتناول في أحد أبواب كتابه "فتوح النواحي والأمصار" فذكر الفتوح التي تمت زمن النبي صلى الله عليه وسلم للمدن الحجازية[٧].

ويشار من بين مؤلفي الجغرافية المبكرين أيضاً إلى أحد أعلام هذا الفن وهو ابن الفقيه الهمذاني واسمه: أحمد بن مُحمّد بن إسحاق الهَمَذانيّ (ت نحو ٣٤٠هـ/٩٥١م)، انتهى من تأليف كتابه "كتاب البلدان" سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م ترجيحاً[٨]، وقد انتقد المقدسي كتابه، وعاب عليه أنه "لم

---

[١] أحمد رمضان، المرجع نفسه ص ٦٣

[٢] نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٦٥

[٣] أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٦٣

[٤] أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٦٥

[٥] قدامة، كتاب الخراج ص ١٥٩

[٦] قدامة، المصدر نفسه ص ١٨٠

[٧] قدامة، المصدر نفسه ص ٢٥٦ ــ ٢٨٤

[٨] ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ١٢، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ٢٢٢، نفيس أحمد، الفكر

يذكر إلا المدائن العظمى ولم يرتب الكور والأجناد"[١]، وكان أكثر من نقل عنه ياقوت الحموي، أخذ عنه في مئة وثلاث مواضع، ثم زكرياء القزويني في عدة مواضع من كتابه آثار البلاد وأخبار العباد.

أما فيما يتعلق بالمواضع الحجازية، فقد قدم ابن الفقيه معلومات قيمة عن جغرافية العديد من مدن الإقليم، خصوصاً مكة المكرمة التي أفرد لها باباً سماه "القول في مكة"، تحدث فيه عن تسميتها وفضائلها ثم الكعبة والمسجد الحرام وأطواله وعروضه وحدوده[٢]، وتحدث عن الطائف[٣]، ثم تناول في باب القول في المدينة الأسماء التي أطلقت عليها، وفضلها، وذكر مسجدها النبوي الشريف، ومناخها، وما تمتاز به من مزروعات وخصائص، ثم تحدث عن عدد من المواضع التي تحيط بها[٤]. وأخيراً تحدث عن الفرق بين تهامة والحجاز ولما سمي كل منها بهذا الاسم[٥]. وتناثرت في ثنايا كتابه معلومات قيمة منها ما يتعلق بمواسم المطر في الحجاز، وطبيعة أراضيها[٦]، وذكر أحوال الناس فيه ووصفهم بالفقر مع توفر القناعة[٧]، وأنهم أهل معازف ولهو ومداعبة وتأنيث[٨].

ولأهمية المعلومات التي أوردها ابن الفقيه فقد نقل عنه البكري وياقوت والسمهودي وغيرهما[٩].

وإلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري ينتمي الإصطخريّ، واسمه إبراهيم بن مُحمّد الفارسي، أبو اسحاق، وحمل كتابه عنوان "كتاب مسالك الممالك"، والمعلومات عن حياته قليلة ويرد

الجغرافي ص ٦٢

[١] المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤

[٢] ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٧٤ ــ ٧٨

[٣] ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ٧٩

[٤] ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ٨٠ ــ ٨٤

[٥] ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ٨٤

[٦] ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ٩٢، ٤٩٠

[٧] ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ١٢٩

[٨] ابن الفقيه، المصدر نفسه ص ٤٣٦

[٩] أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٨٥

أنه سافر كثير وارتحل إلى بلدان عديدة، وأنه التقى بابن حوقل في حدود سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، كما يرد بأنه استفاد في تأليف كتابه من أستاذه أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت٣٢٢هـ / ٩٣٤م)[١].

ابتدأ الإصطخري ــ كما فعل ابن رستة ــ بذكر ديار العرب أي: الجزيرة العربية، "لأن فيها الكعبة ومكة: أم القرى، وهي واسطة عقد الأقاليم... وهي بلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم"[٢]، وقدم صورة تقريبية لجزيرة العرب، فذكر عدداً لا يزيد عن ٢٥ موضعاً من الجزيرة ووصفها بإيجاز واختصار، فابتدأ بمكة ثم المدينة يليهما بقية المدن، وامتاز بأسلوب المقارنة بين المدن فهو يشير إلى أن مكة أكبر مدينة، حيث تبلغ ضعفي مساحة المدينة المنورة، وتليهما في الكبر اليمامة وبعدها في المرتبة الرابعة وادي القرى، ويذكر أن الجار هي ميناء المدينة وأن جدة ميناء مكة، ويقول: "ليس بعد مكة أكثر مالاً وتجارة من جدة، وقوام تجارتها بالفرس"[٣]، كما تعرض لذكر مياه ومزروعات المدن الحجازية[٤].

وممن يشار إليهم من بين جغرافيي القرن الرابع الهجري المسعوديّ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، ترك عدداً كبيراً من الكتب الجغرافية والتاريخية، وقد ضاعت أغلب كتبه، ولم يصل منها كاملاً سوى كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وكتاب "التنبيه والإشراف"، وقسم من كتابه "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران"[٥].

ويمتاز المسعودي بكونه يجمع بين صفتي المؤرخ والجغرافي الرحالة، وقد أمضى زمناً طويلاً من حياته في التجوال بين أقاليم الدولة جامعاً لمعلوماته ومشاهداته التي ضمنها كتبه ومؤلفاته، فزار عدة مناطق منها: الهند والسند والصين وعُمان وغيرها ثم تنقل على الشواطئ الجنوبية لبحر قزوين فزار آسيا الصغرى وإصطخر والشام وفلسطين ومصر[٦].

---

[١] أحمد رمضان، المرجع نفسه ص ٧٩ ــ ٨٠

[٢] الإصطخريّ، مسالك الممالك ص ٣، ١٢

[٣] الإصطخريّ، المصدر نفسه ص ١٩

[٤] الإصطخريّ، المصدر نفسه ص ١٥ ــ ١٨

[٥] المسعوديّ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران [تقديم] عبد الله الصاوي. ط ٣، بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٨م.

[٦] نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٧١

وينقسم كتاب مروج الذهب إلى قسمين تناول في الأول منه وصف الخليقة وقصص الأنبياء وتاريخ الأمم القديمة وأديانها وعاداتها وتقاويمها. أما القسم الثاني فقد خصصه لتاريخ الإسلام من أواخر عهد الخلفاء الراشدين حتى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م في خلافة المطيع بالله العباسي[١]، ووردت في ثنايا الكتاب معلومات عن المدن والمواضع الحجازية، فقد تحدث عن التاريخ القديم لمكة المكرمة وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها من القبائل[٢]، ثم تناول ذكر بوادي العرب وسبب سكناها البوادي، وعاداتهم من القيافة والزجر وسنيهم وشهورهم وتسمياتها فيما قبل الإسلام، وابتداء من الجزء الثالث حتى الخامس تناول تاريخ الدولة الإسلامية منذ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى السنة التي توقف عندها الكتاب (سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م). وكان الحجاز بمواضعه والأحداث التي جرت فيه حاضراً في أثناء ذلك كله، فالمسعودي يحدد الطريق الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة، وذكر تأسيس مسجد المدينة وتحويل القبلة بعد قدوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بثمانية عشر شهراً وتحدث عن إعادة بناء المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك[٣]، وأورد كثيراً من أخبار الأحداث السياسية التي وقعت بالحجاز كخبر ابن الزبير ومحاصرته بمكة سنة ٧٢هـ/٦٩١م[٤]، ثم مقتل محمد بن الحنفية بالمدينة سنة ٨١هـ/٧٠٠م[٥].

وشكلت مادة المسعودي ومعلوماته مادة للنقل لدى كثير من المؤلفين المتأخرين سواء في حقل الجغرافية أو التاريخ، فقد نقل عنه البكري وجمال الدين ابن المجاور في كتابه "المستبصر" وياقوت وغيرهم[٦].

ويعتبر ابن حوقل من أشهر جغرافيي القرن الرابع الهجري، ليس فقط فيما يختص بالحجاز والجزيرة العربية بل بكل أقاليم العالم في زمنه، واسمه: مُحمّد بن حوقل البغدادي (ت

---

[١] أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ١٠٤

[٢] المسعودي، مروج الذهب ج٢، ص ١٦١ ــ ١٧٨

[٣] المسعودي، مروج الذهب ج٣، ص ١٨ ــ ٢٠، بورويبة، رشيد، مسجد المدينة في حدائق الكتب الثمينة، النــدوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١، ص ١٨٥

[٤] المسعودي، مروج الذهب ج٣، ص ٣١٥ وما بعدها

[٥] المسعودي، المصدر نفسه ج٣، ص ٣١٩ ــ ٣٢١

[٦] بشير، بشير إبراهيم، ابن المجاور: دراسة تقويمية لكتابه تاريخ المستبصر، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ٢، ص ٤٦

٣٦٧هـ/٩٧٧م)، وسمى كتابه في الجغرافية "صورة الأرض". واعتمد في تأليفه على المعلومات التي تجمعت لديه من رحلاته الطويلة التي استغرقت أكثر من ٣٠ عاماً[١].

يشير ابن حوقل في مقدمة كتابه إلى أنه "فصل بلاد الإسلام إقليماً إقليماً، وصقعاً صقعاً، وكورة كورة، وابتدئ بذكر ديار العرب فجعلها إقليماً واحداً لأن الكعبة فيها، ومكة أم القرى، وهي واسطة هذه الأقاليم عندي"[٢]. وهو بذلك يخالف ما سار عليه ابن خرداذبة واليعقوبي وقدامة بن جعفر الذين أخروا الكلام عن جزيرة العرب وقدموا عليها سواها خصوصاً العراق والمشرق الإسلامي، ومع ذلك فقد جعل ابن حوقل الباب الأول من كتابه خاصاً بالجزيرة العربية، وأعاد التذكير بأنه يبتدئ بذكرها "لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى وبلد العرب وأوطانهم لم يشركهم في سكناها غيرهم"[٣], ثم رسم حدودها شارحاً خريطته لصورة ديار العرب[٤]، وشرع في تعداد مدنها ابتداءً من مكة وما يحيط بها وصفة المدينة وما فيها من معالم مقدسة[٥]، ثم تحدث عن المدينة المنورة وقدر مساحتها بأنها نصف مساحة مكة، وذكر عدداً من المدن والمواضع الحجازية المشهورة كمدينة الجار وجدة والطائف والحجر وتبوك والجحفة وينبع، وأورد ذكر ما يحيط بهذه المدن من المواضع والأودية والجبال وما تمتاز به كل منها[٦]. وفي آخر كلامه عن أقاليم الجزيرة العربية حدد المسافات بين مدنه، وذكر الطرق المسلوكة وما تتصف به من السهولة والأمان[٧].

وقد امتاز ابن حوقل عمن سبقه من الجغرافيين بالدقة في أوصافه، فمثلاً نجده ينقل كلام الاصطخري المتقدم عن مدينة جدة ويضيف عليه ما رآه انعكاساً للظروف السياسية في زمنه بقوله: "وكانت جدة عامرة كثيرة التجارات والأموال ولم يكن بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها، فلما أقام بها ابن جعفر الحسني تشتت أربابها ورزحت أحوالها"[٨].

---

(١) نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٦٨

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٥ ــ ٦

(٣) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ١٨

(٤) انظر رسمه لجزيرة العرب في الملحق رقم (١)

(٥) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٢٨ ــ ٣٠

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٠ ــ ٣٤

(٧) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٣٩ ــ ٤١

(٨) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٣٢

ومن مؤلفي هذا القرن من الجغرافيين يأتي اسم الحسن بن عبد الله بن المرزبان االسيرافي (ت نحو ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م)، وهو قاض ونحوي وعالم باللغة وعلوم القرآن، ألف كتاباً مستقلاً عن الجزيرة العربية عنوانه: "كتاب جزيرة العرب"[١]، وقد نقل عنه البكري وياقوت في مواضع قليلة، وذكر كتابه باسمه "جزيرة العرب" عند الكلام عن مادة أجياد[٢].

ويذكر النديم من مؤلفي القرن الرابع الهجري مؤلف اسمه أبو بكر بن محمد بن عبد الله الأبهري، شيخ المالكية في وقته، ولد في أبهر سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م وتوفي سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، له كتاب "فضل المدينة على مكة"[٣]. وهو كتاب مفقود مجهول.

ووصلت المدرسة الجغرافية الإسلامية غاية تطورها بالعمل الذي قدمه شمس الدين مُحمّد بن أحمد المقدسيّ البشاريّ (ت نحو ٣٨٠ هـ/٩٩٠م)، وسماه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم". اقتصر فيه على ذكر مملكة الإسلام وتجاوز عما أسماه "ممالك الكفار"[٤]، وهو يعتبر من كبار الجغرافيين الرحالة، فقد زار جميع أرجاء العالم الإسلامي باستثناء الهند والأندلس، وامتاز بنظرته الدقيقة وملاحظاته الشخصية لما شاهده من أخلاق وطباع الشعوب وعاداتهم ووسائل كسب العيش والعمل لديهم[٥].

وبعد أن قدم المقدسي لكتابه بمقدمات عن هيئة الأرض وأقاليمها، ابتدأ بذكر جزيرة العرب وقسمها إلى أربعة أقسام: أولها الحجاز وقصبتها مكة ثم اليمن ثم عُمان ثم هجر، وعدد المدن والنواحي التي تتبع إلى كل إقليم، فتحدث عن مكة وما يدخل في نطاق الحرم كمنى والمزدلفة وعرفة ووادي محسر والتنعيم، وذكر مواضع حجازية أخرى كالجحفة وقرن والذبيب والجعرانة والطائف وجدة وأمج والسوارقية والفرع والمدينة المنورة والبقيع وأحد والعقيق وبدر والجار والعشيرة وغير ذلك الكثير من المدن والمواضع[٦].

---

[١] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ١٢٧

[٢] ياقوت، معجم البلدان ج١، ص ١٠٥، محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي ١١٥

[٣] النديم، الفهرست ج٢، ص ١٣

[٤] المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٩، محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي ١٢٤

[٥] نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٧٢

[٦] المقدسي، المصدر نفسه، ص ٦٩، ٧١ ــ ٨٤

وجرياً على منهجه في تأليف الكتاب فإنه بعد أن يذكر النواحي والمدن التي تتبع الإقليم يخصص فصلاً للكلام على طبيعة ومميزات الإقليم وسكانه وطبيعة معاشهم، يسميه "جُمل شؤون هذا الإقليم"، فتحدث عن مذاهب أهل الحجاز، وذكر أن أغلب أهل جدة هم من الفرس[1]، ولعله خلط بين تجار المدينة الذين ــ كما ذكرهم الاصطخري ــ هم من الفرس وبين أهل المدينة الأصليين. ومن الإفادات التي قدمها أيضاً ما يتعلق بالتجارة والأسواق والضرائب والمكوس وأنواع البضائع ومكاييلهم ونقودهم وأصناف الحرف والمهن التي يعمل بها الأهالي وملابسهم، وتحدث عن مياه أهل الحجاز ومصادرها المختلفة، وذكر المعادن والأحجار التي في أراضيهم، واستعرض المشاهد والمزارات والمساجد التي بمكة، ثم تكلم على أخلاق أهل مكة وهو يتفق مع غيره أن في أخلاق أهل مكة جفاء، وختم هذا الباب بذكر مسافات الطرق بين المدن والنواحي بالمراحل والأميال[2].

وإلى أهل القرن الرابع الهجري ينتمي أحد الجغرافيين الذين كتبوا عن الحجاز، وهو محمد بن أبي بكر التلمساني وهو شخص غير معروف إلا ما يستشفُ من انتسابه إلى تلمسان من أرض المغرب الأوسط (الجزائر)، أما بقية الدلائل التي درسها محقق الرسالة (الكتاب) فتشير إلى أنه من علماء القرن الرابع الهجري وأنه قدم إلى مكة ــ أو كان موجوداً فيها ــ بين سنتي ٣٥٨ ــ ٣٨٤هــ)، وعنوان رسالته هو "وصف مَكّة شرّفها الله وعظمها، ووصف المدينة الطيبة كرّمها الله، ووصف البيت المقدس المبارك وما حوله"[3]. ويبتدئ رسالته بوصف مكة: "صفة مكة وأرباضها والجبال المحيطة بها وأسماء أرباضها"، وفي هذا الباب يتناول مقاييس الكعبة المشرفة من الخارج والداخل وارتفاعها، وصفتها، ووصف الحجر الأسود والمقام وبئر زمزم، ثم وصف المسجد الحرام وطوله وعرضه ومناراته وأبوابه وسواريه وقناديله، وموضع رمي الجمرات ومسجد المزدلفة وعرفات وغير ذلك من المشاعر المقدسة بمكة المكرمة[4]، ثم انتقل للحديث عن المدينة المنورة، فتحدث عن المسجد النبوي وطوله وعرضه وصفته، والروضة الشريفة ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم ومحرابه وقبره الشريف، كما عدد أبواب المسجد العشرون، وما في المسجد من أعمدة

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٩٦

[2] المقدسي، المصدر نفسه ص ٩٧ ــ ١١٣

[3] التلمساني، وصف مَكّة والمدينة، ص ٣٢٤ ــ ٣٥٧.

[4] التلمساني، المصدر نفسه ص ٣٣٧ ــ ٣٤٩

وأساطين، ثم تحدث عن مسجد قباء وبئر قباء الواقعة غربي المسجد النبوي وما هو بخارج المدينة من آثار الصحابة وقبور الشهداء أسفل جبل أحد[١].

وآخر الجهود الجغرافية التي تنتمي للقرن الرابع كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب[٢]، كتب بالفارسية مؤلف مجهول سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م، وهو يتضمن معلومات جغرافية عن بعض الأقاليم القاصية كالهند والصين والتبت وبلاد البلغار والقوقاز وغيرها، إضافة إلى ذكر العراق وبلاد الشام وديار العرب ومصر والعراق[٣].

وابتدأ كتابه بذكر البحار والجزر والجبال والأنهار والصحارى والمفاوز، ثم بعد ذلك شرع في الكلام على الأقاليم، ومادته بشكل عام مركزة ودقيقة، وتخلو من الإسهاب والاستطراد.

وفي كلامه على ديار العرب ذكر حدودها من الجهات الأربع، وما تمتاز به خصوصاً المزروعات، وذكر عدداً من المدن الحجازية كمكة والمدينة وجدة والجار والطائف وغيرها[٤].

وجميع المؤلفات التي تقدم ذكرها هي من نمط الكتب الجغرافية أو المسالك والممالك وليس الرحلات، ولعل أقدم رحلة يمكن أن يشار إليها هي رحلة ناصر خسرو القباداني إلى العراق والشام ومصر والجزيرة العربية، وكانت في منتصف القرن الخامس الهجري، وبالرغم من أنها متأخرة قليلاً عن التاريخ الذي تتناوله الدراسة، إلا إن الإفادات والملاحظات التي قدمها هي في غاية الأهمية، لأنها من أقدم الرحلات التي وصلتنا ولكونها نابعة عن ملاحظة مباشرة واطلاع على الأماكن ومشاهدتها. وقد سمى ناصر خسرو رحلته باسم "سفرنامه"، ولم يسر ناصر خسرو على مجرد السرد بل كانت تسجيلاً وثائقياً لكثير من نواحي الحياه الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية في الجزيرة العربية[٥].

---

[١] التلمساني، المصدر نفسه ص ٣٥٠ ــ ٣٥٥

[٢] مجهول (مؤلف من أهل القرن الرابع الهجري، كتبه سنة ٣٧٢هـ): حدود العالم من المشرق إلى المغرب. (طبعة مزيدة ومنقحة)، [تحقيق] يوسف الهادي، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٢م.

[٣] نفيس أحمد، الفكر الجغرافي ص ٧٨

[٤] مجهول، حدود العالم ص ١٢٤ ــ ١٢٧

[٥] البدلي، أحمد خالد، جزيرة العرب كما رآها الرحالة ناصر خسرو القباداني، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد ٦، ص ٩

ويحمل كلام ناصر خسرو عن مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف معلومات قيمة وتاريخية كبيرة، تكشف جوانب مجهولة من تاريخ هذه المنطقة[١]، وكتب مشاهداته بعد قيامه بأداء فريضة الحج أربع مرات كما يذكر، ومجاورته بالحرم المكي[٢]، فقد وصل إلى جدة وتحدث عن المدينة الساحلية وحصونها وسكانها وحواريها وأزقتها ومصادر المياه فيها، ووصفها بأنها مدينة كبيرة محصنة بسور ولها أسواق[٣]، وقدر ناصر خسرو عدد سكانها بنحو خمسة آلاف نسمة[٤].

وعندما وصل مكة المكرمة تحدث عن البيت الحرام وأبوابه وصفة الكعبة وهيئتها وبابها ومقام إبراهيم وبئر زمزم، وتحدث عن مراسم فتح باب الكعبة والذي يحفظ مفتاحها عند واحد من آل الشيبي الذين في يدهم سدانة البيت منذ صدر الإسلام، وأشار ناصر خسرو إلى أم القرى وما حولها، وذكر أن مدينة مكة لا تظهر إلى زائرها من بعد إلا إذا اقترب منها[٥]، وتكلم على جبلها "جبل أبي قبيس"، وعلى ما يحيط بالحرم الشريف من أسواق كثيرة ودروب ضيقة تخص بالمتاجر، وذكر الصفا والمروة والجعرانة ومشعر عرفات، وذكر أجناس المجاورين بمكة من عراقيين وخراسانيين ومغاربة، وعن منازل هؤلاء المجاورين وما يظهر عليهم من رغد العيش ونعومته، والأزقة التي يسكنون بها.

ويذكر ناصر خسرو مصادر المياه لأهل مكة في شربهم وسقي مزروعاتهم[٦]، ويصف مياههم بأنها مياه شديدة الملوحة وفيها مرارة لكن أهلها يلجأون إلى الشرب من مياه الأحواض والآبار التي أقيمت فيها لتجميع مياه الأمطار، منها بئر يسمى بئر الزاهد ماؤه عذب ينقله السقاؤون إلى مكة[٧]. أما عدد سكانها فهم نحو ألفي نسمة إضافة إلى خمسمائة من الغرباء، وهذا يشير إلى أن عدد سكان مكة يبلغ نصف عدد سكان جدة، كما أشار ناصر خسرو إلى مناخ مكة وطقسها الذي

---

[١] البدلي، حدود العالم ص ٩

[٢] خسرو، سفرنامه ص ١٢٧، ١٤١، ١٥٠، البدلي، جزيرة العرب ص ٢٤

[٣] خسرو، المصدر نفسه ص ١٣٧ـــ ١٣٨، البدلي، المرجع نفسه، ص ١٨، ٢٠

[٤] خسرو، المصدر نفسه ص ١٣٧، البدلي، المرجع نفسه، ص ٢٠

[٥] خسرو، المصدر نفسه ص ١٣٨ ـــ ١٤١، البدلي، المرجع نفسه، ص ٢١

[٦] خسرو، المصدر نفسه ص ١٤٠، البدلي، المرجع نفسه، ص ١٨ ـــ ١٩، ٢١

[٧] خسرو، المصدر نفسه ص ١٤١، البدلي، المرجع نفسه، ص ٢٣، ٢٤

وصفه بأنه حار جداً، وذكر أن بها كثير من الخضروات والثمار كالخيار والباذنجان والعنب المجلوب من ريف الحجاز والبطيخ وغيرها من الثمار[١].

ويوثق ناصر خسرو لمواسم القحط التي أصابت الحجاز في عدد من السنوات التي صادفت وجوده في الحجاز، ومنها القحط الشديد في سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م ونصيحة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله للناس بإبطال موسم الحج في ذلك العام من خلال مرسوم أورد ناصر خسرو نصه وهو: "يقول أمير المؤمنين أنه ليس من الخير أن يسافر الحجاج للحجاز هذا العام فإن به قحطاً وضيقاً، وقد هلك به خلق كثيرون وإني أقول هذا شفقة بالمسلمين"[٢].

وفي كلامه عن الطائف، يشير ناصر خسرو إلى أن المدينة منطقة جبلية باردة جداً، وأنها محصنة بسور محكم، وحجمها أكبر من القرية ودون المدينة، وتكثر فيها أشجار الرمان والتين. كما لاحظ فيها وجود مقابر بعض الصحابة منهم قبر عبد الله بن العباس رضي الله عنه وأن خلفاء بني العباس قد أقاموا على القبر مسجداً[٣].

ولا يمكن تجاوز ذكر الجغرافي أبو عبيد البكري، وهو عبد الله بن عبد العزيز البكري القرطبي، وبالرغم من أنه لا ينتمي لحقبة الدراسة، فهو وإن كان من أهل القرن الخامس الهجري حيث ولد سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٤م وتوفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، أي في فترة قريبة جداً من نطاق الدراسة، إلا أن مادته التي ينقلها عن الجغرافيين المبكرين تمثل تعبيراً صادقاً عن أحوال الحجاز في القرون الأربعة الأولى.

وميزة البكري أنه احتفظ بنصوص ونقول كثيرة أخذها عمن سبقه من الجغرافيين والمؤلفين وامتاز أيضاً بضبطه الواضح للأسماء بما يتلافى معه التصحيف والتحريف في أسماء المواضع. فهو ينقل عن أبي عبيد الله عمرو بن بشر السكوني في كتابه "جبال تهامة ومحالها"، وذكر البكري أن السكوني يأخذ عن أبي الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندي وعرام بن الأصبغ السُلَمي[٤]، وشملت مادة البكري المنقولة من السكوني فصولاً تتعلق ببعض سواحل إقليم الحجاز

---

[١] خسرو، سفرنامه ص ١٤١، البدلي، جزيرة العرب ص ٢٤

[٢] خسرو، المصدر نفسه ص ١٢٥ ــ ١٢٦، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٢٤٤

[٣] خسرو، المصدر نفسه ص ١٥٤ ــ ١٥٦، البدلي، جزيرة العرب ص ٣٦ ــ ٣٧، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص ٢٤٦

[٤] البكري، معجم ما استعجم ج١، ص ٤ ــ ٥، العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ص ١٤٣

والمناطق الجبلية من الحجاز، وخيبر وفدك وتيماء والنقيع والربذة وضرية وفيد، وهذه النصوص أخذها السمهودي أيضاً وأوردها في كتابه[١]، والبكري أيضاً ينقل عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كثير من المواضع، وينقل أيضاً عن الأصمعي. أما كتاب البكري فقد أخذ عنه ياقوت كثيراً واستفاد من مادته[٢].

وكتاب البكري "معجم ما استعجم" يتناول بالدرجة الأولى جزيرة العرب اقتصر فيه على مواضعها فقط، وجاء في مقدمته: "هذا كتاب ذكرت فيه جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار (جمع حرة: الأرض البركانية)"[٣].

وهو يمثل مرجعاً مهماً لكل دارسي التاريخ العربي القديم وجغرافية الجزيرة[٤]، وقد رتبه على حروف الهجاء، وله ميزة أخرى أنه وضع للكتاب مقدمة طويلة تناول فيها حدود بلاد العرب وأقسامها الجغرافية: الحجاز وتهامة ونجد واليمن، وتسمية كل منها وذكر جبالها وأوديتها، وتحدث فيها أيضاً عن القبائل العربية التي سكنت في أقسام الجزيرة مؤرخاً لتنقلاتها وارتحالها والأسباب الداعية لهذا التفرق الحاصل لبعضها ووقائعها وأيامها المعروفة، بل ويذكر القبائل الحجازية التي كانت تقطن الحجاز عند مجيء الإسلام[٥].

أما كتابه الجغرافي الآخر فهو الممالك والمسالك، ويختلف عن المتقدم في اشتماله على أقاليم أخرى إضافة إلى الجزيرة العربية، والمادة التي أوردها عن الجزيرة تضمنت تحديد الجزيرة من الجهات الأربع، ذكر ذلك في باب سماه "جملة القول في جزيرة العرب"، وعدد ما خصت وامتازت به الجزيرة من الأحجار والمعادن كاللؤلؤ والزبرجد والعقيق والجزع والشب وحجارة المسن، وذكر المنتوجات التي تستخرج من الأشجار كاللبان والصمغ العربي واللك والتمر الهندي، وتناول أيضاً المصنوعات كالمنسوجات والجلود.

---

[١] العلي، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، ص ١٤٧

[٢] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ج١، ص ٢٧٨

[٣] البكري، معجم ما استعجم ج١، ص ١

[٤] كراتشكوفسكي، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٨

[٥] البكري، المصدر نفسه، ج١، ص ١ــ ٩٠

كما تحدث البكري عن مسالك الجزيرة ومدنها فتناول كل إقليم من أقاليمها وذكر الطرق والمسالك في كل منها، وعدد المدن والقرى والمواضع المشهورة، وخص مكة بمساحة كبيرة من كلامه فتحدث عن ولاة البيت بعد إبراهيم عليه السلام والأحداث التي وقعت في البيت الحرام والكعبة، وتاريخ بناء البيت الحرام وانهدامه بعد إبراهيم عليه السلام، والزيادات التي تمت عليه في مراحل لاحقة. وتحدث عن المشاهد في الحرم كالحجر والملتزم والحطيم وزمزم ومقام إبراهيم عليه السلام والصفا والمروة، كما عدد جبال مكة وشعابها وأوديتها والنواحي التي تجاورها كمنى، وذكر الطريق التي تربط بين مكة والمدينة مع ذكر المساجد التي عليها، وكذلك الطريق بين مكة والبصرة وطريق عُمان إلى مكة، كما تحدث البكري في هذا الكتاب عن المدينة المنورة بتوسع واستفاضة، فتناول الحرم النبوي والروضة الشريفة، ومسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وعدد الجبال التي في المدينة وجوارها، وذكر أول من نزل بها من اليهود والعرب قبل الأوس والخزرج، ثم أخيراً ذكر الطريق التي تربط بين المدينة وبيت المقدس وطريق مصر وحدد المنازل الواقعة على هذه المسالك(١).

وآخر الجغرافيين الذين قدموا مساهمة عن الديار الحجازية، هو محمد بن محمد بن عبد اللـــه الشّريف الأدريسيّ، أبو عبد اللـــه (ت ٥٦٠هـــ/ ١١٦٤م)، وهو من أشهر جغرافيِّي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ولد بمدينة سبتة سنة ٤٩٣هـــ/ ١٠٩٩م، وفيها تلقى علومه، وبدأ رحلاته في سنٍّ مبكّرة، فزار بلاد شمالي إفريقية وبلاد الأندلس وجال في أقطار المشرق فزار مصر والشّام وبلاد آسيا الوسطى والحجاز. ثم أقام في كنف الملك رُجّار الثاني صاحب صقلية، ووضع له كتابه "نزهة المُشْتاق في اختراق الآفاق"؛ مُستفيداً من معرفته الجغرافيّة الواسعة التي اكتسبها من رحلاته المتعددة في أجزاء من أوروبا وبلدان العالم الإسلاميّ، وأضاف إلى كتابه خرائط عديدة بلغت نحو سبعين خريطة وغطت العالم بدقة، والتزم فيها مقياس الرسم وتحديد الخطوط ودوائر العرض، ورسمها على أساس أن الأرض كروية في زمن كان الاعتقاد السائد بأنها مسطحة.

تحدث الإدريسي في كتابه عن عدد من المدن والمواضع الحجازية، ذكر بعضها في الجزء الخامس من الإقليم الثاني، والبعض الأخر في الجزء الخامس من الإقليم الثالث، فتحدث عن مكة

(١) الغنيم، جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ص ٦ ــ ٧ نقلا عن كتاب المسالك والممالك.

ومعالمها الدينية وأبنيتها ومياهها ومزروعاتها، ثم وصف الطريق بينها وبين المدينة وما فيها من مواضع، كما تحدث كذلك عن الجار و جدة والطائف وغيرها الكثير من المدن والقرى الحجازية[١].

ونخلص إلى القول أن كثرة المؤلفات والكتب التي تناولت الجزيرة العربية وأقاليمها المختلفة تؤشر على مدى المكانة التي احتلتها مواضع الجزيرة ـــ خصوصاً الحجاز ـــ في قلوب المسلمين كافة، وحاجة عامة الناس إلى معرفتها ومعرفة الطرق التي تؤدي إليها، وكل المعلومات التي تساعدهم في سفرهم لأداء فريضة الحج والعمرة.

ويظهر مما تقدم أن كثيراً من المؤلفات والكتب والرسائل التي تناولت مواضع حجازية، هي مفقودة لم تصلنا، خصوصاً تلك المؤلفات التي تناولت تاريخ مكة والمدينة المنورة، لكننا استطعنا الاطلاع على بقايا منها بفضل ما حفظه لنا المؤرخون المتأخرون خصوصاً البكري وياقوت والسمهودي، وهذا يفسر اعتمادنا في كثير من الإحالات على مصادر متأخرة ككتاب البكري وكتاب ياقوت الحموي وكتاب السمهودي، إذ لم تكن هذه المصادر مقصودة بعينها إنما المقصود هو بقايا النصوص التي أوردها المؤرخون من أعمال مبكرة مفقودة.

---

[١] الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص ١٣٨ ـــ ١٤٨، ٣٥٠ ـــ ٣٥٢

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية

حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

يعرض هذا الفصل الحياة الاقتصادية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى القرن الرابع الهجري، حيث يتناول الزراعة والصناعة والتجارة وطرق المواصلات التي كانت تربط بين وحدات الحجاز، بحسب ما أورده الجغرافيون العرب في مؤلفاتهم ونصوصهم حتى القرن الرابع الهجري.

أولاً: الزراعة:

اختلفت المزروعات وأنواع النباتات في الحجاز من منطقة لأخرى، إذ تتأثر أنواع الثمار والزروع بشدة الحرارة والغبار. فازدهرت الزراعة في الطائف، ومن أشهر مناطقها الزراعية قرية مطار[١] والوهط[٢]. ووصف هواء الطائف بالشامي لتميز مناخها وبرودة مائها[٣].

وساعدت الحرار البركانية على جعل تربة المدينة جيدة الخصوبة. فالمدينة هي مدينة الزراعة والمزارعين في الحجاز[٤].

ومن نباتات الحجاز الشوحط والقرظ والضهياء وهو شجر يشبه العناب له ثمر يشبه العفص لا يؤكل وليس له طعم ولا رائحة، والرنف وهو شجر يشبه الضهياء تأكله الإبل والغنم لا ثمر له، وتنبت على جبال رضوى وعزور[٥]. كما زرع في الحجاز الخضر والفواكه[٦].

---

(1) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤٧؛ كمال، محمد سعيد، قبائل الطائف، مجلة العرب، س٢، ع٣، ١٩٦٧م، ص٢٤٦.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

(3) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩.

(4) Encyclopedia Britannica, vol.15, 2action, p. 206, 207.

(5) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦.

(6) خسرو، سفرنامة، ص١٢٤؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٩.

١ - النخيل:

وكان من بين المزروعات التي زرعت في الحجاز النخيل، إذ وصفت جزيرة العرب بأنها أشد الأقاليم حرا وقحطا ونخيلا[١]. فزرع النخل في الأودية المنحدرة شرقا عن سلسلة جبال السراة والهضبة الجنوبية حتى حدود الحجاز الجنوبية؛ وفي الأودية المنحدرة غربا عن الهضبة الوسطى والجبال الغربية. كما زرع في السروات وكانوا يحصلون منه على التمور[٢]. واشتهرت قرية الصفراء بأنها كثيرة النخيل وزرعت أشجاره أيضاً عند عين البحيرة في وادي يليل (ويسمى أيضاً وادي الصفراء)[٣]. وكان على سفح جبل نهب الأعلى نخيلات[٤]. وانتشرت النخيل في القرى في وادي خلص آرة[٥] مثل قرية وبرة[٦] وكذلك قرية الفرع[٧]، ويقع جبل شمنصير (قرب المدينة) في وادي ساية[٨]، وتحيط به مياه الينابيع وعليها تقوم أشجار النخيل[٩]. وينتشر النخيل في قرى وادي ساية، مثل قرية الفارع ومهايع وخيف ذي القبر وخيف النعم وعسفان[١٠]. ويكثر أيضاً في معدن البرم[١١]، وهو قرية بين مكة والطائف[١٢]. وفي الطائف يزرع أيضا النخيل[١٣]. ويكثر شجر النخيل بالرحضية وقرى وادي ذي رولان مثل قلهى ويقتد[١٤]. وفي قرية السوارقية يزرع النخيل بكثرة

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٣.

(2) المقدسي، المصدر نفسه، ص٨٦.

(3) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص ٨، ٩.

(4) السلمي، المصدر نفسه، ص١٨.

(5) السلمي، المصدر نفسه ، ص٢١؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٣٣.

(6) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٤٢٥.

(7) الفيروز آبادي، المصدر نفسه ، ص٣١٦.

(8) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٢٠٨.

(9) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٢٦.

(10) السلمي، المصدر نفسه ، ص٣٤-٣٧.

(11) السلمي، المصدر نفسه ، ص٤٦.

(12) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٤.

(13) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤٦.

(14) السلمي، المصدر نفسه ، ص٥٧-٥٨.

أيضا، وكذلك قرية القيا[١]. أما هضبة ذي مجر فلا نخل عليها لغلظ موضعها وخشونته رغم وفرة الماء حولها[٢]. واشتهرت بطن النخل بكثرة النخل والزرع[٣]. وتسقى نخيلات بطن مر من عين ماء جبلية في مسيل رمل بالقرب منها[٤].

أما مكة، فلا يوجد داخلها نخل[٥] أو شجر مثمر إلا الشجيرات التي تنبت في الصحراء والبادية[٦]. بينما اشتهر سوادها وما يحيط بها من أودية بإنتاج الرطب الطيب من البرني والمكتوم[٧]. وكان في موضغ نخلة في بعض الأودية حول مكة يزرع النخل[٨].

واشتهرت خيبر بكثرة ما فيها من النخل[٩]، ومن أنواعه الصيحاني والبردي[١٠].

وتعد المدينة المنورة من أكثر مناطق الحجاز شهرة بأشجار النخيل[١١]. فقد وصفت يثرب بأنها بلد النخل والبلح[١٢]، ومن أنواع تمرها الصيحاني ويميل إلى السواد والصلابة[١٣]، والفطس وهو نوع من التمر يشبه في اكتنازه وانحنائه الأنوف الخنس لأنها صغار الحب لاطئة الأقماع (أي أقماعها رقيقة كالقشرة)، والسنة[١٤]، والعجوة وهي نوع من التمر[١٥]. ويغلب على تمر المدينة

---

(1) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦٥ -٦٦.

(2) السلمي، المصدر نفسه، ص٦٧.

(3) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٧.

(4) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣١؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٨؛ قدامة، الخراج، ص ٨١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٢؛ الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٧، ١٩٧٣م، ع١٠، ص٧٣.

(5) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦١.

(6) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص ١٤٠

(7) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٩.

(8) التجيبي، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي الحسيني (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ص٣٧٦.

(9) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٩.

(10) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٥.

(11) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٣.

(12) الجاحظ، البلدان، ص ٤٨٥؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٦.

(13) الجاحظ، المصدر نفسه، ص ٤٨٥، وسماه: "الصياحي"، القزويني، آثار البلاد، ص١٠٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٢٣٦.

(14) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٧٢-٧٣، ج١٣، ص٢٢٩.

(15) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٣٥٩.

السواد[١]. ومن أنواع رطبها العدائم يتأخر ويجيء آخر الرطب[٢]. ومن أنواع نخلها بنات بحنة وهن نخل طوال، وابن طاب[٣].

وفضلت تمور العشيرة (وهي حصن صغير بين ينبع والمروة)[٤] على سائر تمور الحجاز إلا الصيحاني بخيبر والبردي والعجوة بالمدينة[٥]. ووصفت ينبع بكثرة النخل[٦]. ووادي العقيق عليه مزارع النخل[٧]. ولبني شيبة بأعلى وادي ريمة قرب المدينة نخل[٨]. ووادي الصفراء كثير النخل والزرع[٩].

وقد ورد ذكر النخلة في القرآن في قوله تعالى: "والنخل باسقات لها طلع نضيد" (سورة ق، آية: ١٠). وقد وصف المقدسي التمر بأنه خير الثمار، والنخلة بأنها سيدة الأشجار، وأورد رواية منسوبة للرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "أكرموا عمتكم النخلة"[١٠]. وعلل ابن منظور سبب تسمية النخلة بعمة الإنسان بقوله: سماها عمة للمشاكلة في أنها إذا قطع رأسها يبست كما إذا قطع رأس الإنسان مات[١١].

وربط العرب ثمر النخيل بالأنواء فقالوا: إذا طلعت الهنعة أرطب النخل بالحجاز، والهنعة من منازل القمر[١٢].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٢٧.

[2] ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٩٤؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٨.

[3] ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٥٦٧-٥٦٨، ج١٣، ص٤٦-٤٧.؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٩٨.

[4] الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٦٥٠؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢٦٤.

[5] الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢٦٤.

[6] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

[7] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٣-١٤٤.

[8] ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١١٤.

[9] ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٤١٢.

[10] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٥-١٠٦.

[11] ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٢٦.

[12] ابن منظور، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧٧.

وقد عرف أهل الحجاز عدة أنواع من التمر، فهناك البرني[١]، والمكتوم، والصيحاني[٢]، والبردي وهو من جيد التمر يشبه البرني[٣]، والفطس[٤]، والتعضوض وهو أسود عذب الحلاوة، والسنة[٥]، والعجوة[٦]، والعدائم[٧]، وبنات بحنة[٨]، وابن طاب[٩]، والطياب وهو (نخل إذا أرطب يؤخر عن اخترافه (فصل الخريف) فيتساقط عن نواه وتبقى الكياسة ليس فيها إلا نوى معلق بالتفاريق كبير، وإذا اخترفت وهي منسبتة لم تتبع النواة اللحاء)[١٠]، وأم جرذان وهي (آخر النخل إدراكا)[١١]، والعمري وهو (نخل السكر وهي طوال سحق)[١٢]، والطريق وهو (نخل يبكر بالحمل صفراء التمرة والبسرة)[١٣].

وتتطلب شجرة النخيل عناية خاصة، حيث تقتلع الركائز وهي النخل الذي ينبت في جذع النخلة وتحول إلى مكان آخر[١٤]. ويمر ثمر شجرة النخيل بعدة مراحل، فهناك السدى وهو البلح الأخضر بشماريخه[١٥]، ثم البسر الذي يتلون فيصفر ويحمر ثم يسود[١٦]. وتسمى عملية تلون البسر

---

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٧، ٣١١.

(2) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص١٠٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٢٣٦.

(3) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٧.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٧٢-٧٣.

(5) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص٦٠٧، ج١٣، ص٢٢٩.

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٣٥٩.

(7) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٩٤؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٨.

(8) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص٤٦-٤٧.

(9) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٥٦٧-٥٦٨؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ج١، ص٩٨.

(10) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٥٦٨.

(11) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٨٠.

(12) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص٦٠٧.

(13) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٢٤.

(14) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥٦.

(15) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٤، ص٣٧٦.

(16) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص٣٩٤.

واحمراره واصفراره الشقح[1]، ويسمى تلقيح النخل التأبير[2]، ويوضع التمر بعد جداده في موضع يسمى المربد أو الجرين ويجفف ليببس وينشف ثم يكنز في أوعية تسمى الربائد[3]، وكان يتم جني المبكر من النخيل في حزيران/يونيو.

ولكثرة انتشار شجر النخل في الحجاز فقد أطلق اسمه على مواضع وأودية وقرى حجازية فهناك بطن نخل وهي قرية قريبة من المدينة، ونخل وهي على مرحلتين من المدينة[4].

وكان نقع التمر بالماء أبسط طرق تحضيره وأكثرها شيوعا. كما يعجن التمر بالماء المغلي أو الحليب ويؤكل بعد تصفيته. ويصنع منه الحيس (تمر يخبز ويشوى) الذي يؤكل بعدما يشوى.

٢ - الموز:

وهو من مزروعات الحجاز؛ فاشتهرت بزراعته قرية مهايع[5]، والتي تقع غربي الحجاز على يسار عسفان في وادي ساية[6]، (ووادي ساية من أعمال المدينة[7]). كما يكثر في خيف ذي القبر [8]، والسوارقية[9]. كما عرف وادي نخلة بإنتاج الموز[10]. وغرس الموز في مر الظهران والهدى والخرار والفرع وتربة ولية. كما غرس في قباء ووادي الصفراء وبيدة.

٣ - الرمان:

ويزرع الرمان في الحجاز[11] في قرية مهايع، ويكثر في خيف ذي القبر. وتنتج السوارقية[12] والطائف[13]، كما تجود غراسة الرمان وتكثر في وادي لية.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٩٩.
(2) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص٣.
(3) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص١٧١.
(4) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٢٨؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص ٥٧، ٤٠٦.
(5) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٣٥.
(6) السلمي، المصدر نفسه، ص٣٥؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٣٩٦.
(7) السلمي، المصدر نفسه، ص٣٤؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص١٧٥.
(8) السلمي، المصدر نفسه، ص٣٦.
(9) السلمي، المصدر نفسه، ص٦٥.
(10) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٤٠.
(11) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٨.
(12) السلمي، المصدر نفسه، ص٣٥، ٣٦، ٦٥.
(13) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٢-٢٣.

٤ - العنب:

وتزرع الكروم (العنب) في الحجاز[١] في قرية مهايع والسوارقية[٢]، واختصت الطائف بالعنب المشهور بجودته[٣]، إذ تميز عنبها الطائفي[٤] بحلاوته وجودته ويفيض إنتاجه فيجفف ويصدّر كزبيب حلو[٥].واشتهرت مرتفعات السراة جنوب الطائف بعنب معتدل الطعم كبير الحب الذي بداخله[٦]. وكان في موضع نخلة في بعض أودية مكة يزرع العنب[٧]. وكان يحفظ بتجفيفه، كما يصنع منه الدبس.

٥ - التين:

أما التين فتزرع أشجاره في السوارقية وعلى جبل كري، وفي وادي لية والقرية والمدينة[٨].

٦ - الفواكه والخضراوات الأخرى:

وتزرع الفواكه والثمار مثل اللوز في الواحات المحيطة بمكة[٩]، وفي الطائف. كما يزرع اللوز والتفاح. والمشمش في قباء والقرية[١٠].

وأدى ازدهار زراعة الفواكه في المناطق المحيطة بمكة إلى عدم انقطاع الفواكه بمكة طيلة فصل الشتاء[١١]. ومع ذلك فقد كانت هناك سنوات يحدث فيها القحط في مكة[١].

---

(1) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٨.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٣٥.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

(4) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٢٣.

(5) السلمي، المصدر نفسه، ص٤٧؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤، الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص ١٤٤

(6) الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤٤.

(7) التجيبي، مستفاد الرحلة والاغتراب، ص٣٧٦.

(8) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦٥.

(9) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٩، ٣٨.

(10) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٢٢-٢٣، ٢٥.

(11) خسرو، سفرنامة، ص١٣٧.

وتزرع الخضر مثل البطيخ والخيار والقثاء والباذنجان والكراث حول مكة[٢]، فينتج البطيخ حول عين البحيرة في وادي يليل[٣]. كما يزرع فوق جبل نهب الأعلى[٤]. وزرع البطيخ في بدر وقباء. وحصاد البطيخ يبدأ من نيسان/ إبريل وأيار/ مايو[٥]. بينما يقطف البطيخ في مر الظهران بمكة في شهر آذار/ مارس. ويسمي بعض الحجازيين البطيخ الطبيخ[٦].

ويزرع الخيار في وادي مر الظهران. ويزرع الباذنجان في الحجاز في وادي الصفراء، وذلك في شهري يناير وفبراير[٧].

وقد زُرع الكراث في قباء ووادي الصفراء ووادي مر الظهران وروافده، وفي منى وبحرى، ويأكل أهل مكة الكراث بالتمر والفجل. وزرعوا البامياء واليقطين والملوخية (الخباز البستاني) والهندباء والسبانخ والسلجم أيضاً في وادي مر الظهران وقباء[٨].

وتزرع البقول حول عين البحيرة في وادي يليل[٩]. كما تزرع فوق جبل نهب الأعلى[١٠]. (ونهبان جبلان قرب المدينة هما نهب الأسفل ونهب الأعلى)[١١]. كما تزرع البقول في وادي نخلة[١٢].

ويزرع السفرجل في المدينة[١٣] والسوارقية، والطائف وعلى جبل كري[١].

---

(1) خسرو، المصدر نفسه، ص١١١؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٨٠.

(2) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٩.

(3) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩.

(4) السلمي، المصدر نفسه، ص١٨.

(5) خسرو، سفرنامة، ص١٣٧.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٨.

(7) خسرو، سفرنامة، ص١٣٧.

(8) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٩.

(9) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩.

(10) السلمي، المصدر نفسه، ص١٨؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٤١٨.

(11) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٤١٨.

(12) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٤٠.

(13) الجاحظ، البلدان، ص ٤٨٥

وتنتج السوارقية الخوخ المسمى الفرسك[٢]. وتنمو في الطائف أشجار التـوت والفـستق[٣]. وكان في موضع نخلة في بعض أودية مكة يزرع الليمون[٤]، وينفرد الجاحظ بذكر الأتـرج كأحـد مزروعات المدينة[٥].

وتنبت جبال الحجاز شجيرات وأعشاب تصلح كعلف تقتات عليه المواشي[٦].

ويزرع أهل الحجاز القت الذي يسمى الفصفصة وهي الرطبة من علف الـدواب[٧]. حيـث يتخذ علفا للجمال[٨]. واشتهر بزراعته وادي بيضان[٩].

ويقوم البدو بجمع الأعشاب والنباتات البرية التي تصلح كعلف للإبل ويبيعونها[١٠].

ويزرع قصب السكر في جبال السراة لكن القرود التي تأوي إلى جبلي يسوم وقرقـد تفـسد مزارعه[١١]. كما يزرع قصب السكر في جبال سوانان، وتأوي القرود إلى هـذه الجبـال لمنعتهـا وكثيرا ما تفسد على أصحاب قصب السكر محصولهم[١٢]. كما عرفت زراعة قصب الـسكر فـي الطائف[١٣].

---

(1) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦٥.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦٥.

(3) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٢.

(4) التجيبي، مستفاد الرحلة والاغتراب، ص٣٧٦.

(5) الجاحظ، البلدان، ص ٤٨٥

(6) خسرو، سفرنامة، ص١٢٤.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٧١.

(8) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٨٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٨.

(9) السلمي، المصدر نفسه، ص٧١.

(10) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٠؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٤.

(11) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤١ -٤٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص٢٠٤.

(12) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٨٨.

(13) Watson, A., Agricultural Innovation in Early of Islam, Cambridge University Press, London, 1983, p. 27.

الحبوب:

١ - القمح والشعير:

وانتشرت زراعة القمح (البر أو الحنطة) والشعير في الحجاز[١]، فزرعت في وادي بيضان[٢]. وانتشرت زراعة الحنطة والشعير على ماء الهباءة[٣]، (وهي أفواه آبار كثيرة، مخرقة الأسافل، يفرغ بعضها في بعض الماء العذب الطيب، وتقع على سفح جبل صحن قرب المدينة فوق السوارقية)[٤]. وزرع في الطائف حنطة تشبه اللؤلؤ[٥]. وتزرع الحنطة في بحرى في العام مرتين بعد كل ستة أشهر مرة[٦]. وكان القمح هو الطعام الرئيس للناس في الحجاز[٧]. وزرع القمح في أودية مكة. كما زرع في قرى عسفان وبدر والقرية؛ وأودية العقيق والصفراء وأمج والفرع ومر الظهران والمحرم، وورد أن معاوية بن أبي سفيان كان يجد بالمدينة وأعراضها مائة وخمسين ألف وسق (حمل)، ويحصد مائة ألف وسق من الحنطة[٨]. وصنع من القمح الخبز الذي كان يخبز في التنور في المناطق الوسطى من الحجاز. وكان يؤتدم بالخبز على الإفطار. كما زرع الشعير في تربة من جنوب الحجاز. وكانت زراعة الشعير في الهضبة الوسطى عموما والمدينة خصوصا أكثر من الجبال والهضبة الجنوبية. كما زرع في قرى عسفان وبدر والقرية؛ وأودية العقيق والصفراء وأمج والفرع ومر الظهران والمحرم. ومن أنواع الشعير في الحجاز السلت وهو شعير حامض لا قشر له أجرد[٩].

---

(1) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٣٨.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٧١.

(3) السلمي، المصدر نفسه، ص٧٢؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢١٦.

(4) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢١٦.

(5) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٢٥.

(6) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٢٦.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٦٥.

(8) خريسات، محمد عبد القادر، القطائع في العصر الأموي، مجلة دراسات، مج١٦، ع٣، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٩م، ص ٤٥، وسيشار له فيما بعد: خريسات، القطائع في العصر الأموي

(9) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٥-٤٦.

٢ - الذرة:

وتزرع الذرة في الحجاز[١]. وقد شاع أكل الذرة بين فلاحي السهل الساحلي الشمالي. كما يزرع الدخن في الحجاز[٢]، في خليص والصفراء.

ومن النباتات التي تكثر في الحجاز الأراك وشجرة أم غيلان[٣]. واشتهرت بادية المدينة بشجر البان وهو شجر له حب دهني يدخل في صناعة الطيوب ويستخدم للعلاج[٤]، وهو ينقل من المدينة إلى جميع البلدان[٥]، وعرف وادي نخلة بزراعة شجر الحنا[٦]. وينبت القرظ في جبال شراء وفي جبال سوانان وفي جبال الطائف[٧]. واشتهرت العقيق بالقرظ حيث يجلب منها إلى مكة لاستخدامه في الدباغة[٨].

٣ - الأزهار والورود:

وعرفت زراعة الأزهار والرياحين والزعفران حول مكة [٩]، وفي المدينة[١٠]، حيث تستخدم في صناعة الطيب الذي يستعمله الرجال والنساء في مكة[١١]. كما يزرع الصرح والخزامى في الطائف[١٢]. وعرفت الورود في الحجاز بالطيب وتكثر في وادي الصفراء.

---

(1) الفاسي، محمد بن أحمد الحسني المكي تقي الدين (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٢، ص٣٣٤ -٣٣٥.

(2) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، ص٣٣٤ -٣٣٥.

(3) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٨.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص٢١٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٨١

(5) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨١

(6) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٤٠.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٨٧ -٧٨٨.

(8) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٣، ٢٠، ٣٢.

(9) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٩.

(10) الجاحظ، البلدان، ص ٤٨٥

(11) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٩.

(12) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٢٣.

وينمو البشام على جبل الهيام، وفي عسفان. وينبت الدوم وهو المقل في الحجاز[١]. وسمي أهل الحجاز بأهل البهش أي البلاد التي يكون فيها البهش وهو الرطب من المقل[٢]. وللمقل فوائد طبية، فإذا أنضج المقل المكي وأكل خشنا يكون قابضا باردا مقويا للمعدة[٣]. ويكثر السنا (المقل المكي) على جبلي ثافل.

ومن نباتات الحجاز العضاه، حيث يوجد بالقرب من حرة المدينة موضع كثير العضاه موحش لا يكاد يدخله أحد[٤].

كما جمع بعض الفلاحين في الحجاز صموغ الأشجار، وذلك بخدش سيقان الأشجار الصمغية، أو ضربها بفأس في الحر الشديد ليسيل عصيرها في إناء يثبت أسفل الشجرة، ويكشط بالإبهام من حين لآخر، ثم يبرد صمغها ويوضع في أوعية.

٤ - القطن:

واعتبر القطن من محاصيل أهل الحجاز. فقد زُرع في السهل الساحلي شمال جدة في القرن الثالث الهجري[٥].

أساليب الزراعة ووسائلها:

أما الوسائل والأساليب الزراعية لدى أهل الحجاز يأتي الري من أولويات الأساليب الزراعية لأهمية الماء للزراعة، ولكونه غير متاح في بعض السنوات لكثير من المناطق الحجازية بصورة طبيعية، لذلك جاء الاهتمام بالري وأساليب الاستفادة منه[٦].

وقد استعان الفلاحون بالحيوانات في عملية حرث الأرض للزراعة وبالتالي ريها[٧]. فقد اتبع المزارعون عدة أساليب زراعية حسب مساحة الأرض وموقعها، ففي الأرض صغيرة المساحة

---

(1) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٦٥.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٦٨.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٥١.

(4) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٠٠-٣٠١.

(5) Watson, Agricultural Innovation, p. 31, 330.

(6) ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد، كتاب البئر، تحقيق رمضان عبد التواب، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص١٨٥.

(7) أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٩٢هـ، ص٩٥.

اتبعت طريقة التحويل، حيث تزرع بالتناوب عاما بعد عام. أما المناطق الواقعة جنوب جدة كالأراضي المتتابعة التدرج على سفوح سلسلة جبال السراة[١]، وعلى ذروة، فتزرع طوال العام؛ لارتفاع كمية الأمطار، وطول فترة تساقطها فكان البذر والغرس، وجني المحصول على جبال السراة في جميع أيام السنة[٢]. بينما تتأخر مواعيد الأعمال الزراعية في الطائف. ويستمر قطف الفواكه في الطائف في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر. ويستمر قطف ثمار الأشجار المثمرة (تفاح وتين وإجاص وجوز وكروم) في المناطق الدافئة في حزيران/ يونيو، وتكون بداية قطف ثمارها في المناطق الباردة في حزيران/ يونيو[٣].

وفي المناطق التي كانت تغرس فيها الأشجار، كانت تحفر حفر الغراسة وترطب بالماء، وتكبس بطين السيول والبعر (روث الماشية). ويحدد الفلاحون التراب أسفل الأشجار سنويا لانجرافه خلال السقي. وتحمى الأشجار من الرياح والحيوانات والناس والسيول بإحاطتها ببناء طيني أو حجري.

كما استخدم الفلاحون عدة أنواع من الأدوات الزراعية، فكانوا ينقلون الحب والثمر والتبن إلى البيوت مستخدمين الشكدوف (الخُرج) الذي يشبه زنبيلين متقابلين يحملان على ظهر الدابة، ويتخذ من الخشب.

كما استخدمت عدة أنواع من الساعات لتحديد أوقات الأعمال الزراعية، فاستخدمت الساعة الشمسية[٤]، وساعة الطنطورة[٥]، وتم الاعتماد على الساعة المائية لتحديد أوقات السقي ليلا في وادي القرى (العلا)، وينبع[٦].

---

(1) Doe, B., Southern Arabia, Thomas and Hadson, London, 1971, p. 17, 171-172, Encyclopedia of Islam, vol. 4, 1action, p. 160.

(2) Encyclopedia of Islam, vol. 4,1action, p. 160.

(3) موسى، محمود سعيد، الحياة الزراعية في الحجاز في القرن الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٦، ص١٠٧.

(4) Nasif, Al-Ula, p. 244, 246, 254.

(5) Nasif, Al-Ula, p. 244, 249.

(6) Nasif, Al-Ula, p. 244.

ونتيجة للقطائع الممنوحة في العهد الأموي لأفراد الأسرة الأموية وقريش وثقيف وأشـراف القبائل فقد زاد الاهتمام بالأرض واستصلاحها، وتجددت عيون كثيرة لأجل ذلـك[١]، كمـا عمـل الفلاحون والأهالي في الحجاز على حفر الآبار واتخاذها للسقي والشرب، وقد ارتبطت مواقع المدن والقرى في الحجاز بالآبار، فقد توفرت الآبار في مكة[٢]، وماء آبارها مالح ومر لا يساغ شـربه[٣]. كما حفرت بعض القبائل الآبار في مكة لخدمة الحجيج، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به بنو جمـح من حفر بئر سنبلة بمكة[٤].

وقد ساعد النشاط البركاني في المدينة على حجز المياه الجوفية مما جعل فـي الاسـتطاعة الوصول إليها في أي بقعة منها عند حفر الآبار العميقة[٥]. فالمدينة لها نخل كثيـر، وميـاه نخلهـم وزروعهم من الآبار[٦]، ومن آبارها بئر عروة بن الزبير[٧] في العقيق الأكبر[٨]، وبئر لاوة[٩] فـي قباء[١٠]، وبئر رومة وهي بئر في عقيق المدينة[١١]، وبئر جاسوم في المدينة[١٢]، وسقاية مونسة[١٣] في حرة واقم[١٤].

---

(1) خريسات، القطائع في العصر الأموي ص ٤٥

(2) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢١٤-٢٢٧.

(3) خسرو، سفرنامة، ص١٢٣.

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦١.

(5) Encyclopedia Britannica, vol.15, p. 206.

(6) الاصطخري، المسالك، ص٢٣.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٥٣؛ الفيروز آبادي، المغـانم المطابـة، ص٢٦٦.

(8) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٥٣؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢٦٦.

(9) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص١٠٢؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٨.

(10) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠١.

(11) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٤٠؛ الخزاعي، تخريج، ص١٩٣.

(12) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص٦٩، ١٥٣-١٥٤.

(13) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٣٧.

(14) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص١٨٧.

ووجد في جدة جباب (آبار كثيرة الماء بعيدة القعر) منقورة في الحجر الصلب يتصل بعضها ببعض داخل جدة وخارجها[١].

وفي قرية الحجر، وهي من نواحي المدينة بحذاء قرية الأرحضية بمحاذاة جبل قنة الحجر[٢]، آبار معونة[٣] بين جبال أبلى في طريق المتجه من المدينة إلى مكة[٤].

وفي العسيلة وهو منزل به ماء لبني أسد يقع في جبل القنان[٥]، بين مكة والمدينة، خمس آبار منها ثلاث مالحة وبئران عذبتان[٦]. وامتازت السيالة جنوب المدينة[٧] بآبارها وبأنها غدقة كثيرة المياه[٨].

أما الأبواء، وهي قرية قريبة من الفرع والمدينة[٩]، فقد توفرت فيها الآبار[١٠]. وكذلك الجعرانة شمال مكة[١١].

وتعتمد قرية الثرية[١٢] (شرق الطائف) وقرية ملل على مياه الآبار والسواقي في استعمالهم اليومي وسقي مزروعاتهم[١٣].

---

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٣-٥٤.

(2) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٠٥-١٠٦.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٧٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٠٢؛ الخزاعي، تخريج، ص٢٨٧.

(4) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٢.

(5) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٣١٨.

(6) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٢٨؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٦٣.

(7) الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٤٤١؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٩٣.

(8) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٣٠؛ قدامة، الخراج، ص ٨٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٢.

(9) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٨، البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠٢.

(10) ابن خرداذبة، المصدر نفسه، ص ١٣١؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٨؛ قدامة، الخراج، ص ٨٠

(11) خسرو، سفرنامة، ص١٣٥.

(12) خسرو، المصدر نفسه، ص١٤٥.

(13) ابن خرداذبة، المصدر نفسه، ص ١٣٠؛ قدامة، الخراج، ص ٨٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٧.

ووجدت مياه الآبار على طرق المواصلات، فهناك بئر الزاهد على نصف فرسخ من طريق مكة يستقي منها السقاؤون المياه العذبة لبيعها في داخل مكة[١]، وهناك بئر بين مكـة والطـائف[٢]، وهناك بئر الشقيقة شرق جبل ذي المرقعة شرق جبال أبلى على طريـق الآخـذ مـن مكـة إلـى المدينة[٣]. وبين مكة وينبع مياه أكثرها قلب (من أنواع الآبار) وآبار وركى (من أنواع الآبار) وهي العذيبة والخشرمة، والأصيفر والطوي والبحير والرتقة وقباقب والطريف والنابع والـشبيكة شـبيكة رابغ والجحفة والمحكمي، والأسعدانة والأحضان والطريفة طريفـة ثمـرة، وقديـد، والجراحيـة والغراني وعسفان، والشدادية والموصلة، وسرف[٤]. وهناك آبار خارج مكة[٥]. وهناك آبار الخرار بين الجحفة ومكة قريب من خم[٦].

وهناك بئر السقيا[٧] منها كان يستقى للرسول – صلى الله عليه وسـلم - [٨] فـي موضـع الفلجان الواقعة على بعد يومين من المدينة[٩]، وفيها نهر جار وبستان وأشـجار[١٠]، وهنـاك بئـر صرار على ثلاثة أميال من المدينة[١١]. وقد حفرت هذه البئر قبل الإسلام[١٢]. وآبـار علـي بـين

---

(1) خسرو، سفرنامة، ص١٢٤.

(2) خسرو، المصدر نفسه، ص١٣٥.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩٨ -٩٩.

(4) الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص٢٣٦، وانظر: ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣١، وقدامة، الخراج، ص ٨٠ــ ٨١

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٧.

(7) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٢٥٠؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٧٩؛ الخزاعي، تخريج، ص١٤٠.

(8) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٢٥٠.

(9) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٧٩ -١٨٠.

(10) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٠، قدامة، الخراج، ص ٨٠

(11) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٨؛ الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٢١٧.

(12) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٩٨.

المدينة ومكة[١]، وفي الجرف قرب المدينة آبار[٢]. وآبار ابـن شـرحبيل فيمـا بـين ذي خـشب والمدينة[٣].

وهناك بئران في السهل المحاذي لجبل الستار بالعالية في ديار سليم[٤] يقال لأحدهما الثجار والآخر الثجير وماؤهما غير عذب[٥]. وبئر عائشة بن نمير بن واقف وبئر المطلـب وبئـر ابـن المرتفع[٦]، وبئر الضبوعة في وادي الصفراء[٧]. وآبار في الروحاء وبدر[٨]، وبئر الطلوب في وادي ساية[٩]، وبئر عنبسة بذي طوى[١٠]، وآبار في وجرة[١١]، وآبار في بسيان[١٢]، وآبار في غمرة[١٣]، والجدد[١٤]، وعسفان[١٥]، وقينة[١٦]، وقرب الجار[١٧]، وفي وادي العروس والنقرة[١٨]، وفي الطريق إلى العراق[١٩].

---

(1) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٤٥٦، ٤٥٨.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٩. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، ص٣٢٦.

(3) ابن سعد، المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩٥.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٢١؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٧٦.

(5) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٧٢١.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨.

(7) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٧٤.

(8) ابن هشام، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٣٧؛ الخزاعي، تخـريج، ص٤٠. والروحاء أو الروحة: تقع بين مكة والمدينة. درادكة، طرق، ص٢٢٩.

(9) الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص١٣٥.

(10) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٩٨؛ الخزاعي، تخريج، ص٣٦٠.

(11) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٨٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٩.

(12) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٨٢؛ الهجري، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص٣٣.

(13) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٤٠٥؛ الهجري، المصدر نفسه، ص٣٤٦.

(14) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٨١.

(15) قدامة، المصدر نفسه، ص ٨١؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٤٨.

(16) قدامة، المصدر نفسه، ص٨١-٨٢.

(17) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣؛ الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص٣٤٨، ٣٥١، ٣٨١-٣٨٣، ٤٧٨، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٥-٥١٧، ٥٢٠-٥٢٤، ٥٢٦، ٥٣٠.

(18) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٨.

(19) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١٨٤.

والكر هو البئر مثل البركة تمتلئ ماء (أي ماؤها كثير) وهي معين، وكان للرسول - صلى الله عليه وسلم - كر بالجعرانة، وبحنين كر آخر[١].

وكانت الآبار بحاجة إلى عناية، إذ نتيجة لوجود الماء فيها تتكون فيها حفر تسمى ألجف، مما يقتضي بناؤها، فكانت تستخدم الحجارة والطين في بناء ألجف (الآبار) في الحجاز[٢].

واستخدمت البكرات في استخراج الماء من البئر، إذ تنصب البكرة على ثلاث قوائم. وستخدم في ذلك الدلاء، وقد يتسع الدلو لثلاثين لترا[٣].

كما عمل الفلاحون في الحجاز على حفر القنوات، ويبدأ حفر القناة بحفر بئر رئيسة في مكان توقع وجود المياه الباطنية، حيث يراعى ارتفاع مستواها على الأراضي الزراعية المراد سقيها منها كسفح جبل أو تل أو أعالي الأودية، للمساعدة على جريان الماء وتدفقه[٤]. ويبدأ البناؤون بحفر نفق القناة من موقع ظهورها على سطح الأرض باتجاه البئر الرئيسة، وبنائها بالحجارة والطين جزئيا إذا كانت الأرض رخوة، كما يحفرون حفرا صغيرة ومتباعدة عن بعضها في باطن القناة، لتترسب فيها الأوساخ التي يحملها الماء خلال جريانه[٥]. ويفرش التراب على امتداد القناة، وبخاصة في الممر المحاذي لها[٦].

وقد استخدمت الحجارة لبناء المنعطفات ومنافذ توزيع المياه[٧]. فكان يتم تجاوز أحد الأودية العريضة ببناء القناة على شكل حذاء الفرس فتكون قاعدتها قناة جوفية تصل بين برجين متقابلين على حافتي الوادي؛ بعد مراعاة ارتفاع البرج الذي تعبره مياه القناة السطحية لمستوى أعلى من البرج المقابل لزيادة قوة اندفاع الماء عبرها[٨].

---

(1) الهجري، التعليقات والنوادر، ج٢، ص٢٧٨.

(2) Doughty, Travels, vol. 2, p. 304, 465, 475.

(3) Doughty, Travels, vol. 2, p. 352.

(4) Nasif, Al-Ula, p. 193.

(5) Nasif, Al-Ula, p. 194-195, 214-215.

(6) Nasif, Al-Ula, p. 154.

(7) Doe, Southern Arabia, p. 190-192.

(8) Wilkinson, J. C., Water and Tribal Settlement in South East Arabia, Oxford, 1977, p. 82.

وقد استخدمت القنوات السطحية لري مجموعة من الأراضي المجزأة إلى قطع قـد تـصل العشرين كما في ينبع[١]. وتسمى طريقة السقي بالقنوات السطحية الغيول[٢]. إذ يتم إغـراق الأرض بالماء[٣]. وكانت مياه القناة توزع على مجموعة من الأراضي خلال أسبوع[٤]. كما تخصص وجبة لسقي مجموعة من الأراضي الأصغر بالتناوب بينها من ساعة لأخرى[٥].

ويتولى بعض الملاكين إدارة الأعمال المتعلقة بالقناة كتنظـيم توزيـع الميـاه والإصـلاح والتنظيف مقابل أجر من الحاصلات التي تزرع في الأراضي المجاورة للقناة وخاصة مـن القمـح والشعير والذرة والتمر[٦].

ومن أنواع القنوات الأفلاج، وهي قنوات تحت الأرض لنقل المياه. ومنها الفلج الذي أجـراه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - لسقي أهل المدينة وسمي بالنهر[٧]. ولقد تناقصت فيمـا بعـد مياه الفلج الذي أجراه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - لسقي أهل المدينة[٨]. ومـن الأفـلاج الأخرى فلج أرضي أجري من خلاله الماء إلى عرفات[٩]. والسقيا منزل على فلج (نهر) جار وبـه بستان وحدائق نخل[١٠]، وهناك ذو ساعدة وجماجم أو حماحم والوسباء لبني سليم وهي قنان متصلة بعضها إلى بعض[١١].

(1) Nasif, Al-Ula, p. 224.

(2) Wilkinson, Water and Tribal, p. 74. Nasif, Al-Ula, p. 226.

(3) Wilkinson, Water and Tribal, p. 74. Nasif, Al-Ula, p. 213.

(4) Nasif, Al-Ula, p. 199-204.

(5) Nasif, Al-Ula, p. 116, 194-195, 215-217, 222, 224, 240-242.

(6) Nasif, Al-Ula, p. 243, 248.

(7) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٣.

(8) خسرو، سفرنامة، ص١١١.

(9) خسرو، المصدر نفسه، ص١٢٤.

(10) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٢-١٤٣.

(11) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦١؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٠٦.

ومن أنواع القنوات: الشرب والدبول والخلجان وهي قنوات باطنية تحت الأرض[١]، وقد ساق عثمان بن عفان – رضي الله عنه - خليجا إلى أرض اعتملها بالعرصة[٢]، وقد خلج خليج في مكة تحت بيوت الناس وابتنوا فوقه[٣].

كما بنيت البرك والأحواض والصهاريج والمصانع لجمع الماء. فكانت المياه ترفع إلى أحواض أو برك[٤]. ومن البرك بركة الحاج في طريق البصرة[٥]، وفي الرويثة[٦] وهو أحد الأودية التي ترفد وادي الصفراء بأربع برك ماء[٧]. ويوجد في منزل العباسية بين سميراء والحاجر قصران وبركة[٨]. وفي مكة كثير من البرك[٩] والأحواض والمصانع الكثيرة تملأ من ماء الأمطار الذي يتدفق من الأودية[١٠]. وفي ذي الحليفة بركة[١١]. ويوجد على سفوح جبل شوران المطل على عقيق المدينة مياه كثيرة يقال لها البجرات وهي أحواض طبيعية تمتلئ بالماء عند نزول المطر[١٢]. وقد أنشأ الوليد بن عبد الملك الكثير من المصانع[١٣]، كما أنشأ خالد القسري بركة في حنين[١٤]. وهناك مصانع في مكة[١٥]، ومصانع في النقرة[١٦]، ومصانع وبرك في الطريق إلى العراق[١٧].

---

(1) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٦٦.

(2) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٦.

(3) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٩١.

(4) Nasif, Al-Ula, p. 195.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٦٣.

(6) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٨٦.

(7) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٣٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٢.

(8) قدامة، الخراج، ص ٧٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٧٥.

(9) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٧.

(10) خسرو، سفرنامة، ص١٢٣.

(11) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٨٠-٨١.

(12) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٠؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢١٠.

(13) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٩٧.

(14) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج١، ص٣٦٩.

(15) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٢.

(16) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١٨١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٨.

(17) ابن جبير، المصدر نفسه ، ص١٨٤.

وبنيت الجباب والأحواض والصهاريج للري، فكان في جدة جباب (آبار) منقورة في الحجر الصلب يتصل بعضها ببعض[١]، وكذلك جباب أخرى في الطرق إلى مكة[٢]. وكان في جدة أيضا صهاريج داخل البلد وصهاريج بظاهرها، فكان إذا وقع الغيث وامتلأت منه الصهاريج التي بظاهر البلد كانت العبيد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور. ومن هذه الصهاريج أبو الطين وعامر والمرياني والحفيرة والنخيلات وصهريج أبي بكر والحجري والصرحي وصهريج السدرة والحوار والفرحي وصهريج يحيى الشريف والودية والمبادر وصهريج البيضة والبركة وصهريج أم ضرار وصهريج بركات وصهريج سليمان العطار والطولاني والعرضاني، وصهريج الأخميمي وصهريج مسجد الأبنوس وصهريج الجامع وصهريج ردرية وصهريج محمد بن القسم[٣]. وكان في مكة صهاريج، وأخرى عظيمة في النقرة، وفي الطريق إلى العراق[٤].

كما بنيت السدود أو الردم أو الضفائر، أو الحبوس لجمع الماء اللازم للزراعة، وهي كل ما سد به مجرى الوادي، لري الأراضي الزراعية[٥]. ومن الأمثلة عليها السد الذي أنشأه معاوية بن أبي سفيان في حرة المدينة[٦]، والسدود التي عملها الحجاج بن يوسف الثقفي بشعب عمرو بن عبد الله بن خالد، وبالنصع من الأفيعية في طرف النخيل[٧]، والسد الذي أنشأه عبد الله بن عمرو بن عثمان على وادي رانوناء[٨].

بيوت أهل الحجاز:

---

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٣-٥٤؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٤٣-٤٥.

(2) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١٠٢-١٠٣.

(3) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٤٣-٤٥.

(4) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٢، ١٨١، ١٨٤.

(5) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٩، ج٢، ص١٠٤٢-١٠٤٣.

(6) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤٠١.

(7) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٨١-٢٨٢.

(8) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٨.

بنى الفلاحون في الحجاز بيوتهم على الأماكن الجرداء[١]. وتتألف بيوت الفلاحين من أربع غرف وممرات ضيقة تؤدي إلى كل واحدة منها. وكانت تخصص بعض الغرف أو الطوابق لغرض أو حاجة. وكان ارتفاع درجات الحرارة وسرعة التبخر في الحجاز يسرعان في إتلاف البيت الطيني.

وخلال موسم الزراعة كانت تشترك كل جماعة من الفلاحين بالإقامة في كوخ أو عريش. وكانت الأعمدة في الأكواخ تقام من من جذوع النخيل. كما استخدمت الشعب المرجانية في إقامة الأكواخ.

ملابس أهل الحجاز:

اتخذ أهل الحجاز ملابسهم من الصوف، ونادرا ما اتخذوا ملابسهم من القطن والحرير. ويغلب اللون الأزرق على قمصان الفلاحين العاديين. وغالبا ما تكون أزر الفلاحين منقطة. ويكون السروال عادة فضفاضا. ويندر ارتداء القرويين للسروال والتبان معا. كما انتشرت العباءة بين البدو الذين مارسوا الزراعة. والعباءة ملحفة تحاك دون شق من الأمام وهي من أكثر الملابس الخارجية انتشارا بين فلاحي الحجاز وعباءة الفلاح عادة بيضاء. كما لبس الفلاحون الجبة التي قد تكون قصيرة. ولبسوا الصندل وهو النعل الخفيف. كما ارتدت القروية الملابس الداخلية.

وعمل أهل الحجاز أيضا بتربية الحيوانات، فقد كان البدو (الأعراب) في الحجاز يقيمون على الجبال وحول الآبار والأودية[٢]، وينتقلون موسميا إلى حيث يتوفر الكلأ خاصة في فصل الربيع[٣]. ويفضل أهل البادية الإقامة في الأماكن النزهة والنظيفة التي توصف بأنها مريئة بعيدة عن المياه التي عادة ما تردها الدواب وتكثر بها أرواث الحيوانات[٤]. كما أن الفلاحين في القرى عملوا أيضا بتربية الحيوانات إلى جانب عملهم بالزراعة، ونادرا ما استخدموا الرعاة وخاصة أن بعضهم من البدو الذين استقروا دون التخلي عن حرفة الرعي.

الثروة الحيوانية:

---

(1) Encyclopedia of Islam, vol. 4, p. 160.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص١٨، ٦٤-٦٥.

(3) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٣٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٧.

(4) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢١٨.

فيما يتعلق بالثروة الحيوانية فقد كان من أهم الحيوانات في الحجاز الأغنام، حيث اشتهرت في الحجاز أغنام الحذف وهي غنم سود صغار واحدتها حذفة[١]، وتسمى أيضا النقد[٢]. وقد صنع من شعر الغنم وصوفها البسط. كما اتخذوا الملابس من الصوف.

وانتشرت تربية الإبل في الحجاز[٣]، حيث استخدمت في الركوب إذ إنها تتميز بقدرتها على تحمل مناخ الحجاز وإمكانية وضع الهوادج عليها وبحركتها الهادئة[٤].

وقد حصل أهل الحجاز من حليب الغنم والإبل على الجبن والمخيض الذي كانوا يتناولونه على الإفطار، كما أعدوا منها الزبدة.

واشتهر أهل بلدة السيالة (بين مكة والمدينة) بتربية الصقور والشواهين والمتاجرة بها[٥].

ويعيش في الأحواض المملوءة بمياه الأمطار على سفوح جبل شوران مثل البجرات وكرم وعين، سمك أسود طوله مقدار ذراع وهو من أطيب الأسماك[٦].

وقد حفظ فلاحو الحجاز لحوم الغنم والإبل والسمك وخزنوها بعد تدخينها.

وتزخر جبال ذي الموقعة وأقراح وشواحط بالأراوي، كما تزخر جبال برثم وتعار وأقراح وشواحط بالنمران[٧]، وتوجد القرود في جبال الشراة ويسوم وقرقد[٨].

واشتهرت في الحجاز تربية الخيل التي تصدر للخارج[١]. كما وجد فيه الحمير الوحشية والأهلية[٢]، والغزلان[٣]، والضب، الذي اعتاد أعراب البادية أكل لحمه[٤]، باستثناء قريش الذين ما

---

(1) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٦، ١٨، ٦٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٤٠؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص١٢٦.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٤٠.

(3) السلمي، المصدر نفسه، ص٦، ١٨، ٦٥.

(4) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٧.

(5) قدامة، الخراج، ص ٨٠

(6) السلمي، المصدر نفسه، ص٥٥-٥٦.

(7) السلمي، المصدر نفسه، ص٦١-٦٢، ٦٨، ٧٠.

(8) السلمي، المصدر نفسه ، ص٣٣-٣٤، ٤١.

ما كانوا يأكلونه ولا يصيدونه[٥]، والعظاية، ويسميها أهل مكة الحكاة[٦]. كما تنتشر الكلاب في أنحاء الحجاز[٧].

ومن طيور الحجاز البرقش[٨]. كما اهتم أهل السروات بتربية النحل الذي كانوا يحـــصلون منه على العسل[٩].

وفي الحجاز عدة أنواع من الحيات، فهناك الشبرية وتدعى أيضا الفترية وهـــي حيـــة ذات رأسين تكون في جوف الرمل فإذا أحست بالإنسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها فضربته بإحدى رأسيها في أي موضع لحقته منه[١٠]. ومنها نوع أسود عرف باسم أدلم[١١]. واشـــتهر وادي العقيق بكثرة الحيات فيه[١٢].

---

(1) السلمي، المصدر نفسه ، ص٦٥؛ خسرو، سفرنامة، ص١٣٧؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص١٦٢؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٥١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص٦٢.

(2) الأصفهاني، بلاد العرب، ص١٦٢.

(3) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٣.

(4) خسرو، سفرنامة، ص١٤٥.

(5) الجاحظ، البلدان، ص ٤٦٩

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص١٩١.

(7) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٤٠-٤١.

(8) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٦٥.

(9) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٦.

(10) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٣٠٥.

(11) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٢٠٤.

(12) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٥٣.

ثانياً: الصناعة:

عرف في الحجاز الكثير من المعادن التي استخدمت في صنع الأدوات والأواني والنقود وغير ذلك، فهناك معدن بحران بناحية الفرع بين مكة والمدينة[١]، ومعدن الفران ينسب إلى بني فران بن بلي بن سليم[٢]. ومعدن الشجرتين في جبل الذهلول (زهلول) الأسود (وهو جبل أسود[٣] سمي بذلك لأن الزهلول هو الأملس الظهر[٤])، ومعدن بني سليم[٥]. وهناك معادن القبلية من ناحية الفرع[٦]، (والقبلية هي الأودية المرتفعة المتجهة إلى المدينة، والأودية المرتفعة المتجهة إلى ينبع تسمى الغور[٧]). وهناك المعمل وهو موضع من تربة سمي باسم المعدن الذي يعمل فيه هناك[٨]. ومعدن الماوان الذي يشرف عليه جبل شعر وهو جبل ضخم لبني سليم قبل الربذة[٩]. وهناك معدن بجبل ذي الموقعة لبني سليم[١٠]، ومعدن آخر بجبل العير قرب مكة[١١].

وقد أطلق على المعادن اسم خبايا الأرض[١٢]. وإذا نضب ما في المعدن من مواد يكون المعدن قد حقب[١٣].

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٢١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٤١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٧.

(2) الهمداني، الجوهرتين، ص ٨٨؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤٠٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٥، ج٥، ص١٥٤.

(3) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٩٦؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٢.

(4) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣١٣.

(5) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤٠٣؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩٩، وانظر: واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م. ص ١٩٥

(6) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٤٧.

(7) الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص١٨٨؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٣٣٢.

(8) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٤٥.

(9) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٩.

(10) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٦.

(11) الهمداني، الجوهرتين، ص ٨٦

(12) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٦٢.

(13) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٧.

أما أشهر المعادن في الحجاز، فهناك حجر البرم[١] في يسوم وبدبد ومعدن البرام بين مكـة والطائف[٢]. كما يوجد معدن البرام في مطار في الحجاز[٣]. ومن الحوراء يتجهز بالأبارم إلى جميع الأقطار المصاقبة والمتباعدة[٤]. ويوجد حجر البرم أيضا في قرية معدن البرم بين مكة والطائف[٥]. كما يوجد معدن البرم في أضاخ بين ضرية والمدينة[٦]. ويوجد معدن البرام أيضا فـي قدقـد[٧] أو قرقد[٨] (وهو جبيل قرب مكة[٩]). ويتميز حجر البرم الذي تصنع منه القدور بأنه أملس لا يعمل فيه الحديد إلا الفولاذ[١٠]. والمبرم هو الذي يقتلع حجارة البرام من الجبل ويقطعها ويسويها وينحتها[١١].

ومن أنواع المعادن في الحجاز أيضا الحجارة، فجبل الهيلاء جبل أسود مرتفع تقطـع منـه الحجارة للبناء والأرحاء[١٢]. ومن جبال المدينة يقتطع الحجارون حجارة للبناء في المدينة والقـرى من حولها[١٣]. ومن جبال مكة يقتطع الحجارون حجارة سود ملس وبيض لعمارة بيـوت مكـة[١٤]. وكانت الحجارة تستخدم في صناعة أرحية تدار باليد تسمى الكبداء[١٥]. وهناك حجارة اطلق عليهـا

(1) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤٠، ٤٦؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٨٧ -٧٨٨.

(2) السلمي، المصدر نفسه، ص٤٠، ٤٦؛ البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٧٨٧ -٧٨٨.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٤.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٠.

(5) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٤٠٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٤.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٠٣.

(7) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣١١.

(8) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٢٦.

(9) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣١١، ٣٢٦.

(10) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٥.

(11) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٤٥.

(12) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤٣.

(13) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٢.

(14) المقدسي، المصدر نفسه ، ص٧١.

(15) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٦.

اسم سود والسود هو السفح المستوي بالأرض كثير الحجارة خشنها والغالب عليها ألوان السواد[١]. كما استخدمت بعض الحجارة كمسان، حيث اشتهرت مسان ينبع[٢].

ومن أنواع المعادن في الحجاز أيضا الذهب، ويعتبر معدن ناضحة بين اليمامة ومكة من أشهر معادن الذهب بالحجاز[٣]. وتوجد بين الحجر والبحر الأحمر عند جبل شيبان معادن للذهب[٤]، وأيضاً فيما بين ينبع والمروة[٥]. ويطلق اسم البحاثة على التراب الذي يبحث فيه عن الذهب والفضة[٦]. والركاز هي القطع العظام من الذهب أو الفضة[٧]. والعقيان هو ذهب ليس مما يستذاب ويحصل من الحجارة[٨].

ومن أنواع معادن الحجاز أيضا معادن الصفر (النحاس) بين الحجر والبحر الأحمر عند جبل شيبان[٩].

وتوجد الفضة في مواضع عديدة من الحجاز، وقد استخرجها العرب فيما قبل الإسلام واستخدموها في صنع الأواني والحلى كالخرز وأطلقوا عليها اسم الجمان[١٠]، فمعادن الفضة موجودة فيما بين الحجر والبحر الأحمر عند جبل شيبان[١١]. وقد تكون الفضة على شكل خط يكون

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٢٧.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٨.

(3) الأصفهاني، بلاد العرب، ص١٦٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٥٢.

(4) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣٩٨.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠١.

(6) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٥.

(7) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥٦.

(8) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٥، ص٨١.

(9) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣٩٨.

(10) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٥٦٥، واضح الصمد، الصناعات والحرف ص ٢١٠

(11) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣٩٨.

في حجر المعدن تسمى التجباب[١]. والسامة هي عرق في الجبل مخالف لجبلته تدل على أن فيه معدن فضة[٢].

ووجد في الحجاز الزبرجد في جزيرة زبرجدة بين العونيد والحورا[٣]. كما وجد في الحجاز العقيق والجزع[٤]. وعرف معدن فاران بمنازل بني سليم بإنتاج الحديد[٥].

وهناك أحجار الجمست وهي أحجار تتحلى بها العرب ولونها بنفسجي مغشاة بأغشية ترابية[٦]. وتوجد معادنها في وادي الصفراء[٧]. ويوجد في حرة سليم معدن الدهنج (وهو حجر أخضر يحفر عنه كسائر المعادن[٨]). ويؤخذ منه حصى أخضر تحلى به وتحك منه الفصوص[٩].

وفي حرة النار بين وادي القرى وتيماء معدن البورق[١٠]، (وهو عبارة عن ملح أو مادة تجعل في الطحين[١١]). ومعادن اللازورد في حز السراة بين تهامة واليمن[١٢]. ووجد الزمرد في الحجاز بمعادن بأرض خيبر وبوادي القرى[١٣].

أما فيما يتعلق بالصناعات في الحجاز فهناك الصناعات الخشبية، حيث تتخذ القسي من الشقب، وهو شجر له أساريع كأنها الشطب[١٤]، (والشطبة هي ما شطب من جريد النخل وهو

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٢٧.

(2) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٣١٣.

(3) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٣٦١.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٣٢٩، الهمداني، الجوهرتين ص ٨٧؛ البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٣٦١.

(5) الهمداني، الجوهرتين ص ٨٨؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠١٣.

(6) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٥٤؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٦٥.

(7) التيفاشي، أزهار الأفكار ص ١٩٠، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٦٥.

(8) البيروني، الجامهر ص ١٩٦، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٦.

(9) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٧٧.

(10) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٨.

(11) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٠٠.

(12) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٢.

(13) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٦٧-٦٨.

(14) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص١٧.

سعفه[١]). كما تعمل القسي والسهام من شجر النشم[٢]. (وشجر النشم شجر جبلي تتخذ منه القسي[٣]). وكان حطب الأرطي يحتطب[٤]. ويصنع من الخشب النعامة وهي خشبة تعرض على الزرنوقين (وهما حائطان يبنيان على رأس البئر من جانبيها) وتعلق البكرة في النعامة ويجري فيها حبل الدلو فيستقى به[٥]. كما يتخذ من شجر الذرح الرحالة وهي أدوات توضع على ظهر الدابة ليتسنى الجلوس عليها[٦]. وتغشى الرحالة بالجلود وتكون للخيل والنجائب من الإبل[٧]. ومن أنواع الأخشاب التي استخدمت خشب السلامان وهو شجر سهلي[٨]. كما صنع من الخشب العريش وهو شبه الهودج يتخذ للمرأة لتقعد فيه على بعيرها[٩]. واستخدم في صناعة الأقفاص للطيور القصب أو الخشب[١٠]. واستخدم أيضاً في صناعة أداة القفص وهي عبارة عن خشبتان محنوتان بين أحنائهما شبكة ينقل بها البر إلى الكدس، وفي صناعة المذراة وهي خشبة يذرى بها الطعام وتنقى بها الأكداس[١١].

ومن الصناعات الأخرى في الحجاز الصناعات الجلدية، حيث كانت تدبغ جلود الجمال والبقر والغزلان والضأن والمعز[١٢]. ويستخدم في الدباغة أوراق شجر الأرطي لدباغة أسقية اللبن خاصة[١٣]. واستخدم في الدباغة القرظ أيضا[١٤]، بعد أن يطحن القرظ باستخدام حجر الطواحين

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٩٦.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٢٤.

(3) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٥٧٦.

(4) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٣١.

(5) السلمي، المصدر نفسه، ص٤٦.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٢٩؛ ابن منظور، المصدر نفسه، ج١١، ص٢٧٤.

(7) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١١، ص٢٧٥.

(8) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص٢٩٧.

(9) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١١٣.

(10) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٧، ص٧٩.

(11) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٧، ص٧٩، ج١٤، ص٢٨٣.

(12) السلمي، المصدر نفسه، ص٣١؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٣.

(13) السلمي، المصدر نفسه، ص٣١، واضح الصمد، الصناعات والحرف ص ٢٣٤

(14) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٣، ٢٠، ٣٢؛ ابن منظور، المصدر نفسه، ج٧، ص٤٥٤ -٤٥٥؛ واضح الصمد، الصناعات والحرف ص ٢٣٦

ودور كل حجر منها ثمانية أذرع في الارتفاع إلى سبعة أذرع[١]، واختصت الطائف ومكة والعقيق بدباغة الجلود[٢]. فعرفت الطائف بالمدابغ التي يدبغ فيها الأديم[٣]. وكان يدبغ فيها الأديم وهو من النوع المليح الثقيل، عالي الجودة[٤]. وكذلك اشتهرت مدبوغات مكة[٥]، واشتهر من بين رجالها جماعة يعملون في الدباغة[٦].

ومن المصنوعات الجلدية الجبجبة وهي وعاء يتخذ من أدم يسقى فيه الإبل وينقع فيه الهبيد وينقل فيه التراب[٧]، واليلب (البيض) وتصنع من جلود الإبل وهي نسيج تتخذ وتنسج وتجعل على الرؤوس[٨]، والقفدانة وهي خريطة من أدم تتخذ للعطر[٩]، والمركن وهي أجانة تغسل فيها الثياب ونحوها[١٠]، والسعن ويتخذ من أدم وهو قربة يبرد فيها الماء[١١]. وكان الأدم يباع بالبيعة كل بيعة مئة من، ويصح الحمل ببيعتين ونصف. وكان مسافرو خراسان يشترون جلود البغال الفحولة من رستاق الموصل وسواد إربل وتدبغ في مكة[١٢].

ومن المصنوعات في الحجاز أيضا المصنوعات المعدنية، فصنعت المقامع وهي العصي الحديدية تصنع في المدينة[١٣]، وصنع في المدينة أيضا السهام والنصال، وصنعت في الحجاز السيوف والخناجر والسكاكين والدروع والرماح والنبال من المعادن[١٤].

---

(1) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٠.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٣، ٢٥، ٣٢.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩، واضح الصمد، الصناعات والحرف ص ٢٣٣

(4) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص ١٤٤

(5) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص١٣، ٣٢.

(6) الكلبي، المثالب ص ١١٧

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٥٢.

(8) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٨٠٦.

(9) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٥.

(10) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص١٨٦.

(11) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص٢٠٩.

(12) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٣.

(13) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٧٧.

(14) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٥١.

واشتهرت المدينة بمصنوعاتها من الطيب والمعاجين وأنواع البخور المختلفة، ذات الرائحة الطيبة[1]، ساعد على ذلك ما يتوفر فيها من العود والمعاجين اللازمة لصناعة أنواع الطيب المختلفة.

وهناك صناعات من الخوص، والخوص ورق الثمام والعرفج والأرطى والألاء والسنط والنخل والمقل[2]. حيث كانت بعض الخيام تبنى من الخوص[3]. وكان الحصير أو السقيفة أو البارية يصنع من البردي والأسل ويبسط في البيوت[4]. وهناك القفعة وهي شيء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى، حشوها من عراجين تدق وظاهرها خوص النخل على عمل سلال الخوص[5]. وهناك الجلة وهي وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز فيه[6]. وكانت المكانس تتخذ من الشيح[7]. وهناك البرزين وهو إناء يتخذ من قشر طلع الفحال يشرب به[8].

ووجدت في الحجاز صناعات الملابس والمنسوجات، فصنع الثوب الظهراني الذي يجاء به من مر الظهران[9]. وصنع القهز وهي ثياب تتخذ من صوف كالمرعزي وربما خالطه حرير[10]. وصنعت الملابس من أصواف الغنم وأوبار الإبل وسميت الدفء لأنه يتخذ منه ما يدفأ به[11]. وهناك الأنبجان وهو كساء يتخذ من الصوف، وهي من أدون الثياب الغليظة[12].

---

(1) الجاحظ، البلدان، ص ٤٨٥

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٢-٣٣.

(3) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٤٠.

(4) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص١٩٥-١٩٦.

(5) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٨، ص٢٨٩.

(6) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١١، ص١١٨.

(7) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠٢.

(8) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص١٤٦.

(9) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٦٣؛ الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٧، ١٩٧٣م، ع١١، ص٨١٦.

(10) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٨.

(11) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٧٧.

(12) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٢-٣٧٣.

وصنعت في الحجاز الحبال والسلال من السلب، وهو شجر يؤخذ لحاؤه، وهناك سوق السلابين في المدينة[١]. وصنعت المجامر وهي أوعية يوضع فيها الجمر مع الدخنة ويجمر بها[٢]. كما صنعت الصحاف والخزف من الغضار وهو الطين[٣].

وكانت النار تتخذ من المرخ والعفار وهما شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر، ويسوى من أغصانها الزناد فيقتدح بها[٤].

وعدد ابن الكلبي جملة من المهن والصنائع التي زاولها أهل مكة والمدينة وغيرهم من أهل الحجاز، منهم من عمل في الصياغة ، وعمل الأقتاب وصنع الأقداح والقصاع والأواني ومنهم خصافين وبياعين للنعال وحدادين وخياطين وجزارين وقصابين وخمارين وحجامين إلى غير ذلك من المهن[٥].

ثالثاً: التجارة:

كانت التجارة في الحجاز رائجة، حيث ازدهرت التجارة في مكة، وتعود شهرة مكة التجارية إلى ما قبل الإسلام، وذلك عندما عقدت قريش مجموعة من المعاهدات التجارية مع الدول والقبائل المجاورة أطلق عليها اسم الإيلاف، وعملت قريش على تقوية الإيلاف عن طريق التزاوج من القبائل الأخرى. وكان الإيلاف سببا في الحد من ظاهرة الاعتفاد في مكة، إذ كان الفرد الواحد يغلق بابه على نفسه فلا يسأل الناس حتى يموت جوعا، أو كانوا حين يشتد الجوع بالجماعة يجعلون حولهم حظيرة من شجر يدخلون فيها ويبقون هنالك حتى يموتوا جوعا[٦]. فأصبح المكيون بعد

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٧٣ -٤٧٤.

(2) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٤-١٤٥.

(3) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٣.

(4) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص٥٨٩.

(5) الكلبي، المثالب ص ١٠٣ ــ ١٠٦، ١٠٩ ــ ١١٦

(6) Naimat, S. S., Mecca Trade Prior to the Rise of Islam, The University of Durham, 1991, p. 85.

الإيلاف يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم[١]. ويشير الجاحظ إلى قريش"قوم لا كسب لهم إلا من التجارة"[٢].

واشتهرت أسواق الحجاز منذ ما قبل الإسلام[٣]. وارتبطت التجارة قبل الإسلام بالعلاقات بين القبائل العربية، فكان التجار إذا أخذوا طريق العراق فإنهم يتخفرون ببني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فتجيز ذلك لهم ربيعة كلها[٤].

وقد تاجر أهل الحجاز بالعديد من السلع والمنتوجات، كالعصائب والعقيق والأدم والرقيق وآلات الصيادلة والعطر والنسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والإسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل والعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمور[٥].

واشتهرت مكة بالتجارة، "وكانت العرب قاطبة ترد مكة في أيام الموسم وترد سوق عكاظ وذي المجاز وتقيم هناك الأيام الطوال"[٦]، فكان القادمون إلى مكة يشترون الطيب والعطور والأفاويه[٧]. ويأتي الزبيب إلى مكة من الطائف[٨]. كما يرد أسواق مكة الباذنجان واليقطين والسلجم (اللفت) والجزر والكرنب والقثاء[٩]. ويجلب لمكة من سوادها أصناف الرطب في موسم الصيف، والتمور كالبرني والمكتوم[١٠]. واستوردت مكة ما تحتاج إليه من مؤن، وشكلت الطائف وأضم وبطن مر (وادي فاطمة) والنخلتان الشامية واليمانية والسراة مصدرا للعديد من تلك المواد،

---

(1) Naimat, Mecca Trade, p. 87.

(2) الجاحظ، البلدان، ص ٤٧١

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٣٢، ابن بابة القاشي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٥١٠هـ/ ١١١٦م)، رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م. ص ٤٣، وسيشار له فيما بعد: ابن بابة القاشي، رأس مال النديم

(4) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٦١.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧.

(6) الجاحظ، المصدر نفسه، ص ٤٧٠، وانظر: ابن بابة القاشي، رأس مال النديم، ص ٤٣

(7) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٨.

(8) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٤.

(9) خسرو، سفرنامة، ص١٢٤؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٥٣-١٥٤.

(10) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١؛ ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص١٥٣.

يتصدرها الحبوب بسائر أصنافه وعلى رأسها الحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب والكروم والرمان، وكان مأكول أهل الحجاز اللحم والسمن والخبز والعسل والزبيب[١]. كما جلب إلى مكة من الطائف العنب، ووصف البطيخ المجلوب من الطائف بأن رائحته من أعطر الروائح وأطيبها[٢]. وتوفر في أسواق مكة السمن والزبدة والجبن والإقط[٣]. وقد حفلت أسواق مكة بالتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ والأترج والجوز والمقل والبطيخ والقثاء والخيار وقصب السكر[٤]. واشترى أهل السراة من مكة الخرق والعباءات والشمل والأقنعة والملاحف وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب مما يعده لهم أهل مكة[٥]. وجلب إلى مكة لحوم ضأن سمان ولذيذة الطعم[٦]. واختصت الأصدار بجلب العسل (وهي مواضع بنعمان الأراك قرب مكة وهي صدور الوادي[٧]، ونعمان الأراك واد يصب إلى ودان، وهو بين مكة والطائف، وهو لقبيلة هذيل[٨]). وتوفر في أسواق مكة لحوم الضأن. واشترى القادمون إلى مكة الأدوات المختلفة. وصدر الحجاز الجلود المدبوغة إلى العراق والشام وخوارزم وخراسان. واشترى القادمون إلى مكة الأدم[٩]. واستوردت مصر من الحجاز سنا مكة وبردي المروة وبان يثرب ومسان ينبع[١٠].

ويرد في تراجم بعض المكيين والمدنيين قيامهم بأعمال تجارية كالعطارة وبيع البز في مكة والمدينة، ومنهم من كان يسافر خارجهما لنقل البضائع وبيعها بالشام[١١].

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٤؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٩٧-١٠٠؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٦، ٢٧، ٣٨؛ الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٧، ١٩٧٣م، ع١٢، ص٩٣٦.

(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٩٧-٩٩.

(3) ابن جبير، المصدر نفسه، ص٩٨؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٢، ٣٨.

(4) ابن جبير، المصدر نفسه، ص٩٧-٩٨؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٥٤.

(5) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١١١.

(6) ابن جبير، المصدر نفسه، ص٩٨-٩٩؛ ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص١٥٣.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢١٠.

(8) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٩٣.

(9) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٢ ــ ١٣، ٢٣، ٢٥

(10) الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ج٢، ص١٤٠٧.

(11) الكلبي، المثالب، ص ٩٨ــ ٩٩

وكان تجار الحجاز يأخذون من عيذاب (وهي ميناء على ساحل البحر الأحمر يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن[١]) التبر (معادن الذهب) والعاج[٢]، كما يأخذون منها الجمال[٣]. وكانوا يأخذون الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق من الدبيقي والقصب والبرود والمخمل والوشي وأصناف الثياب التي تعمل بمدينة تنيس والثياب الشروب الشطوية التي تعمل بمدينة شطا (بلد بمصر)، والثياب الصفاق الدبيقية والثياب الشروب والقصب التي تعمل بمدينة دمياط[٤]. ولوحظ أسماء صناع الشام ومصر على حيطان الأروقة في المسجد الحرام المكسوة بالفسيفساء[٥]. كما أن أعمدة الرخام في أروقة المسجد الحرام كانت تحمل من الإسكندرية في البحر إلى جدة، وهناك في الطواف حول الكعبة أميال من الصفر وخشبات فيها قناديل معلقة ويجعل فوقها الشمع لملوك مصر واليمن[٦]. كما استوردت الحجاز من مصر عبر جدة النسيج الدبيقي[٧]. وكان أكثر ميرة الحجاز من الدقيق والكعك يحمل من قريتي المشتول[٨] (وهما قريتان من كورة الشرقية بمصر[٩]). وكانت القلزم فرضة الحجاز ومعونة الحاج[١٠]. واستوردت مصر من الحجاز شجر البلسان[١١].

ونشطت التجارة في الطائف، ووصف الإدريسي أهلها بأنهم تجار مياسير، أكثر بضائعهم من الأديم عالي الجودة مرتفع القيمة، وتجارة الزبيب الطائفي، وأيضاً ما يصنعونه من النعال المشهورة بالجودة حتى ضرب المثل بها، وسميت النعل الطائفي[١٢].

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص١٧٣.

(2) اليعقوبي، المصدر نفسه ، ص١٧٣.

(3) خسرو، سفرنامة، ص١١٩.

(4) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص١٧٥-١٧٦.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٣.

(6) المقدسي، المصدر نفسه ، ص٧٣-٧٤.

(7) المقدسي، المصدر نفسه ، ص١٠٤.

(8) المقدسي، المصدر نفسه ، ص١٩٥.

(9) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٣٢.

(10) المقدسي، المصدر نفسه، ص١٩٦.

(11) المقدسي، المصدر نفسه ، ص٢٠٤.

(12) الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص ١٤٤

ويشير قدامة إلى اشتهار بلدة السيالة الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة بتجارة وبيع الشواهين والصقور[١].

وأدى ازدهار التجارة مع مصر إلى إقامة مجموعة من المصريين في مكة، وكانت تقع دور المصريين ومنازلهم غربي الحرم في مكة[٢]. واعتمد الحجاز في تجارته على مصر، حيث كان عدم زيادة النيل بمصر تؤدي إلى أن لا يحمل منها الطعام إلى مكة مما يؤدي إلى الغلاء[٣]. ووصفت مصر بأنها قبة الإسلام، ونهرها أجل الأنهار، وبخيراتها تعمر الحجاز، وبأهلها يبهج موسم الحاج، والحجاز مع أهلها عياله[٤].

وازدهرت التجارة في جدة، وغني تجارها[٥]، و"أهلها مياسير ذوو أموال واسعة وأحوال حسنة ومرابح ظاهرة"[٦]، وكانت السفن التجارية تقلع من جدة التي وصفت بأنها مطرح اليمن ومصر[٧]. كما كان ميناءا جدة والجار خزانتي مصر[٨]. وكان يقام في جدة قبل وصوص الحجيج موسم (سوق) تعرض فيه البضائع المجلوبة والأمتعة والذخائر النفيسة[٩].

وازدهرت تجارة الحجاز مع عُمان التي تمتعت برخاء اقتصادي[١٠]. فقد بيعت لؤلؤتان في أسواق مكة سرقتا من أحد قصور عُمان لرجل سمرقندي[١١]، وأهدى صاحب عُمان إلى الكعبة عددا

---

(1) قدامة، الخراج، ص ٨٠

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٣.

(3) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، ص٣٢٦.

(4) المقدسي، المصدر نفسه، ص١٩٣.

(5) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٤٥، ٤٧.

(6) الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص ١٣٩

(7) المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩.

(8) المقدسي، المصدر نفسه ، ص٩٧.

(9) الإدريسي، نزهة المشتاق ج١، ص ١٣٩

(10) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٢.

(11) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٩.

من المحاريب زنة المحراب أزيد من القنطار، وقناديل في نهاية الإحكام، وسمرت المحاريب في جوف الكعبة مما يقابل بابها[١].

ووصفت وادي القرى بأنها مطرح الشام والعراق[٢]. ووصفت أيلة بأنها خزانة الحجاز [٣].

و صارت تجارة المشرق تدر أرباحا طائلة على التجار، وبتجارات الصين كانت تضرب الأمثال[٤].

وكانت السفن التجارية تخرج من الجار إلى اليمن وعدن[٥]. وكان تجار الحجاز يأخذون نسيج الشروب من عدن[٦]. كما استورد تجار الحجاز من اليمن الأطعمة والحبوب[٧] والحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب والحرير والقطن من صعدة[٨]. وصدرت الحجاز إلى اليمن الخرق والعباءات والشمل والأقنعة والملاحف[٩].

وازدهرت التجارة بين العراق والحجاز[١٠]. فكان أهل مكة يكسبون الذهب من حاج العراق[١١]، وكان تجار العراق ينقلون من الحجاز الزعفران والأديم الخفيف[١٢].

---

(1) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٣٧٠.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧.

(3) المقدسي، المصدر نفسه ، ص١٧٨.

(4) المقدسي، المصدر نفسه ، ص٩٧.

(5) خسرو، سفرنامة، ص٨٦.

(6) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٧.

(7) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١١٠.

(8) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٧، ٢٠٦.

(9) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١١١.

(10) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص١٣، ٢٧.

(11) خسرو، سفرنامة، ص١٢٤؛ ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٢٧.

(12) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٩، ١٣.

وكان أهل مكة يكسبون القوت من حاج السرو الذين يعيشون قرب مكة[١]، فكانت قبائل السرو تذهب إلى الحجاز محملة بمختلف أنواع السلع مثل الحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب[٢].

وعدت تيماء (التي تقع بين وادي القرى وبلاد الشام[٣] شمال تبوك) ممتار البادية[٤]، فهي التي كانت تزود البادية بالطعام.

وكانت تفرض على البضائع القادمة إلى الحجاز ضرائب تسمى المكس، فكان يؤخذ بجدة من كل حمل حنطة نصف دينار، وكيل من فرد الزاملة (والزاملة البعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه وطعامه عليه، والمزاملة المعادلة على البعير[٥]). ويؤخذ من سفط (وعاء)[٦] ثياب الشطوي (المنسوبة إلى بلدة شطا بمصر[٧]) ثلاثة دنانير، ومن سفط الدبيقي ديناران وحمل الصوف ديناران، وبعثر على كل حمل دينار وعلى سلة الزعفران دينار وكذلك على رؤوس الرقيق. وكانت هناك ضرائب تجبى في المراصد البرية من قلود جدة بالقرين وبطن مر[٨]. وكان المكس ينفق في أرزاق الأجناد. وكان مقدار ضريبة المكس ثمانية دنانير على كل رأس سواء من الذهب المسبوك أم المسكوك أم المكسور[٩]. ولم يقتصر فرض المكوس على التجار بل تعداه إلى الحجيج[١٠]. وكان العلماء يعفون من الرسوم[١١]. وكان هناك عقوبات لعدم دفع المكوس[١٢]. وكانت هذه الضرائب تجبى في عيذاب، ويحمل ربابنة المراكب المسؤولية عن صعود شخص لا يستطيع تسديد ما عليه

---

(1) خسرو، سفرنامة، ص١٢٤؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٧.

(2) خسرو، المصدر نفسه، ص٩٢-٩٣.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٣٢٩.

(4) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥.

(5) الرازي، مختار الصحاح، ج١، ص١١٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣١٠.

(6) الرازي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٥؛ ابن منظور، المصدر نفسه، ج٧، ص٣١٥.

(7) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٧٩٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٢.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٤، ١٠٥.

(9) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٥.

(10) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٤-٥٥.

(11) خسرو، المصدر نفسه، ص١٢١.

(12) ابن جبير، المصدر نفسه، ص٥٤-٥٥.

من رسوم، وقد يتعرض الحاج للسجن، وقد يجد غالبا من يتبرع له من أهل الخير من الحجـيج[١]. ولم يكتف أمراء الحجاز بالحصول على المكس، بل شاركوا في التجارة[٢].

النقود:

أما فيما يتعلق بالعملة المستخدمة، فكان الحجاز يتبع في عملته أبدا لصاحب مصر لأجل الميرة[٣]. وكانت تخصص رواتب لأمراء مكة والمدينة من القاهرة[٤].

فكان هناك الدراهم، إلا إنه في موسم الحج كانت تبطل بعض العملات منذ السادس من ذي الحجة إلى آخر الموسم، ومن أنواع هذه الدراهم الدراهم المحمدية، والدراهم العلوية وهي عملة يمنية[٥]. وكان هناك دراهم كبيرة ودراهم صغيرة[٦]. كما كانت الدراهم مختلفة في تركيبها حيث تخلط الفضة بعناصر أرخص، والتجوز في الدراهم هو قبولها على ما فيها من خفي الداخلة أو قليلها[٧].

كما استخدمت الدنانير العثرية (نسبة إلى مدينة عثر باليمن) ودينار عدن، وكانت الدنانير المطوقة متداولة لأهل مكة ووزنها ثلثا المثقال[٨]، ويؤخذ كدراهم اليمن عددا، وتفضل العثرية[٩]. وكانت الدنانير تتخذ من الذهب وربطت به أسعار ضرائب التجارة والحجيج[١٠]. كما استخدم الدينار النيسابوري[١١]. والدينار العلوي[١٢].

وإضافة للتعامل بالعملات فقد عرف في الحجاز أيضا نظام المقايضة[١٣].

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٥.

(2) خسرو، سفرنامة، ص١١٩.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٤.

(4) خسرو، المصدر نفسه، ص١١٢.

(5) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٩.

(6) المقدسي، المصدر نفسه، ص٣٦٧.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٢٨.

(8) الهمداني، الجوهرتين، ص ٩١، ٢٥٧

(9) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٩.

(10) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٥.

(11) خسرو، المصدر نفسه، ص١١١.

(12) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٢.

(13) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١١٠-١١١؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٣.

المكاييل والأوزان:

أما فيما يتعلق بالمكاييل والموازين فقد استعمل المد والصاع، والمد مكيال وهو ربع صاع[١]، والصاع مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد[٢]. وعرفت عدة أنواع من المدود وكان المد المستخدم في الحجاز يسمى الحجازي[٣]. كما استخدم الحجازيون من المكاييل القفيز[٤]، والمكوك وهو مكيال في الحجاز يختلف من بلدة لأخرى[٥]، والكيلجة[٦]. واستخدم المن (ويساوي وزن مئتي درهم[٧]) في المدينة وقرح[٨].

وعرفت عدة أنواع من الأرطال، فهناك: الرطل البغدادي[٩] وهو يساوي أربعمائة وثمانون درهما[١٠]. والرطل الحجازي مئة وثلاثون درهما وهو ست أواق يحسب كل أوقية أحد وعشرون درهما وثلث وبه يباع جميع الحوائج والعطر. والرطل اليمني ثلاثمئة وعشرون درهما وبه يباع الثياب والسكر والعسل وجميع الحوائج الحلوة، والرطل الذي يباع به اللحم والشحم والهريسة والمجبنة والألية أربعمئة درهم. والرطل الذي يباع به السمن والزيت والخل والشيرج ثمانمئة درهم[١١].

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٠٠، ج٨، ص٢١٥، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٧٤

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٠٠، ج٨، ص٢١٥.

(3) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠٠، ج٨، ص٢١٥.

(4) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٩٥، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٦٦

(5) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٨، هنتس، المرجع نفسه، ص ٧٨

(6) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٩١، وانظر للمزيد عن الكيلجة: هنتس، المرجع نفسه، ص ٧١

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩.

(8) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤١٩، وانظر: هنتس، المرجع نفسه، ص ٤٥

(9) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٩

(10) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٢٨٥-٢٨٦، وانظر: هنتس، المرجع نفسه، ص ٣٠

(11) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٢.

واستخدمت القلال الهجرية التي كانت تجلب من هجر وهي قرية قرب المدينة[١]. وتسع القلة الهجرية الفرق[٢]. والفرق من مكاييل المدينة يسع ستة عشر رطلا وهي اثنا عشر مداً وثلاثة آصع[٣].

وكان لأهل الحجاز من الموازين البهار والقنطار[٤].

واستخدم لقياس الأطوال الذراع[٥]. وكانوا يقيسون الأقمشة بذراع اليد في مكة أيام الموسم وأيام الصدقة، ويزيدون في ذراع القياس بعد الموسم بمدة شهر[٦].

ـ طرق المواصلات التي كانت تنظم وحدات الحجاز[*]:

كانت طريق المواصلات تسمى جادة[٧]، وتقاس المسافات على طرق المواصلات بالبريد، والبريد اثنا عشر ميلا، والميل أربعة آلاف ذراع.

وأما أهم طرق المواصلات فكانت الطرق القادمة من العراق، حيث يخرج الركب من العراق، ويمر بالكوفة، ثم القادسية، ثم العذيب ثم المغيثة، ثم القرعاء، ثم واقصة، ثم العقبة، ثم زبالة، ثم الشقوق، ثم بطان، ثم مدينة فيد[٨]، (وهي منزل فيه قناة يزرع عليها، وهي كثيرة الأهل، وفيها ينزل عامل الطريق وفيها مسجد جامع[٩]، وفيها قصر للسلطان وبساتين وحصون بعضها خربة ومسجد وجامع ومنبر وبها بركة مربعة وثلاثة عيون[١٠]، وهي بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة عامرة يودع الحاج فيها أزوادهم وما يثقل أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوها،

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٣.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥٦٥.

(3) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٠، ص٣٠٦، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٦٤

(4) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص٨٤، وانظر: هنتس، المرجع نفسه، ص ٢٠، ٤٠

(5) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٨، ص٩٣، وانظر للمزيد عن مقياس الذراع في الإسلام: هنتس، المرجع نفسه، ص ٣٠

(6) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٢.

(*) انظر الملحق (٤).

(7) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٨.

(8) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٠، ابن خرداذبة، المسالك ص ١٢٦، قدامة، الخراج، ص ٧٨

(9) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٦.

(10) الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٣٠٩.

ووهبوا لمن أودعوها شيئا من ذلك، وهم مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طوال العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم[١]). ثم توز، ثم سميراء، ثم الحاجر، ثم النقرة، ثم معدن النقرة، حيث يفترق الطريق فمن أراد مكة مضى على مغيثة الماوان، ثم الربذة، ثم السليلة، ثم العمق، ثم معدن بني سليم، ثم أفيعية، ثم المسلح، ثم غمرة، ثم ذات عرق، ثم بستان ابن عامر، ثم مكة[٢]. ومن أراد المدينة أخذ على طريق بطن نخل، ثم العسيلة، ثم طرفة، ثم المدينة[٣]. وأما طريق البصرة فيمر بحفر أبي موسى (حفر الباطن) والنباج ومنها يفترق الطريق فمن أراد المدينة أخذ الطريق الأيمن إلى معدن النقرة على طريق الكوفة[٤]، وبذلك يلتقي طريقا البصرة واليمامة مع طريق الكوفة مكة والمدينة عند معدن النقرة[٥]. فمن أراد مكة أخذ الطريق إلى ذات عرق وهي ملتقى حاج العراق حيث يحرمون منها[٦].

أما طريق أهل الشام، فكانوا يخرجون من دمشق متجهين نحو الجنوب بميلة إلى الشرق، فيمرون على عدد من المدن والمواضع التي تقع في طريقهم نحو الحجاز، فبعد الخروج من دمشق يمرون على زرع وبصرى وزيزا والكرك ومنها إلى معان ثم عقبة الصوان ثم إلى سرغ (المدورة) ومنها إلى تبوك والعلا ومنها إلى المدينة المنورة أو إلى مكة[٧]، وربما تجاوزوا المرور على على الكرك أو بصرى في طريق عودتهم.

والطريق من مصر إلى الحجاز فكانت من القاهرة إلى القلزم[٨]، وهي مدينة على شفير البحر، ومنها تحمل حمولات الشام ومصر إلى الحجاز[٩]. ومنها إلى أيلة حيث يلتقي طريق أهل

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٠، ابن خرداذبة، المسالك ص ١٢٧، ١٣١ـ ١٣٢، الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٢٥٦؛ قدامة، الخراج، ص٧٩

(3) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص١٥٠-١٥١؛ ابن خرداذبة، المسالك ص ١٢٨؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٦-١٧٧.

(4) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤٦؛ قدامة، الخراج، ص ٨٤؛ الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٥٧٥-٦٠٣.

(5) Al-Rashid, Darb Zubayda, p. 97, 124.

(6) قدامة، الخراج، ص ٨٠، الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٥٧٥-٦٠٣.

(7) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٥٠؛ قدامة، الخراج، ص ٨٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد ، ج٣، ص١٢٣٣

(8) خسرو، سفرنامة، ص١١٠.

(9) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٠.

مصر والمغرب مع طريق أهل فلسطين، فيصير الطريقان سوى، فيتجهون باتجاه مدين وهي مدينة قديمة عامرة[١]. ولأهل مصر وفلسطين إذا جاوزوا مدين طريقان: أحدهما إلى المدينة المنورة على بدا وشغب ثم إلى السقيا وبها يجتمع الحاج المصري والشامي القادم من تبوك ثم إلى ذي المروة ثم إلى ذي خشب ثم إلى المدينة[٢]. وطريق يمضي على ساحل البحر باتجاه العونيد فالروحاء ثم الجار ثم إلى الجحفة ثم إلى قديد ثم إلى عسفان ثم إلى بطن مر فمكة[٣].

والطريق الموصلة من مكة إلى اليمن، فيمر الخارج من مكة على بئر ابن المرتفع ثم إلى قرن المنازل وهي قرية كبيرة ثم إلى ألفتُق ثم إلى صَقْن ثم إلى تُرَبَة ثم إلى كرّى ثم إلى رَنْيَة ثم إلى تبالة مدينة كبيرة فيها عيون ثم إلى بيشة ثم إلى جُسَداء ثم إلى قرية بنات حرب ثم إلى يَمْبَم ثم إلى كُثنَة ثم إلى النُجَّة ثم إلى سروم راح ثم إلى المَهْجَرة ثم إلى عَرقة ثم إلى صَعْدَة ثم إلى الأعمشية ثم إلى خَيْوان ثم إلى أثافِت، وأخيراً الوصول إلى صنعاء[٤].

وهناك الطريق القادمة من عُمان، حيث يسلك العمانيون حجاجا وتجاراً إلى الحجاز عبر موانئ اليمن[٥]، ومن أهمها عدن ومنها ينطلقون إلى جدة، والمسافة من عدن إلى جدة نحو شهر[٦]. ولكن لبعد الطريق البحري فضل الكثير من الحجيج والتجار السير في الطريق البري[٧]. ولكن حدث انقطاع للطريق البري بين الحجاز وعمان، نظرا لتنازع العرب وكثرة الرمال[٨]، وذكر ابن خرداذبة وقدامة طريقاً ساحلية تربط بلاد عمان بالحجاز، وحددا منازلها بالمواضع التالية: الخروج من عمان إلى فرق ثم إلى عَوكَلان (أو: عركلان) ثم إلى ساحل هباه ثم إلى الشحْر وهي بلاد الكندر (اللبان) ثم إلى مِخلاف كِندة ثم إلى مخلاف عبد الله بن مذحج ثم إلى مخلاف لحْج ثم إلى عدن أَبْيَن ثم إلى مغاص اللؤلؤ ثم إلى مخلاف بني مجيد ثم إلى المنجلة ثم إلى مخلاف الرَّكب ثم إلى المندب ثم إلى

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص١٧٨ -١٧٩؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٨.
(2) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص١٧٩ -١٨٠؛ ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤٩؛ قدامة، الخراج، ص ٨٤؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٨.
(3) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص١٧٩؛ الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٦ - ١٠٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٤٦؛ الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٨، ١٩٧٣م، ع١، ص٣٥.
(4) ابن خرداذبه، المسالك، ص ١٣٤، قدامة، الخراج، ص ٨٢، ٨٥
(5) ابن خرداذبه، المصدر نفسه، ص١٤٧.
(6) الاصطخري، المصدر نفسه ، ص٢٧.
(7) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤١؛ البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٣٧٨.
(8) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٨.

مخلاف زبيد ثم إلى غلافِقة ثم إلى مخلاف عَكّ ثم إلى الحردة ثم إلى مخلاف حكَم ثم إلى عثر ثـم إلى مرسى ضَنَكان ثم إلى مرسى حلي ثم إلى السّرّين ثم إلى أغيار. ثم الطريق مـن خـولان ذي سُحَيم إلى مكة من خولان ذي سحيم إلى العُرش من جازان ثم إلى بيشة بُعطان ثم إلى وادي ضَنكان ثم إلى حلي ثم إلى بيشة ابن جاوان ثم إلى قنَونا ثم إلى الحَسَبَة ثم إلى دَوقة ثم إلى عُليب ثم إلى يَبَة ثم إلى منزل ثم إلى الليث ثم إلى يلملم ميقات أهل اليمن ثم إلى ملِكان ثم إلى مكة[١].

وكانت السفن التجارية من جدة تتحمل بالبضائع المختلفة والتجار مـن الحجـاز والحبـشة ومصر لترسو في ميناء غلافقة، ومنها يسيرون إلى زبيد برا ليلتقوا بالتجار من الـيمن[٢]. وشـكل ميناء جدة نقطة تنقل واتصال مهمة للحجاز، واعتبرت جدة فرضة (ميناء) مكة[٣]، فكان ميناء جـدة يزود المدن الحجازية بمعظم تجارتها التي ترد من خارج الإقليم، خـصوصاً مـن مـصر وبـلاد المغرب، ولهذا فقط كان بعض أهل مكة يتجه للعمل في ميناء جدة أيام المواسم[٤] لما يـشهده هـذا الميناء من حركة وازدحام. وكانت السفن تنتقل من عيذاب إلى جدة، وكانت المسافة بـين عيـذاب وجدة نحو من مئتي ميل[٥]. وكانت هناك طريق بحرية من الحجاز إلى موانئ الهند ولهـا مواسـم سفر[٦].

ويشار إلى ميناء الجار كأحد الموانئ الرئيسية في الحجاز، وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد ميناء جدة، ويقع هذا الميناء على بعد ثلاث مراحل من المدينة[٧]، ولهذا يعتبر ميناء المدينة، وتقصده المراكب المحملة بالبضائع والتجارات من الهند والصين والبحرين[٨]، كما ترسـوا بـه المراكـب القادمة من خليج القلزم وعيذاب[٩]، وكان يسكن في هذا الميناء الكثير من التجار[١٠] نظراً لازدحامه وكثرة ما يرده من تجارات.

---

(1) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤٧ ــ ١٤٨، قدامة، الخراج، ص ٨٦ــ ٨٧

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٥٢.

(3) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣

(4) التنوخي، الحسن بن علي، كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الـشالجي، بيـروت، ١٩٧١، ج٥، ص ٢٨٦

(5) التجيبي، مستفاد الرحلة والاغتراب، ص٢١٨.

(6) ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ص٣٠٩-٣٢٤.

(7) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٣

(8) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٥٣

(9) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣

(10) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٣٩، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٤٤

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والفكرية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والفكرية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

يتناول هذا الفصل الحياة الاجتماعية والفكرية في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية في القرن الرابع الهجري، فيدرس القبائل وأحوالها الاجتماعية ومساكنها، والحياة الدينية والمعارف والعلوم والعلماء.

القبائل ومساكنها[*]:

ذكرت الكتابات الجغرافية أن الحجاز كان يشكل وحدة إدارية واحدة قصبتها مكة في القرن الرابع الهجري، ومن مدنها: يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا والعونيد والجحفة والعشيرة. ومن قراها: بدر، خليص، أمج، الحجر، بدا يعقوب، السوارقية، الفرع، السيرة، جبلة، مهاج، حاذة[١]. والحجاز يتكون من اثنتي عشرة دارا هي: يثرب (المدينة)، وخيبر، وفدك، وذو المروة، ودار بلي، ودار أشجع، ودار مزينة، ودار جهينة، ودار بعض بني بكر بن معاوية، ودار بعض هوازن وجل سليم وجل هلال[٢].

كانت معظم القبائل العربية تعيش حياة البداوة، ووصف العرب بأنهم "ملكوا الأرض ولم تملكهم، وأمنوا عن التحصن بالأسوار، واعتمدوا على المرهفات الباترة، والرماح الشارعة جننا وحصونا، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له، يردون منها خيارها ويقصدون ألطافها[٣]"، والمسعودي يقصد بقوله أنهم ملكوا الأرض ولم تملكهم أن القبائل العربية لم تكن رهينة المكان بل كانوا يتنقلون من موضع لآخر بحسب ما تقتضيه حاجتهم وظروف عيشهم.

وكان لكل قبيلة من العرب منازل خاصة بها، ذات حدود معروفة وكان لكل قبيلة مياهها الخاصة بها، وقد "تخيرت العرب في البر أنزالا منها مشات ومنها مصايف: فمنهم المنجد (أي الذين نزلوا النجود وهي الأرض العالية في فصل الصيف) ومنهم المتهم (أي الذين نزلوا التهائم وهي

---

[*] انظر الملحق رقم (٢، ٣).

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٨؛ الاصطخري، المسالك، ص٦.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٩٧-٩٨.

Loading...

Loading...

Loading...

Loading...

Loading...

Loading...

أهل الطائف وقريش مصاهرة[١]، فسكن شرقي الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص، وسكن بعض قريش معدن البرام، وكان لبني أمية من قريش واد اسمه مشريق يقع في قبلي الطائف[٢]، وسكن بعض قريش الفرع وهي قرية من نواحي المدينة[٣]. وبعد الهجرة النبوية انتقل جزء كبير منهم لسكنى المدينة حيث أطلق عليهم اسم (المهاجرون)[٤].

وكان آل علي بن أبي طالب يسكنون سويقة قرب المدينة[٥]، وسكن بنو الحسن بن علي بن أبي طالب ينبع[٦]. ويذكر المقدسي في معرض حديثه عن يثرب أن "أكثر أهل المدينة بنو الحسين بن علي بن أبي طالب"[٧]. وسكن قوم من ولد الحسين بن علي وادي الفرع، حيث كانت لهم فيها عين العمق[٨]، ويذكر ابن حزم أن ولد داود بن الحسن بن الحسن بن علي علي بن أبي طالب كانوا يقيمون بالحجاز وأن لهم فيه ثروة وجموع[٩].

وكان أصل قرية مهايع (الواقعة في وادي ساية) لولد علي بن أبي طالب، ووصفت بأنها قرية كبيرة غناء، بها ناس كثير، وبها منبر ووال ينتابه من قبل صاحب المدينة، وفيها نخل ومزارع وموز ورمان وعنب، وفيها من أفناء الناس، وتجار من كل بلد[١٠].

وكان أمراء مكة من بني هاشم من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، واشتهر منهم الأمير جعفر بن عيسى بن فليتة بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم

---

[1] الجاحظ، البلدان، ص ٤٦٧

[2] الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠؛ كمال، محمد سعيد، قبائل الطائف، مجلة العرب، س٢، ع٣، ١٩٦٧م، ص٢٤٧.

[3] ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٢.

[4] اليعقوبي، البلدان، ص١٥١، ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨١

[5] الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص١٩١.

[6] الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٤٤٠.

[7] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٠.

[8] ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٦.

[9] ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م. ص ٤٣، وسيشار له فيما بعد: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب

[10] السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٣٥.

الحسني المكي الذي توفي يوم الاثنين الثامن من ذي الحجة، سنة إحدى وثمانين وخمسمئة، ودفن بالمعلاة[١].

وكان في الحجاز الجعفريون، وهم أولاد جعفر بن أبي طالب، وكان بودان رئيس الجعفريين، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع، وكان بينهم وبين الحسنيين (بنو الحسن بن علي بن أبي طالب) حروب ودماء، حتى استولت بنو حرب وهم طائفة من اليمن على ضياعهم، فصاروا حزبا لهم فضعفوا[٢].

وكان الأشراف العلويون الحسنيون والحسينيون والجعفريون يعيشون في جدة وما يليها من الصحراء والجبال. وهم من شظف العيش بحال. ويستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن: من إكراء جمال إن كانت لهم، أو مبيع لبن أو ماء، إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه. وتتناول ذلك بعض نسائهم الشريفات بأنفسهن[٣]. وبقرب جبل رضوى فيما بينه وبين ديار جهينة وبلي وساحل البحر ديار للحسنيين، يسكنون بيوت الشعر نحوا من سبعمئة بيت وهم بادية مثل الأعراب، ينتقلون في المراعي انتقال الأعراب، لا تميز بينهم في خلق ولا خلق[٤].

وكان من سكان الحجاز أيضا آل طاهر وينتسبون لأبي الحسن طاهر بن يحيى بن أبي محمد الحسن بن أبي الحسن جعفر الملقب بالحجة[٥].

وكان البكريون، وهم أولاد أبي بكر الصديق، يعيشون في السوارقية، وهي قرية أبي بكر بين مكة والمدينة[٦].

٢ - قبيلة خزاعة:

ومن القبائل الأخرى في الحجاز قبيلة خزاعة، سميت بهذا الاسم عندما خرجت القبائل العربية من اليمن وتفرقت في الجزيرة العربية أثر إنهيار سد مأرب ومنهم بنو مازن من الأسد، أقبل

---

(1) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٣، ص٢٧٨.

(2) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥.

(3) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٣.

(4) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٥.

(5) الهجري، التعليقات والنوادر، ج٢، ص١٢-١٥.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٦.

بنو عمرو (فانخزعوا عن قومهم) ونزلوا بمر الظهران قرب وادي فاطمة بمكة فسموا بقبيلة خزاعة[١]. وقد سكن قسم منهم مكة[٢] وما حولها[٣]، وكانت خزاعة في البداية هم سكان مكة وحكامها[٤] ثم استطاع قصي بن كلاب القرشي انتزاع حكم مكة من يد خزاعة[٥]. ويبدو أن خزاعة أخذت في التحضر، حيث وصفت بادية خزاعة بأنها قليلة[٦]. ومن المواطن الأخرى لخزاعة الفرع[٧] وأودية غزال وذو دوران وكلية وهي أودية تأتي من شمنصير وذروة وتجري بين ثنية هرشى إلى الجحفة[٨]. كما نزلت خزاعة بجبل الأبواء[٩]، وبقديد[١٠]، وبمر الظهران قرب مكة[١١].

٣ - قبيلة مزينة:

قبيلة مضرية عدنانية من القبائل الحجازية، وأموالهم ماشية من الشاء والبعير وأهل عمود (أي رحّل)[١٢]. فقد كانت منازل قبيلة مزينة بين المدينة ومكة[١٣] في الروحاء، والعرج[١٤]، والعمق[١٥]، والفرع وهي قرية من نواحي المدينة[١٦]. ونزلت مزينة في جبلي نهبان (نهب الأسفل

---

(1) ابن حزم، جمهرة الأنساب، ص٢١٢.

(2) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٣٤.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٤.، وانظر أيضاً: الجاحظ، البلدان، ص ٤٦٧

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٩ -٣٠؛ الكلبي، الأصنام، ص٨.

(5) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٠٣-١١٥.

(6) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥.

(7) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٥٧.

(8) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٣٥٢.

(9) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٧٩.

(10) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣١٣.

(11) ياقوت، المصدر نفسه ، ج٥، ص١٠٤-١٠٥؛ الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٧، ١٩٧٣م، ع١٠، ص٧٣٩.

(12) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص١١، ١٨، ٦٥.

(13) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٠٤، ٢٤٩.

(14) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٢.

(15) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٦.

(16) ياقوت، المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٥٢.

ونهب الأعلى)[١]. كما سكنت قبائل مزينة جبلي القدسين[٢]. (والقدسان جبلان أحدهما شامخ ينقاد إلى المتعشى بين العرج والسقيا ثم ينقطع، بينه وبين قدس الأسود عقبة يقال لها حمت)[٣]. وسكن بعض مزينة المدينة[٤]، كما سكنت بعض بطونها فيما بين المدينة ووادي القرى وفي جبال رضوى[٥].

٤ - قبيلة ربيعة:

كان فيما بين مكة والمدينة قبائل تنتمي إلى بكر بن وائل[٦]. وتنتمي قبيلة بكر بن وائل إلى قبيلة ربيعة التي كانت تسكن بداية في اليمامة[٧]، وكانت تميم المضرية قد دفعت قبيلتي قبيلتي بكر وتغلب الربعيتين من اليمامة واستولت على أراضيهما، وحالفوا عبد القيس في البحرين وانتقلت طائفة إلى عمان وإلى رمل بيرين[٨]. ولم يبق في اليمامة من القبائل الربيعية إلا قبيلة حنيفة التي أقامت في اليمامة وفي هجر[٩].

٥ - قبيلة تغلب:

وسكنت تغلب الجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين وديار ربيعة شمال الحيرة[١٠]. وسكنت بكر وعنزة وضبيعة في اليمامة وبين البحرين وسواد العراق والأبلة وهيت[١١]. ثم قطن قسم من شيبان من بكر بن وائل بين مكة والمدينة[١٢]. وسكن قوم من الأزد مكة[١٣]، كما سكن

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٥٢.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص١٨.

(3) السلمي، المصدر نفسه، ص١٧.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١.

(5) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٨

(6) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥.

(7) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٨؛ خريسات، العصبية، ص٦١.

(8) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٩٠؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٦٠.

(9) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٨٥؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٦١.

(10) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٨٦؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٦١.

(11) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٨٦؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٦١.

(12) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤١.

(13) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٤٩.

بعض الأزد بالحجاز في المناطق المحيطة بمكة[١]. وكان أول ذكر لهم عند ابن الأثير لحادثة لهم مع الملك الفارسي سابور ذو الأكاف[٢].

٦ - بنو سليم:

ومن قبائل الحجاز أيضاً: بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان بن عدنان، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء كثير[٣]. ووصفوا بأنهم بادية إلا من ولد في السوارقية وهي منزل بين معدن النقرة والمدينة بالقرب من بطن نخل (وهي قرية قريبة من المدينة[٤]). فإنهم ثابتون بها والآخرون بادون حواليها[٥]. وقد وصفت السوارقية بأنها قرية غناء كثيرة الأهل، فيها منبر ومسجد جماعة وسوق كبيرة يأتيها التجار من الأقطار، وهي لبني سليم خاصة، ولهم مزارع ونخيل كثيرة وفواكه، من موز وتين، ورمان، وعنب، وسفرجل، وخوخ، يسمى الفرسك[٦].

ومن قرى بني سليم أوطاس وهي أرض برية طيبة[٧]. وكان بنو سليم يبيعون على الحجاج في طريق الحجاز ونجد[٨]. كما سكن بنو سليم حرة بني سليم (حرة النار[٩]) وفيها رياض وقيعان[١٠]، كما سكن بعض بني سليم قرية الأرحضية وبها آبار ومزارع كثيرة[١١]. وسكن بعض بني سليم المدينة[١٢]، وامتدوا إلى الشمال منها[١٣]؛ يقول الإصطخري: "إذا جزت المعدن عن يسار

---

[1] اليعقوبي، البلدان، ص١٥٤، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٥

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص٧.

[3] السلمي، أسماء جبال تهامة، ص١١، ١٨، ٦٥.

[4] اليعقوبي، البلدان، ص١٥١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٩.

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٦٣.

[6] السلمي، المصدر نفسه، ص٦٤-٦٦.

[7] الأصفهاني، بلاد العرب، ص٤٠٥.

[8] السلمي، المصدر نفسه، ص٦٦.

[9] السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٨٧.

[10] السمهودي، المصدر نفسه ، ج٤، ص١١٨٦.

[11] السمهودي، المصدر نفسه ، ج٤، ص١١٢٤.

[12] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص٦٢، الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٧٩

[13] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٨.

المدينة فأنت في سليم، وإذا جزته عن يمين المدينة فأنت في جهينة"[1]، وسكنت أعرابهم في معدن بني سليم، وهو منزل كثير الأهل والماء من البرك[2]. وامتدت ديار بعض قبائل سليم من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حد الجبلين (أجاء وسلمى) إلى ما ينتهي إلى الحرة[3]. ومن منازل بني سليم قلهي وهو مكان به ماء وقرية بوادي ذي رولان[4]، والكدر[5] وبحران[6] والجموم[7]. وكان يقام في معدن بني سليم سوق للمتاجرة مع الحج[8]. واشتغلت بنو سليم بالتعدين وهاجر قسم منهم إلى منطقة العلاقي لاستخراج الذهب حيث نزلوا في موضع يقال له دح[9]. (ووادي العلاقي قرية جامعة بأرض النوبة[10]).

٧ - قيس عيلان:

القيسية هي مجموعة من القبائل العربية يقال لهم مضر السوداء، واشتهروا بنزاعهم مع القبائل القحطانية طيلة التاريخ الإسلامي، وتضم عدة فروع منها: بنو عقيل وبنو هلال بن عامر وبنو نمير بن عامر وبنو نصر وباهلة، وبنو سليم وهوازن وبنو غطفان التي منهم: عبس وذبيان وأشجع وكانت تقيم حول مكة[11]. فقد نزل بنو هلال بيشة وتربة بالقرب من مكة[12]. وكان بنو نصر يقيمون بالسروات[13]. وسكن بنو حصن وهم من باهلة الأعوص وهي على أميال يسيرة من

(1) الإصطخري، المسالك ص ٢٥

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٨، ٢٨٧؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٩.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٤.

(4) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٩٢.

(5) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢، ٦٧.

(6) الواقدي، المصدر نفسه ، ج١، ص٢، ٧٣.

(7) الواقدي، المصدر نفسه ، ج١، ص٣.

(8) الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٣٣٣.

(9) اليعقوبي، البلدان، ص١٧٣.

(10) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٤٠.

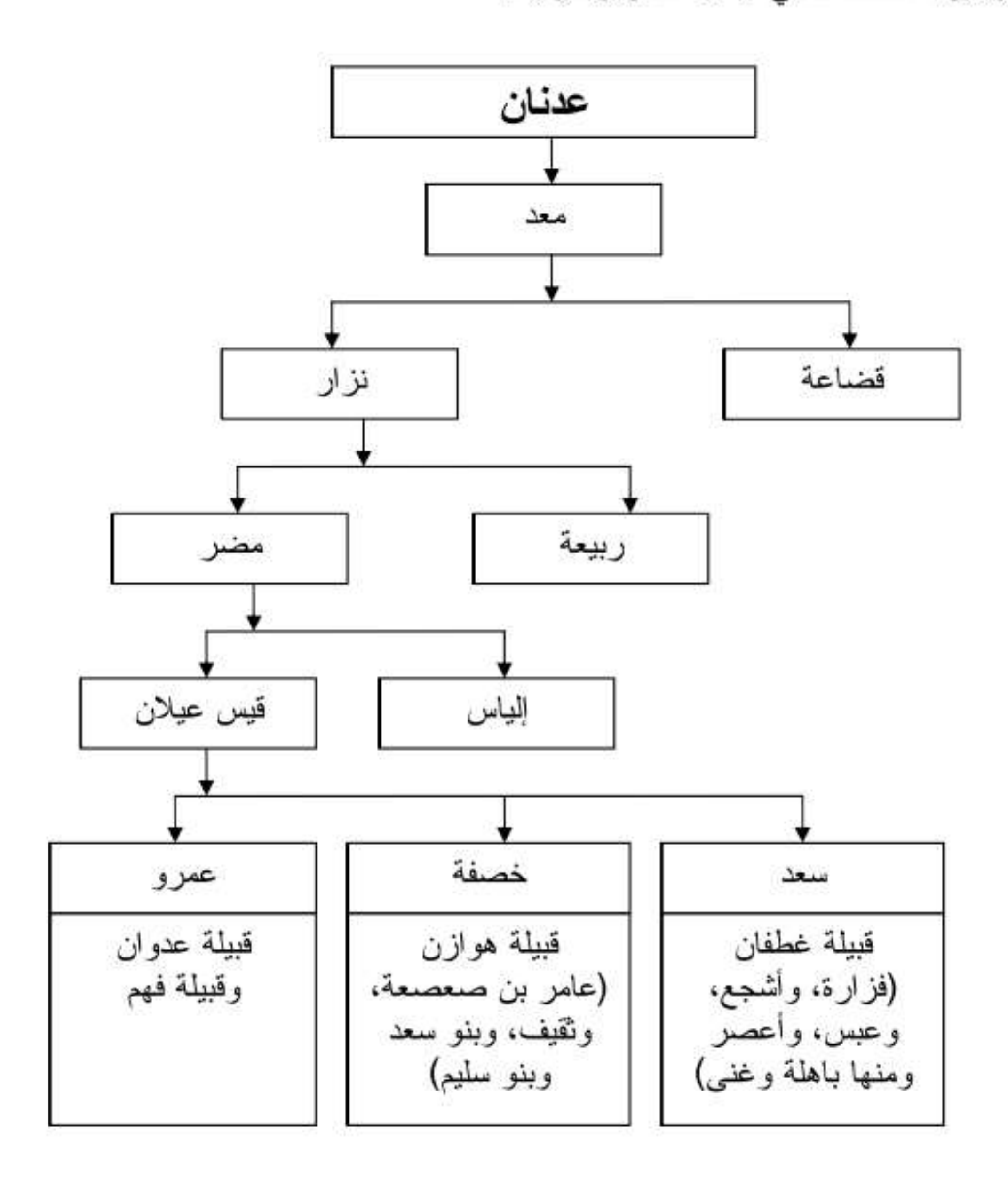
(11) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص١٥٤.

(12) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٩، ج٢، ص٢١.

(13) ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتينر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص٣١٧، وسيشار له فيما بعد: ابن حبيب، المحبر؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٤٥٦.

المدينة[١].وسكن بعض قيس بن عيلان المدينة[٢]. وامتدت مواطن قبائل نمير بن عامر وهلال بن عامر وباهلة من قيس عيلان في عالية نجد الجنوبية ومن جبالها جبل يذبل (الآن صبحا) [٣].

ويبين المخطط التالي قبائل عدنان وبطونها.



(1) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٢٣.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩٠؛ خريسات، العصبية، ص٦٠.

٨ - قبيلة هوازن:

وسكنت بعض قبيلة هوازن في الحجاز، وهي أحد قبائل قيس عيلان وتنسب إلى منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[١]، سكنوا من الحجاز بموضع يسمى تربة[٢]، وسكنت جماعات منهم في سراة بني سعد في الطائف[٣]، وكانوا يعبدون صنم "جِهَار"[٤]، ومن بطون هوازن بنو سعد بن بكر وبنو سلول بن صعصعة وبنو عامر بن صعصعة[٥].

٩ -كنانة:

قبيلة مضرية عدنانية ينتمي إليها النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وتنقسم إلى قسمين بنو النضير وبنو عبد مناف، ومن القبائل في الحجاز قبائل تنتسب إلى كنانة ومنهم بنو غفار وكانت تقيم حول مكة[٦]، وكان من منازلهم بدر وأيضاً لهم ماء[٧]. ومن منازل بني كنانة سقيا بني غفار وعفان ومر الظهران[٨]. وسكن قوم من بني بكر من كنانة مكة[٩]، وفي منازل بين المدينة ومكة[١٠]. وسكن بنو ضمرة من بكر من كنانة بالبزواء بين الجار وودان وغيقة[١١] وحوالي جبل ثافل من جبال تهامة[١٢]، وعند سيف البحر[١٣]، وفي وادي الجميش[١٤]. ووصفوا بأنهم أصحاب

---

(1) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٤

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٩٤.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠

(4) ابن حبيب، المحبر، ص٢١١، ٢٩٨، ٢٩٩؛ ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٤٩٣؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٥١٩-٥٢٠.

(5) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٢١٥.

(6) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٤.

(7) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٤٥.

(8) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٢؛ الجاسر، حمد، مر الظهران (وادي فاطمة)، ص٨١٧.

(9) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٤٠.

(10) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٢٩.

(11) السمهودي، المصدر نفسه، ج٤، ص١١٤٧-١١٤٨.

(12) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٧١.

(13) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٣٣.

(14) الواقدي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٦٦.

حلال ورعية ويسار[١]. كما أقام بعضهم في بدر[٢]. وسكن بعض كنانة المدينة[٣]. ومن أشهر بطونها بنو مرة وبنو كعب وبنو مخزوم وبنو شيبة[٤].

ومن القبائل الحجازية قبائل بني دوس وبني ليث وخثعم وحكم وكانت تقيم حول مكة[٥]. وتوزعت بطون بني دوس في الحجاز والسراة[٦]، وسكنت بنو ليث الكديد[٧]، ونزلت خثعم في بيشة وما بينها وبين تربة[٨]، وتبالة[٩].

١٠ - ثقيف:

وقبيلة ثقيف من قبائل الحجاز، وقد اختلف النسابون على نسب هذه القبيلة فمنهم من ينسبها إلى قيس عيلان وجاء ذلك عند ابن الكلبي والبلاذري وابن حزم وابن الأثير، ومنهم من ينسبها إلى بقايا ثمود[١٠]. وقد نزلوا الطائف[١١]. وكانوا يعبدون اللات[١٢]. كما سكنت ثقيف معدن البرام[١٣]. وكانت ثقيف تتكون من بطنين: الأحلاف، وبنو مالك[١٤].

---

(1) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص١١، ١٨، ٦٥.

(2) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٤٥.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١.

(4) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥.

(5) اليعقوبي، المصدر نفسه ، ص١٥٤.

(6) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٣٧٩

(7) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٦.

(8) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٩، ج٢، ص٢١.

(9) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٦-٣٠٧، ٣٩٥.

(10) البكري، معظم ما استعجم، ص٧٦.

(11) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٤، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠

(12) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٥؛ علي، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٥١٧-٥١٨.

(13) الهمداني، المصدر نفسه، ص٢٦٠؛ كمال، محمد سعيد، قبائل الطائف، مجلة العرب، س٢، ع٣، ١٩٦٧م، ص٢٤٧.

(14) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٣١٢.

ومن القبائل الأخرى في الحجاز بنو سعد وقد أقاموا بجبل غزوان[١] وفدك[٢]. كما سكن قوم من حمير الطائف[٣].

١١ - قبيلة غطفان:

وهي من قبيلة قيس عيلان وديارهم شمال هضبة نجد إلى خيبر وجبلي طي، وتتكون غطفان من عدة عشائر كبيرة أبرزها فزارة وعبس. وسكنت بعض غطفان في الحجاز وكانوا يعبدون صنم الأقيصر قبل الإسلام[٤]، فقد سكنت ذبيان بن بغيض بن غطفان في ذبالة بين نخل وبين خيبر[٥]، وفي قراقر[٦]. وكانت قبيلة فزارة بن ذبيان بن بغيض بن غطفان[٧] تنزل الأكادر والجناب[٨] بين المدينة وفيد[٩].

وسكنت عبس التي تعد من جمرات العرب[١٠]، في سميراء والحاجر[١١]. ومن منازلهم أيضا ماء قرقرى بين برك وخيم وبين الحاجر ومعدن النقرة[١٢].

١٢ - قبيلة هذيل:

وقبائل هذيل من قبائل الحجاز المعروفة، وهم بنو هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن عدنان[١٣]، وقد أقاموا بجبل غزوان[١٤]، يقول ابن حوقل: "وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل

---

(1) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٢٣-٢٢٤.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

(4) ابن حبيب، المحبر، ص٣١؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٥٠٨.

(5) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦١٩.

(6) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٢.

(7) ابن حبيب، المصدر نفسه، ص١٣٥، ٢٤٩، ٤٦١؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٥١٣-٥١٤.

(8) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٣٩، ج٢، ص١٦٤.

(9) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٧٩.

(10) ابن حبيب، المحبر، ص٢٣٤؛ علي، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٥١١.

(11) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٠.

(12) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٦٥.

(13) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٩٦.

(14) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

هذيل"[١]، وتوزعت منازلهم بين جبال السروات وحول مكة واتصلت بلادهم بالطائف[٢]، ولهم مياه في نجد وتهامة بين مكة والمدينة[٣]. وكان لهذيل مجموعة من القرى تقام فيها البيوت على التلال. وكانت تعبد الصنم سواع[٤]، ويذكر ابن حزم أن ديار بني هذيل حوالي مكة ذات عدد وعُدّة ومنعة[٥].

وكان بنو كلاب ينزلون في حرة ليلى بين وادي القرى والمدينة حيث النخل والعيون[٦]، وفي القرطاء[٧].

ونزلت بعض بطون طيء في بلدة فيد منذ ما قبل الإسلام[٨]، وكانوا يعبدون الصنم الفلس[٩]. وكانت تسكن ما بين الحجر إلى تيماء من طيء بنو صخر وإخوتها بنو عمرو وكان قرار تيماء لطيء[١٠]. كمانزل في تيماء بنو زريق وبنو مرداس وبنو جوين والغثاة وهم من الموالي[١١].

١٣ - قضاعة:

اختلف المؤرخون والنسابون على نسب هذه القبيلة فمنهم من ينسبها إلى يعرب بن قحطان ومنهم من ينسبها لمعد بن عدنان، والرأي الآخر قيل أنها جذم منفصل[١٢]، وكانت قضاعة تقيم بين الشام والحجاز إلى العراق فأيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام وبين تدمر والبلقاء إلى أطراف

---

(1) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٣٩

(2) الأصفهاني، بلاد العرب ص ٢٠ ــ ٢١، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ١٩٨

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩٠؛ خريسات، العصبية، ص٦٠.

(4) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٦؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٢، علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٥٣٥؛ مدني، التاريخ العربي وبدايته، ص١٠١.

(5) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ١٩٨

(6) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٨٧.

(7) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٩٥.

(8) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩٠؛ خريسات، العصبية، ص٦٠.

(9) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٦؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٤٥٤.

(10) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٤.

(11) الهمداني، المصدر نفسه، ص٢٧٤.

(12) ابن حزم، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٤٦.

الحجاز والعراق[١]. ومن قضاعة كلب التي كانت تقيم في دومة الجندل[٢] وتبوك وقراقر في الحجا [٣] إلى ناحية بلاد طيء وأطراف الشام والسماوة بين العراق والشام وأرض الغوطة في الشام وهاجر قسم منهم إلى خليج القسطنطينية[٤].

ومن قبائل قضاعة قبيلة بلي التي نزلت قبيل ظهور الإسلام فيما بين الحجاز والشام ومصر وكانت مساكنها بين المدينة ووادي القرى[٥]. وقبيلة عذرة التي وصفت بأنها كان منهم العدد والشرف، ومن منازلهم تبوك ووادي القرى والعين وعشي[٦]، وتمتد منازلهم شمالا إلى أطراف الشام[٧] فتمتد من وادي القرى إلى حسمى (في الأردن اليوم).

وكانت قبيلة أشجع تسكن في الجر حيث جرت بينهم وبين بني سليم بن منصور وقعة[٨]. كما كان أشجع أكثر أهل فدك[٩]. ونزل بعض أشجع في ذيالة بين نخل وبين خيبر[١٠]. كما جاورت أشجع جهينة بمنازلها. وسكنت أشجع منطقة يثرب[١١].

وأقامت جهينة برضوى[١٢] وينبع[١٣] وساحل البحر[١٤]. فقد كانت دار جهينة من حدود رضوى والأشعر إلى واد ما بين نجد والبحر وخالطوا لخماً في الجولان ونوى والبثنية وشقص من

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٧، ١٩ -٢٥٠؛ خريسات، العصبية، ص٦٣.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٢٣، ٤١٣.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٢.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩٠؛ خريسات، العصبية، ص٦٣.

(5) الاصطخري، المسالك والممالك،ص٢٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٢؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٤؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٨٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٣٥٢-٣٥٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٨؛ ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج١، ص١٧٥؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٢،ص٢٨٧.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٨٢٢.

(7) ياقوت، المصدر نفسه ، ج٢، ص٨٢٢.

(8) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٤.

(9) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠١٥.

(10) البكري، المصدر نفسه، ج٢، ص٦١٩.

(11) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٣٨.

(12) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢١٨.

(13) السمهودي، المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٣٤.

(14) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣١٤.

أرض حوران[١]. وتفرقت قبائل جهينة في جبال الأشعر والأجرد وقدس وآره ورضوى وصندد، وانتشروا في أوديتها وشعابها وعراضها، وأسهلوا إلى بطن أضم وأعراضه، وهو واد عظيم، تدفع فيه أودية، ويصب في البحر، ونزلوا ذا خشب، ويندد، والحاضرة ولقفا والفيض، وبواط، والمصلى، وبدرا، وجفاف، وودان، وينبع، والحوراء، ونزلوا ما أقبل من العرج والخبتين والرويثة والروحاء، ثم استطالوا على الساحل، وامتدوا في التهائم وغيرها، ونزلت طوائف من جهينة بذي المروة وما يليها إلى فيف[٢]. وكانت الجحفة وخم من بلد جهينة[٣]. وسكن بعض جهينة المدينة[٤].

١٤ - القبائل اليمنية:

كانت مذحج قبل الإسلام تسكن في نجران باليمن وتعبد الصنم يغوث[٥]، وكان يجاورهم عك بن عدنان في نجران والأشعريون في شمال زبيد وتهامة اليمن[٦]، ومن مذحج بنو حرب بن سعد من خولان من مذحج، وكان موطنهم حوث في أرض همدان وشمالي صنعاء، أخرج معظمهم محمد بن أبان الخنفري القيل والربيعة إلى الحجاز إلى عروان وإلى العرج وإلى المدينة وإلى قدس ورضوى وإلى البصرة[٧]. وسكن بنو حرب في الجحفة وخم أيضا[٨]. كما انتقلت عك بن عدنان إلى الحجاز وسكنت الأعلاب بين مكة والساحل[٩].

---

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٧٣.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٣٧ -٣٨.

(3) الهمداني، المصدر نفسه، ص٢٥٩.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١.

(5) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٢؛ علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٤٥٦؛ مدني، التاريخ العربي وبدايته، ص١٠١..

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٣٢؛ خريسات، العصبية، ص٦٢.

(7) الهمداني، الإكليل، ج١، ص٥٧، ٢٤٤، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠٦، ج٢، ص١٠٩-١١٠، ١١٣، ١١٩، ج٨، ص٢٩، ج١٠، ص٣٨، ٧٨، ١٦٢.

(8) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٩.

(9) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٢.

وسكنت كهلان وبجيلة وخثعم اليمانية بالحجاز[١]. وسكن بنو أسلم الأبواء[٢] ووبرة (وهـي قرية ذات نخيل من أعراض المدينة[٣]).

وكانت همدان قبل الإسلام تسكن في اليمن وتعبد الصنمين يغوث ويعوق[٤]. وقد انتقل بعض الهمدانيين بعد الإسلام إلى الحجاز حيث سكنوا حمى فيد. كما سكن بعض بني أسد حمـى فيـد[٥]، وقطن[٦] والغمر[٧].

١٥ - الأوس والخزرج:

قبيلتان من قبائل غسان بن الأسد الكهلانية القحطانية وهي من قبائل اليمن، هـاجرت إبـان انهيار سد مأرب لتستوطن يثرب. وقد اشتهروا بالأنصار لأنهم من نصروا رسول الله – صـلى الله عليه وسلم -، وقد آخى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بينهم وبين المهاجرين. ومن بطون الأوس (بنو النبت والجعادرة وبنو عبد الأشهل وبنو ضفر وبنو خطمة)، ومن بطون الخزرج (بنو زريـق وبنو بياضة وبنو النجار) [٨].

وعمل الأوس والخزرج بالزراعة وتربية الماشية[٩]. كما سكن بعض الأنصار الفرع وهـي قرية من نواحي المدينة[١٠]، وقرية الأرحضية وبها آبار ومزارع كثيرة[١١].

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٩٠؛ خريسات، العصبية، ص٦٢.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص١٥٢.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٩.

(4) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٦؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٢، علي، المفصل في تـاريخ العـرب ، ج٤، ص٤٤٩؛ مدني، التاريخ العربي وبدايته، ص١٠١..

(5) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص١١٠٢.

(6) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٣٠-١٣١.

(7) الواقدي، المصدر نفسه ، ج١، ص٢١٩.

(8) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٤.

(9) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج١، ص١٧٢، ١٧٣

(10) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٢٥٢.

(11) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٢٤.

ولم تبق القبائل العربية ثابتة في أماكنها في الحجاز، بل انتقلت بعض البطون إلى خارج الحجاز، ومن الأمثلة على ذلك خروج قبيلتي أسد وغطفان نحو العراق واستيلاء طيء على المواطن التي كانت تنزلها هاتان القبيلتان، كما خرجت عقيل إلى الجزيرة الفراتية، وكلاب إلى منطقة حلب، ثم خرجت طيء إلى شمال بلاد الشام، وقامت إمارة بني أسد في الحلة وغربي الفرات، وقامت إمارة عقيل في الجزيرة الفراتية، وقامت إمارة طيء في فلسطين والأردن، وقامت إمارة كلب في دمشق، وإمارة كلاب في حلب وما حولها[١].

وهناك آل العيصي، نسبة إلى العيص، وهو موضع في بلاد بني سليم به ماء ذنبان، والعيص فوق السوارقية من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام[٢].

لقد شكلت القبيلة عند العرب قبل الإسلام وحدة اجتماعية أساسية، فكانت كل قبيلة تضم عددا من الأفراد الذين ينتمون إلى جد واحد مشترك[٣]. وليس للفرد أن يخرج على قيم قبيلته وإلا خلعته القبيلة، وكان هناك جبل اسمه حضوضى أو جزيرة في البحر اسمها حضوض، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليها خلعاءها[٤]. ومن ذلك خلع قريش عبد الله بن جدعان خوفا من أن يجني عليهم الجرائر[٥].

وكان الغزو سمة أساسية من سمات العلاقات بين القبائل قال عمرو بن براقة[٦]:

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم	فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما	وأنفا حميا تجتنبك المظالم

---

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٦٢-٦٦٣، ٦٣٥.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٧٣؛ الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٢٨٨.

(3) Smith, Robertson, Kinship and Marriage in Early Arabia, London, 1907, p. 3.

(4) الهمداني، الإكليل، ج٨، ص١٢٦؛ ؛ خريسات، العصبية، ص٩٧.

(5) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص١٠٤-١٠٥؛ خريسات، العصبية، ص٤٦.

(6) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦١.

وتحدثت الكتابات الجغرافية عن القيم الاجتماعية التي كانت سائدة بين هذه القبائل في فتـــرة ما قبل الإسلام، فقد امتدح العرب الوفاء؛ وبرز منهم رجال موصوفون بالوفاء أطلق عليهم: "الوافون من العرب"؛ فالأعشى يمدح وفاء السموأل بن عاديا اليهودي صاحب تيماء[1]. كما أن معركـــة ذي قار حصلت بعد الخلاف الذي وقع بين النعمان بن المنذر وكسرى أبرويز والتجاء النعمان إلى هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني ووفائه له[2].

وكان لكل قبيلة سيد، وقد يطلق على السيد اسم الرب، ومن الأمثلة على ذلك أسد بن كريـــز رب بجيلة، وحذيفة بن بدر رب معد[3]. وكان سيد القبيلة يوقد نارا ويرفع قبة حمراء لدعوة القبيلـــة في الملمات[4].

ولم يكن جميع أفراد القبيلة متساوين، إذ يتميز بينهم أصحاب البيوتات، وهم الذين ينتمـــون إلى البيوت المشرفة وأصحاب السيادة[5]. كما كان في كل قبيلة عبيد وإماء. وبعد العتق يصبح العبيد والإماء موالي لأسيادهم العرب. وقد استفاد الموالي من حماية العرب (القبائل) لهم[6].

ـــ الحياة الدينية:

قدمت الكتابات الجغرافية معلومات عن الحياة الدينية في الحجاز، فذكرت أنه فـــي الفتـــرة السابقة للإسلام إضافة إلى الديانة الوثنية، كان بين أهل الحجاز من دخل في اليهودية والنـــصرانية، وهناك من كان على دين الحنيفية، فذكرت أنه ممن كان في الفترة بين المسيح ومحمـــد مـــن أهـــل التوحيد، ممن يقر بالبعث، ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي[7] الذي قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الأصنام وتنصر أو تحنف[8]. وعداس مولى عتبة بن ربيعة وكان من أهـــل

---

(1) الأعشى الكبير (أعشى باهلة)، ديوانه، ص ١٥٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٧٦، ابن بابة القاش، رأس مال النديم، ص ٦٩

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٣ -٢٩٤.

(3) ابن رسته، الأعلاق، ص٢٢٩؛ خريسات، العصبية، ص٥٢.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٤٢؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٥٤.

(5) المسعودي، التنبيه، ص١٠٨؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٥٧.

(6) Nicholson, Reynold, A., A literary History of the Arabs, London, 1966, p. 219.

(7) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٨٧؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٥٦.

(8) المسعودي، المصدر نفسه، ج١، ص٨٧.

نينوى، ولقي الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالطائف، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس من الأنصار من بني النجار، وكان ترهب ولبس المسوح وهجر الأوثان، ودخل بيتا واتخذ مسجدا لا تدخله طامث ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم، فلما قدم النبي المدينة أسلم وحسن إسلامه، وأبو عامر الأوسي عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، من بني عمرو بن عوف، من الأوس، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، وكان سيدا قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، فلما قدم النبي المدينة خرج في خمسين غلاما، فمات على النصرانية بالشام، وعبيد الله بن جحش الأسدي من بني أسد بن خزيمة، وكان قد قرأ الكتب فمال إلى النصرانية. وخالد بن سنان بن غيث بن عبس العبسي، ورئاب الشني من شن من عبد القيس، وقس بن ساعدة الإيادي من إياد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث، له خطب وأشعار، وإذا تحدث في عكاظ اجتمع الناس حوله وخطب بهم، والعرب يحفظون خطبه وأشعاره ويتحدثون بها في مجالسهم وله أشعار، وبحيرا الراهب من عبد القيس وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم، قرأ الكتب وسكن صومعة.[١]. وأمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان يتجر إلى الشام، فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب، وله أشعار[٢].

كانت الديانة السائدة في الحجاز قبل الإسلام هي الوثنية، وكان للكعبة في مكة مكانتها في هذه الديانة، وقد حاول أحد التبابعة نقل الركن من الكعبة إلى اليمن في عهد خزاعة ففشل[٣]. وكان من طقوس الديانة الوثنية الحج إلى مكة، وكانت جميع القبائل العربية تشترك في الحج إلى مكة، إلا أن لكل قبيلة تلبية خاصة بها[٤].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٨١-٨٩؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٨٠، ٢٢٢، ٤٢١، ٥٠٩، ٥٨٣

(2) المسعودي، المصدر نفسه، ج١، ص٨٤.

(3) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٨؛ خريسات، العصبية، ص٦٧.

(4) ابن حبيب، المحبر، ص٣١١-٣١٥؛ اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦؛ قطرب، الأزمنة، ص٣٩-٤٤؛ مدني، التاريخ العربي وبدايته، ص١٠١.؛ البياتي، عادل جاسم، نصوص التلبية قبل الإسلام ومضات من وحدة الفكر والمصير، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ع١، ١٩٨٢م، ص٢٦٤-٣١٤؛ العمري، ليلى توفيق، التلبية عند عرب الجاهلية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع٢، ٢٠٠٢م، ص٣٤٩-٣٧٥؛ أبو الغنم، الفكر الوثني والمؤسسات الوثنية في الحجاز قبيل الإسلام، ص١٢٠.

كما اعترفت بعض القبائل العربية بحرمة الأشهر الحرم، وأطلق عليهم اسم الذادة المحرمون وهم من العدنانيين، بينما لم تعترف قبائل أخرى بحرمة الأشهر الحرم وأطلق عليهم اسم الحلة، وكان الذادة المحرمون يلبسون سلاحهم في الأشهر الحرم لمقاومة الحلة[١].

لقد تركزت الحياة الدينية في الحجاز بعد الإسلام حول المسجد الحرام في مكة ، والمسجد النبوي في المدينة الذي بادر الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى إنشائه حين وصلها مهاجرا من مكة[٢].

وارتبطت الحياة الدينية في الحجاز بالمناسبات الدينية خصوصا في مكة[٣]. فقد احتفل أهل مكة بقدوم شهر رمضان[٤]، حيث كان يقع الإيذان بالصوم بضرب الدبادب ليلة دخول شهر رمضان، وتجدد الحصر وتكثر الشموع والمشاعيل في الحرم، ويتفرق الأئمة لإقامة التراويح فرقا شافعية وحنبلية وحنفية وزيدية ومالكية وفي رمضان في كل وتر من العشر الأواخر يختم فيها القرآن، وإذا ختم صبي القرآن استدعى أبوه القاضي وجماعة الأشياخ إلى منزله إلى طعام وحلوى، وليلة سبع وعشرين كان لها احتفال خاص[٥].

واحتفل أهل الحجاز بعيد الفطر، فكانت تنصب بمكة القباب ليلة الفطر ويزين السوق بين الصفا والمروة ويضربون الدبادب (الطبول) إلى الصباح. وإذا صلوا الغداة أقبلت الولائد مزينات بيدهن المراوح يطفن بالبيت، وتضرب الفرقاعيات بعد التراويح كما تضرب عند الصلوات[٦]. كما احتفل أهل الحجاز بالمولد النبوي في شهر ربيع الأول في يوم الاثنين منه[٧].

ومن المناسبات الدينية الأخرى عمرة الجعرانة وذلك في ٢٦ ذي القعدة[٨]، وكذلك العمرة الرجبية، وقد وصفت بأنها موسم عظيم مثل عيد رمضان، وأنها أخت الوقفة العرفية، حيث تبادر

---

(1) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٠؛ خريسات، العصبية، ص٨٠.

(2) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج١، ص٣٢٢.

(3) خسرو، سفرنامة، ص١٢٤.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٠.

(5) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٢٢، ١٢٧، ١٣٢.

(6) المقدسي، المصدر نفسه، ص١٠٠.

(7) ابن جبير، المصدر نفسه، ص٩٢.

(8) خسرو، المصدر نفسه، ص١٣٥.

الناس المحيطة بالحجاز بالقدوم إلى مكة فيجتمع خلق عظيم ويستعد لها المكيون قبل قـدوم رجـب بأيام وتملأ أزقة مكة بالهوادج المزينة بالستور التي تتدلى إلى الأرض[١]. وفي العمرة الرجبية يتقد الشمع في بين أيدي الإبل التي عليها هوادج عقائل نساء مكة[٢]. وكان من عادة آل الشيبي حجـاب الكعبة فتح باب الكعبة يوميا في شهر رجب ويستقبل الناس فتح الباب بالتكبير والدعاء منذ الـصباح الباكر يدخلون ويدعون[٣]. وكان يفرد اليوم التاسع والعشرون من رجب للنساء خاصة، حيث يفـتح لهن البيت الكريم، فيفرج الناس لهن عن الطواف وعن الحجر، وينفسحن في الطـواف والحجـر، ويتشفين من تقبيل الحجر واستلام الأركان[٤].

ومن المواسم الدينية الأخرى في الحجاز ليلة النصف من شعبان، حيث يصلي أهـل مكـة جماعات جماعات، تراويح يقرؤون فيها بفاتحة الكتاب وبقل هو الله أحد، عشر مرات في كل ركعة إلى أن يكملوا خمسين تسليمة بمئة ركعة[٥].

ونتيجة لانتشار المذهب الشيعي في الحجاز، فقد كان للشيعة نصيب في الحياة الدينية فيـه، فقد كان هناك إمام زيدي في المسجد الحرام إضافة إلى الأئمة السنية الأربعة، بل إن أشراف مكـة كانوا على المذهب الزيدي، وكان في المسجد النبوي خطيب جمعة شيعي[٦].

وأدى انتشار المذهب الشيعي في الحجاز إلى تعصبهم ضد أهل السنة، فقد وصف الشيعة في الحجاز بأنهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة، وأنهم صيروهم من أعظم غلاتهم التـي يستغلونها. فالحاج معهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أن ييسر الله رجوعه إلى وطنه[٧].

ووجد في الحجاز القُصَّاص، وهم مجموعة من الوعاظ يعظـون النـاس، وتعـود فكـرة القصاص إلى زمن معاوية بن أبي سفيان الذي كان يولي رجلا على القصص، فإذا سلم من صـلاة

---

(1) خسرو، سفرنامة، ص١٢١؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٦-١٠٧.

(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٧-١٠٨.

(3) خسرو، المصدر نفسه، ص١٢١؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٧٠.

(4) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١١٣، ١١٥-١١٦.

(5) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١١٩-١٢٠.

(6) ابن جبير، المصدر نفسه، ص١٧٩-١٨٠.

(7) ابن جبير، المصدر نفسه، ص٥٤.

الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة[١].

وانتشرت في الحجاز بعض المعتقدات، فكان إذا مات أحد بالطائف لم يحمل جنازته إلا الشبان ومع ذلك يقولون: "سلم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي" وهم يتداولون النعش إلى الجبانة وهم الذين يحفرون القبر[٢].

كما انتشر في الحجاز الاعتقاد بأثر الأحجار الكريمة في الإنسان؛ فالزمرد إذا سقي منه الملسوع وزن دانق أو دانقين أمن على نفسه[٣]، وهو يدفع العين والتوابع والفزع وعين أم الصبيان عن الصبيان ويقاوم السم ويفرح القلب ويقوي البصر ويسر النفس ويبسطها[٤].

ومن المعتقدات في الحجاز ما كان يزعمه الناس أن من أكل على جبل أبي قبيس المطل على الكعبة الرأس المشوي يأمن أوجاع الرأس[٥].

كما ظهر الاعتقاد أن علي بن أبي طالب قاتل الجن ببئر ذات العلم وهي بئر متناهية بعد الرشا يكاد لا يلحق قعرها، بين المدينة والصفراء، تجاه الروحاء[٦].

وكان إذا مرض مريض يغسل من بئر بضاعة، فيشفى كأنما نشط من عقال[٧]. وتقع هذه البئر في دار بني ساعدة بالمدينة، في جانب حديقة، شمالي السور، منها يستقي أهل حديقة في شمالي البئر. ووصفت بأنها بئر مليحة طيبة الماء، ومن يشرب منها يجد حلاوة غير عادية[٨].

---

(1) المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م. ج٢، ص٢٥٣

(2) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٥.

(3) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٣٢٥ -٣٢٦.

(4) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٦٨.

(5) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٣٦٨.

(6) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٤٤.

(7) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٣٢.

(8) الفيروز آبادي، المصدر نفسه ، ص٣١.

وفي الطريق بين مكة والمدينة سدرة في واد، وكان من يجوز الوادي من أهل الحجـاز أو الحجيج يأخذ من ورقها لأن النبي استظل بها، وذكروا أن السدرة تبقى على حالها لم يـنقص منهـا شيء رغم كثرة ما يأخذه الناس من أشجارها[١].

ـ المعارف والعلوم:

أشارت الكتابات الجغرافية إلى المعارف والعلوم التي وجدت فـي الحجـاز خـلال فتـرة الدراسة، فقد وجدت الدراسات اللغوية التي عنيت بجمع اللهجات العربية التي أطلـق عليهـا اسـم لغات، حيث كان لكل قبيلة لهجة خاصة تسمى لغة، فهناك مثلا لغة طيء وأسد التي تختلف عن لغة قريش[٢]. وأهل الشحر وهم أناس من قضاعة وغيرهم من العرب، وهم مهرة، فإن لغتهم بخـلاف لغة العرب، وذلك أنهم يجعلون الشين بدلا من الكاف[٣]. وأهل مكة فيهم فـصاحة فـي اللغـة[٤]، والأشعريون لا بأس بلغتهم، وهمدان قسم منها فصيح وأهل تهامة فصحاء وصنعاء مختلفة اللغـات واللهجات[٥]، ويذكر المقدسي أن لغة العرب هي لغة أهل الجزيرة العربية بصفة عامـة، وأن لغـة هذيل هي أصح هذه اللغات، يقول: "وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هـذه الجزيـرة إلا أن أصحها لغة هذيل"[٦].

ولم يغفل الجغرافيون العرب في مؤلفاتهم التطرق إلى قضية نشأة الكتابة العربية، فحـاولوا تحديد بداية الكتابة العربية، حيث كانت تعتمد الكتابة على حفظ المناقشات والآراء التي تحفظ علـى ظهر قلب وتنقل مشافهة إلى أن بدأ التدوين، حيث ذكر أن عبد ضخم بن ارم نزل ومن تبعه الطائف وهؤلاء أول من كتب بالعربية، ووضع حروف المعجم، وسار بعده جرهم بن قحطان بولـده ومـن تبعه، وطافوا البلاد، حتى أتوا مكة فنزلوها[٧].

---

(1) خسرو، سفرنامة، ص١٣٥.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١١٧؛ خريسات، العصبية، ص٦٥.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٧٠.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤١

(5) الهمداني، صفة، ص١٢٤؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٦٦.

(6) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٩١

(7) المسعودي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٢١-١٢٢.

وأوردت الكتابات الجغرافية أسماء الأشخاص الذين اشتهروا بالكتابة زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فذكرت أن خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كـــان يكتب بين يدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في سائر ما يعرض من أموره، والمغيـــرة بـــن شعبة الثقفي، والحصين ابن نمير يكتبان أيضا فيما يعرض من حوائجه، وعبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري، والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات، والزبير بن العوام، وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات، وحذيفة بن اليمان يكتب خرص الحجاز، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي حليف بني أسد وكان يكتب مغانم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأمره، وزيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي يكتب إلى الملوك ويجيب بحضرة النبي وكـــان يتـــرجم للنبـــي بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن، وكان حنظلـــة بـــن الربيع بن صيفي الأسيدي التميمي يكتب بين يديه في هذه الأمور إذا غاب سائر الكتاب وكان يدعى حنظلة الكاتب، وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم لحق بالمشركين بمكة مرتدا، وكتـــب لـــه شرحبيل بن حسنة الطابخي من خندف أو الكندي حليف قريش، وكان أبـــان بـــن ســـعيد والعـــلاء الحضرمي ربما كتبا بين يديه، وكتب له معاوية قبل وفاته بأشهر[١].

وازدهرت في الحجاز الخطابة التي ارتبطت أيضا بالحكمة، فظهر الحكماء الخطباء، وقـــد تطورت الخطابة ــ خصوصاً الدينية والسياسية ــ في القرنين الثالث والرابـــع الهجـــريين تطـــوراً ملموساً نظراً للمكانة الدينية التي تمثلت بالحرمين الشريفين، واشتهر من رجال الحجـــاز فـــي فـــن الخطابة: الخطيب قس بن ساعدة الإيادي، الذي ضرب العرب بحكمته وعقلـــه الأمثـــال، ومدحـــه الشاعر الأعشى[٢]، واشتهرت قبيلته إياد بكثرة الخطباء فيها[٣].

وكذلك انتشر الشعر في الحجاز، وانتشرت المساجلات الشعرية بين الشعراء، وقد تـــضمنت الكتابات الجغرافية ذكر مجموعة من الأدباء والشعراء في الحجاز ومنهم الشاعر أبو بكر محمد بـــن عتيق بن نجم بن أحمد السوارقي البكري[٤]. والشاعر محمد بن إبـــراهيم بـــن عبـــد الله الأســـدي

---

(1) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦١ -٢٦٢، ابن بابة القاشي، رأس مال النديم ص ٥٠ ــ ٥١

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٨٣.

(3) ابن بابة القاشي، المصدر نفسه، ص ١٤١ ــ ١٤٢

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٦.

الحجازي[1]. والشاعر محمد بن المناذر[2]، والشاعر جعفر بن يحيى بن إبراهيم التميمي المسند أبو الفضل المكي ابن الحكاك[3]. والأديب نامي بن محمد بن موسى الحسني أبو كثير المكي[4]. وذكر ابن حزم "أن قبيلة هذيل فيها نيف وسبعون شاعراً مشاهير"، وعدد أسماء جماعة منهم[5].

وازدهر في الحجاز علم النسب، حيث قسم النسابون العرب إلى العرب البائدة الذين انقرضوا[6]، والعرب الباقية، وقد اتخذ الإسلام موقفا حذرا من علم النسب حيث نسب إلى النبي قوله: "كذب النسابون"[7]، ومع ذلك فقد وجد بين الحجازيين علماء مختصون بعلم النسب منهم مصعب بن عبد الله القرشي المدني الذي اعتبر أفقه قرشي في علم الأنساب والأخبار وصنف كتاباً اسمه "نسب قريش"، والنسابة عبد الله بن محمد الأنصاري المدني وله كتاب "نسب الأنصار"[8].

وقامت بين العرب المنافرات، وهي الاحتكام إلى شخص يدعى الحكم لتحديد أي الشخصين أفضل من الآخر، ومن الأمثلة على ذلك المنافرة بين هاشم وأمية[9].

ومن المعارف والعلوم التي كانت موجودة في الحجاز وذكرتها الكتابات الجغرافية علم الأنواء، واختص هذا العلم بدراسة المناخ والطقس وذلك عن طريق تحديد التغيرات في المناخ والطقس وربطها بظهور واختفاء نجوم معينة في السماء، بل إن النجوم استخدمت لتحديد ساعات الليل والنهار، ومن الأمثلة على ذلك أن ابن عباس قال لعكرمة مولاه: "اخرج فانظر كم بقي من الليل"، فقال: "إني لا أبصر النجوم"[10]. ومن الأمثلة على ربط أهل الحجاز التغيرات المناخية بالنجوم الأقوال المنسوبة إليهم في هذا المجال ومنها: "إذا طلعت الصرفة احتال كل ذي حرفة وحفر

---

(1) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٢، ص٩٨.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٦٣.

(3) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٣، ص٢٨٢.

(4) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٦، ص١٥٣.

(5) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ١٩٨

(6) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٤.

(7) المسعودي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٣.

(8) المزي، تهذيب الكمال ج٢٨، ص ٣٥

(9) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٨؛ خريسات، العصبية، ص٦٩.

(10) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٦٨.

كل ذي نطفة وامتير على الماء زلفة"[١]. و "إذا طلع سعد السعود ذاب كل موجود واخضر كل عود وانتثر كل مصرود"[٢]. وذكروا أن أفضل الأنواء هو مؤخر الدلو وهو الفرع المؤخر ووصف نوؤه أنه محمود وهو أول الوسمي ثم بطن الحوت (الرشاء)[٣]. والحوت أو السمكة هو برج وصفت نجومه أنها في جبل[٤].

لقد صنف أهل الحجاز الرياح الأساسية إلى أربع هي: شمال وجنوب وصبا ودبور. وذكروا أن الصبا تهب من المشرق وذلك عند انقلاب الشمس أو هي ما جاء من قبل الكعبة، والدبور من المغرب أو ما جاء من وراء الكعبة، والجنوب من تحت جدي سهيل وذلك ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر، والشمال من تحت جدي الفرقدين وذلك بإزاء الجنوب مما يستقبلهما من المغرب. فالشمال باردة يابسة، والجنوب حارة رطبة، والدبور باردة رطبة، والصبا حارة يابسة[٥]. وإضافة إلى هذه الرياح الأساسية هناك رياح ثانوية مثل النكباء وهي ريح بالليل، وهي الريح المنحرفة عن الجهات الأربع[٦].

وقسم أهل الحجاز السنة إلى أربعة فصول، وأطلق عليها اسم الأزمنة الأربعة؛ فأطلقوا على بداية نزول الأمطار في أواخر الخريف اسم الوسمي وذلك باسم المطر الذي يكون فيه وهو أول المطر يقع على الأرض وهي بعيدة العهد بالرطوبة وقد يبست بالصيف فتسميه بهذا الاسم لأنه يسم الأرض[٧]. والوسمي هو أول الأمطار، ويتلوه الشتاء وله من الأنواء الحوت والسرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة إذا طلعت عشاء أو طلعت نظائرها بكرة، ثم يتلوه الربيع من الذراع إلى السماك، ثم الصيف من السماك إلى النعائم، ثم أوائل الخريف من النعائم إلى الحوت ولا مطر فيه[٨]. وأطلقوا على الصيف اسم القيظ[٩].

---

(1) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٠٧٥.
(2) المرزوقي، المصدر نفسه ، ج٢، ص٣٨١.
(3) المرزوقي، المصدر نفسه ، ج٢، ص٣٦٣.
(4) المرزوقي، المصدر نفسه ، ج٢، ص٣٨٤.
(5) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٦.
(6) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٩٨.
(7) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٥.
(8) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٩٩.
(9) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٩٢.

لقد كانت اللغة العربية والأنساب والأنواء هي المعارف والعلوم الأساسية لتعلم الأطفال، فقد قال معاوية بن أبي سفيان لدغفل بن حنظلة حين ضمه إلى ابنه يزيد: "علّمْه العربية والأنساب والنجوم"(١).

وعرف العرب قبل الإسلام في الحجاز التأريخ، فأرخت فزارة وعبس بيوم جبلة، وبنو عامر بن صعصعة بيوم شعب جبلة، ولتميم والأوس والخزرج وطي(٢). وأرخت قريش بموت كعب بن لؤي وهشام بن المغيرة المخزومي(٣).

ومما اشتهر من المعارف والعلوم عند أهل الحجاز: النسيء، فقد كان العرب في الجاهلية تنسئ لأجل اختلاف الزمان والمواقيت وما بين السنة الشمسية والقمرية وكان المتولون لذلك النسأة من بني الحارث بن كنانة بن مالك ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أو بني مالك بن كنانة، وأولهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية وكان يعرف بالقلمس وبه سمي من بعده من النسأة فقيل القلامس وكانوا ينسئون في كل ثلاث سنين شهراً يسقطونه من السنة ويسمون الشهر الذي يليه باسمه، ويجعلون يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر الثامن والتاسع والعاشر من ذلك الشهر، فيكون ذلك دائراً في سائر شهور السنة موجباً، وكانوا بذلك مقاربين لغيرهم من الأمم في مدة زمان سنتهم الشمسية(٤). لقد كان النسء للشهور الحرم، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وأرادت الصدر اجتمعت إلى الناسئ، فيقوم فيهم، فيقول: "اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الأول، وأنسأت الآخر للعام المقبل"(٥).

وكان أهل الحجاز يسمون الأيام في الجاهلية: الأحد أول، والاثنين أهون، والثلاثاء جبار، والأربعاء دبار، والخميس مؤنس، والجمعة عروبة، والسبت شيار(٦).

وكانوا يسمون القمر في ليلة طلوعه هلالا، وما لم يستدر فهو هلال، ثم تسميه قمرا إذا ما استدار، وإذا ما حجر وأضاء فهو قمير، ثم يستوى لثلاث عشرة منه، وهي ليلة السواء، ثم ليلة البدر

---

(1) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٦٨.

(2) المسعودي، التنبيه، ص٢٠٤؛ خريسات، العصبية، ص٩٥.

(3) المسعودي، المصدر نفسه، ص٢١١؛ خريسات، المصدر نفسه، ص٩٩.

(4) المسعودي، المصدر نفسه، ص١٨٦.

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٠-٣١.

(6) المسعودي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٩١.

لأربع عشرة، (ومن ذلك أطلق على الغلام بدرا إذا كان ممتلئا شبابا قبل أن يحتلم، والعين الحدرة البدرة هي العين الحديدة كعين الفرس)، والليالي البيض ثلاث عشرة ليلة وأربع عشرة وخمس عشرة، والليالي الدرع هي التي تسود صدورها وتبيض سائرها، والمحاق إذا ما طلعت الشمس على القمر، والسواد حين يستتر فيكون خلف الشمس، وحجر القمر إذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ، وأفتق القمر إذا أصابته فرجة من السحاب فخرج، وكل سواد من الليل حندس، والليالي الزهر هي الليالي البيض[١].

وكانت أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة. وكان أهل الحجاز في الجاهلية يسمون الأشهر بأسماء مختلفة، فالمحرم ناتق، وصفر ثقيل، ثم ربيع الأول طليق، وربيع الآخر ناجر، وجمادى الأولى أسلخ، وجمادى الآخرة أميح، ورجب أحلك، وشعبان كسع، ورمضان زاهر، وشوال برك، وذو القعدة حرف، وذو الحجة نعس[٢].

ويرد أيضاً أن لأهل الحجاز معارف وعلوم متعلقة بتعلم الصناعات، فقد كانت القلعة موقعا بالبادية وإليه تنسب السيوف[٣]. وتعلموا البناء، ومن الحصون التي بنيت في الحجاز حصن الأبلق الفرد، الذي كان في بنائه بياض وحمرة[٤].

وعرف أهل الحجاز علم الطب، فعندما ضرب ابن ملجم علي بن أبي طالب جمع الأطباء له، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكوني الطبيب الكوفي ابن عمريا، فأخذ أثير رئة شاة حارة فتتبع عرقا فيها فاستخرجه وأدخله في جراحة علي ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنك ميت[٥]، واشتهر الخطاب أبو ضرار بن الخطاب الشاعر طبيبا[٦].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٩٥-١٩٦.

(2) المسعودي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩-١٩١.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٩.

(4) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٧٥.

(5) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٩٣.

(6) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ/٨٢٩م)، المثالب، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى عقلة، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١١م، ص ١٠٣، وسيشار له فيما بعد: الكلبي، المثالب

ومن علومهم أيضاً علم القيافة، وهي نسبة الطفل إلى أبيه، فقد جاء رجل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقال: إن امرأتي وضعت غلاما وإنه لأسود، فقال النبي: "فهل لك من إبل"؟ قال: نعم، قال: "فما ألوانها"؟ قال: حمر، قال: "فهل فيها من أورق؟" قال: نعم، قال النبي: "فمن أين ذلك؟ لعل عرقا نزع"[١]، ويذكر ابن حزم أن القيافة بالحجاز باقية في بني حليل بن حبيشة منذ زمن معاوية حتى القرن الرابع الهجري[٢].

وكذلك عرف أهل الحجاز الموازين والمكاييل، فقد قدر عمر بن الخطاب الصاع ثمانية أرطال، إلا إن سعيد بن العاص رده إلى خمسة وثلث، والرطل في مكة هو المن في غيرها ورطل يثرب إلى قرح منتا درهم[٣]، ويقول المقدسي: "مكاييل هذا الإقليم (أي الحجاز) الصاع والمد والمكوك، فالمد ربع الصاع، والصاع ثلث المكوك، هذا بالحجاز وهي مختلفة والمستعمل منها يزن خمسة أرطال وثلث"[٤].

ومن المعارف التي عرفها أهل الحجاز الموسيقى، فقد عد أهل الحجاز أهل معازف ولهو ومداعبة[٥]. وذكر أنه في أيام يزيد بن معاوية ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب[٦].

ـ العلماء:

قدمت الكتابات الجغرافية معلومات عن العلماء في الحجاز، ومن هؤلاء العلماء عبد الله بن عباس الذي أطلق عليه اسم حبر الأمة، وكان موضع مجلس ابن عباس في زاوية زمزم التي تلي الصفا والوادي وهو على يسار من دخل زمزم[٧]، وتميم الداري الذي كان يقص في المدينة[٨]. وكان أول من قص بمكة عبيد بن عمير بن قتادة، أو الأسود بن سريع التميمي وكان من الصحابة

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٥٠، وانظر: ابن بابة القاشي، رأس مال النديم، ص ١٠٧، ١٤٠

(2) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٣٦

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩.

(4) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٩٣

(5) ابن الفقيه، البلدان، ص١٥٢.

(6) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧.

(7) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٦٠.

(8) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٥٣.

ويذكر في قصصه الموت[١]. وسعيد بن المسيب الذي كان فقيه أهل المدينة غير مدافع[٢]. واشتهر بعض رجالات مكة والمدينة بمهنة التعليم، فكان منهم أبو سفيان صخر بن حرب، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة المولود بالمدينة، وهما معلمين علما أهل مكة[٣]، إضافة إلى أسماء آخرين ذكرهم ابن بابة القاشي ووصفهم بـــ"أشراف المعلمين وفقهاؤهم"[٤].

ومن العلماء الذين ذكرتهم الكتابات الجغرافية علماء الحديث والفقه، ويقول الجاحظ عن أهل المدينة: "ليس لبلدة من البلدان من الشهرة في الفقه ما لهم ولرجالهم"[٥]، وقال ابن الفقيه: "لأهل المدينة الفقه والصحبة"[٦]، وأول من صنف في الفقه عالم المدينة أنس بن مالك، صاحب الموطأ، وهو من بني تميم بن مرة[٧]. وكان من علماء الحجاز في الفقه والحديث: شميلة بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم الحسني المكي الذي وصف بأنه محدث ضعيف[٨]. والمحدث نقيب العباسيين بمكة أبو العباس وأبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن إسماعيل بن علي بن سليمان بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي المكي البغدادي[٩]. والمحدث حاجب البيت الحرام عبد الرحمن بن ديلم الشيبي الحجبي المكي[١٠]. والمحدث أبو عبد الله أبو علي الحسين بن علي بن الحسين الطبري الشافعي[١١]. والمحدث المكي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن فراس أبو محمد العطار[١٢]. والمحدث أبو

---

(1) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٩٤.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٤.

(3) الكلبي، المثالب ص ١٠٩ ــ ١١٠، ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٥

(4) ابن بابة القاشي، رأس مال النديم، ص ٧٥ ــ ٧٧

(5) الجاحظ، البلدان، ص ٤٨٦

(6) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨١

(7) ابن بابة القاشي، رأس مال النديم، ص ٢٣٩

(8) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٤، ص٢٦٤-٢٦٥.

(9) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٣، ص٩٤.

(10) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٥، ص٢٠.

(11) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٤، ص٤٢٣.

(12) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٣٦.

الحسن محمد بن نافع بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي المكي مؤلف كتاب فضائل الكعبــة[١]. والمحدث أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري الأندلسي[٢]. والمحدث أبو الحسن علي بن يوسف الجويني شيخ الحجاز[٣]، والإمام أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بــن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين[٤]. وساكن مكة ونزيلها فقيه الحــرم وزاهــده مفتي أهل مكة المدرس أبو محمد هياج بن محمد بن عبيد بن الحسين الحطيني البسطامي[٥]. والإمام الحافظ شيخ الحرم سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني أبو القاسم سكن فــي آخــر عمره مكة وجاور بها[٦]. وأبو نصر البندنيجي[٧]. والفقيه العالم مفتي الحرمين ومقرئهما أبو علــي الحسن بن أبي محمد عبد الله بن عمر بن علي بن خلف القيرواني المكي ابن العوجــاء[٨]. والفقيــه المحدث الزاهد الورع أبو جعفر بن علي الفنكي القرطبي[٩]. والمحدث الفقيه أبو بكر محمد بن عتيق بن نجم بن أحمد السوارقي البكري[١٠].

وإضافة لما تقدم فيرد ذكر بعض علماء الجغرافية ومنهم العالم الجغرافي الأديب نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد الله الريحاني المكي التميمي الحلي[١١].

---

(1) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٢، ص٤١٦ -٤١٧.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٤.

(3) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٥، ص٣١٩.

(4) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٣.

(5) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص١٣٨؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٣؛ الفاســي، المــصدر نفسه، ج٦، ص١٨٧.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٢.

(7) ياقوت، المصدر نفسه ، ج٥، ص٤٣٩.

(8) الفاسي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٥.

(9) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٦٨، ٨١، ١٢٣.

(10) ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٧٦.

(11) يــاقوت، المــصدر نفــسه ، ج٢، ص١١٩، ٢٥٧، ٣٠٧، ٥٠٩، ٥١١، ج٣، ص٢٨٥، ٢٩١، ٤٦٣، ج٤، ص١٠٠، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٦٦، ج٥، ص١١٦، ٢١٠.

الفصل الخامس

المراكز الحضرية (العمرانية) في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الفصل الخامس

المراكز الحضرية (العمرانية) في الحجاز من خلال الكتابات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري

يتناول هذا الفصل دراسة المراكز العمرانية والحضرية في الحجاز من خلال المؤلفات الجغرافية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، فيعرض أهم المدن والقرى والحواضر والمواضع الحجازية التي كانت عامرة ومشهورة تلك الفترة، وبيان ما وصفت به وامتازت حسبما هو في كتب الجغرافيين والرحالة.

أولاً: المدن في الحجاز:

إن أهم المدن في الجزيرة العربية هي: مكة والمدينة واليمامة واليمن والجار وينبع والطائف[1]. وأهم مدينتان فيها: مكة والمدينة، وهما تقعان في الحجاز.

١ - مدينة مكة:

وتعد مكة أهم مدن الحجاز، وقد وصفت بأنها قاعدة الحجاز[2]. وأنها قطب ومقصد أهل جزيرة العرب[3]. وتقع مكة في شعب (واد)[4] وهي محاطة بالجبال، وتحيط بالوادي إحاطة كاملة أغنت عن بناء سور لحمايتها، لدرجة أن القادم إلى مكة لا يراها إلا من بعيد وقد سدت الثغرات التي بين الجبال بسور قوي وضعت عليه عدد من البوابات والمداخل[5]. والجبال تكاد تحجب مكة إلا من ثلاثة منافذ يصلها أحدها باليمن ويصلها الثاني بطريق قريب من البحر الأحمر عند مرفأ جدة

---

[1] البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٤٤.

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص٨٤؛ مالكي، سليمان عبد الغني، مرافق الحج والخدمات الدينية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، ص٢٣.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٥؛ التلمساني، وصف مكة والمدينة، ص ٣٣٣؛ المقدسي، المصدر نفسه، ص٧١؛ خسرو، سفرنامة، ص١٢١-١٢٣؛ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٥.

[5] ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٥؛ خسرو، سفرنامة، ص١٢١؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٥.

والثالث بالطريق المؤدية إلى الشام[١]. ومن الجبال التي تحيط بمكة جبلا: أبو قبيس وقعيقعان[٢]، وجبل أجياد الذي يلي الصفا[٣].

وقدرت مساحة مكة بأنها تبلغ رمية سهمين في مثلها، وطول مكة من الجنوب إلى الشمال (من المعلاة إلى المسفلة) ميلان فقط، وعرضها أقل من الميلين بثلث ميل[٤]. ومن أجياد إلى قعيقعان ميل [٥].

وكان الماء بمكة عزيزا (أي قليلا) وكان الناس يشربون من آبار خارجة من الحرم حفرت في فترات زمنية مختلفة[٦]. فكان الماء يسقى من بئر آدم المفجر في شعب حواء، وهناك بئر رم عند طرف الموقف بعرنة قريبا من مكة، وبئر خم وكانت لبني مخزوم، وبئر العجول، وبئر عند الردم الأعلى ردم عمر بن الخطاب في أصل الردم في أعلى الوادي خلف دار آل جحش بن رياب الأسدي، وبئر بذر، وبئر سجلة، وبئر الطوي، وبئر الجفر، وبئر أم جعلان، وبئر العلوق، وبئر شفية، وبئر السنبلة، وبئر أم حردان، وبئر زمزم، وبئر الغمر، وبئر السيرة، وبئر الروا، وبئر ميمون، وبئر أم أحراد، وبئر السقيا، وبئر الثريا، وبئر النقع، وبئر الأسود، وركايا قدامة، وبئر حويطب، وبئر خالصة، وبئر زهير، وبئر الياقوتة، وبئر عمرو، وبئر الشركاء، وبئر عكرمة، وبئر الصلا، وبئر الطلوب، وبئر أبي موسى، وبئر شوذب، وبئر البرود، وبئر بكار، وبئر وردان، وبئر الصلاصل[٧].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٨٧.

(2) الاصطخري، المسالك، ص٢٢؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٣٢، ج٢، ص، ٢٥٢-٢٥٣، ٢٦٦-٢٦٧؛ التلمساني، وصف مكة والمدينة، ص ٣٣٣؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٨٠، ج٤، ص٣٧٩، ج٥، ص ١٨٧؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص٦١-٦٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٧٨.

(3) الإسكندري، الأمكنة والجبال، ج١، ص٧٠؛ الحازمي، الأماكن، ج١، ص٤، ٤٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٠٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص٦٢؛.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٥؛ خسرو، سفرنامة، ص١٢١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٩.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٩.

(6) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢١٤-٢٢٧.

(7) الأزرقي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٤-٢٢٧.

وحدثت تطورات في مجال الري في مكة بعد الإسلام، فقد أجرى معاوية بن أبي سفيان في الحرم عيونا، واتخذ لها أخيافا فكانت حوائط، وفيها النخل والزرع(١)، وأيضاً ما قامت به زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هارون الرشيد من بناء أحواض المياه والبرك لسقاية الحجاج على امتداد طريق الركب العراقي والذي عرف باسم درب زبيدة، وقيامها بإجراء عين ماء في مكة سميت بعين زبيدة(٢).

وعرف عن أهل مكة عملهم في التجارة، التي ازدهرت فيها وتطورت بشكل كبير، وهـي شهرة تعود إلى ما قبل الإسلام، وقد عرف عن قريش بأنهم قوم لا كسب لهم إلا مـن التجـارة(٣)، فعقدوا المعاهدات التجارية مع الدول والقبائل المجاورة التي أطلق عليها اسـم الإيـلاف، وعملـت قريش على تقوية الإيلاف عن طريق التزاوج من القبائل الأخرى، وأصبح المكيون بعـد الإيـلاف يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى أصبح فقيرهم كغنيهم(٤).

ويشير الإدريسي إلى مكانة مكة التجارية بالقول "كل ما يتفرق في البلاد من السلع ففي مكة اجتماعه" ومع ذلك فقد كانت أسواق مكة قليلة(٥). وتقع الأسواق في مكة من الشرق والجنوب ويقـع السعي بين الصفا والمروة في السوق الشرقي(٦). فما بين الصفا والمروة مسيل هـو سـوق حفيلـة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر المبيعات الطعامية، والساعون لا يكادون يخلصون مـن كثرة الزحام، وحوانيت الباعة يمينا وشمالا، وما لمكة سوق منتظمة سواها إلا البزازين والعطارين، فهم عند باب بني شيبة تحت هذه السوق وبمقربة منها وتكاد تتصل بها(٧). وعند المروة أكثـر مـن عشرين حانوتا للحجامين (الحلاقين). وإلى الشرق من المسعى سوق جميلة البنيان كلها عطارون(٨). وتتوزع بأنحاء السوق حوانيت الخبازين وباعة الطعام والخياطين وبعضها يتصل بـبعض أبـواب

---

(1) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٢٧.

(2) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص ٨٢٤، الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٣٢٧؛ المسعودي، مـروج الـذهب، ج٤، ص ٣١٧، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٧٦

(3) الجاحظ، البلدان، ص ٤٧١

(4) Naimat, Mecca Trade, p. 85- 87.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٩.

(6) المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٣.

(7) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٨٥.

(8) خسرو، سفرنامة، ص٧٤، ١٢٣، ١٢٧.

الحرم لذا اشتهر باب العباس بوصفه باب الخياطين لأنه يـؤدي إلـيهم وهنـاك أبـواب الزيـاتين والبزازين والدقاقين والتمارين[1]. وفي أيام الموسم يعود المسجد الحرام سوقا عظيمة يباع فيه مـن الدقيق إلى العقيق، ومن البر إلى الدر، إلى غير ذلك من السلع. فكان مبيع الدقيق بدار الندوة إلـى جهة باب بني شيبة، ومعظم السوق في البلاط الآخذ من الغرب إلى الشمال، وفي البلاط الآخذ مـن الشمال إلى الشرق[2]. ومن أسواق مكة أيضا سوق رأس الردم ويؤدي إلى باب بني شيبة، وسـوق الليل[3]. وفي منى حوانيت حسنة البناء بالحجر وخشب الساج[4]. وتكون منى فـي أيـام التـشريق الثلاثة سوقا من أعظم الأسواق، يباع فيها من الجوهر النفيس إلى أدنى الخرز، إلى غير ذلك مـن الأمتعة وسائر سلع الدنيا، لأنها مجتمع أهل الآفاق[5]. وهناك زقاق العطارين وسوق الليـل وهـو سوق الحدادين من أسواق مكة[6]. إضافة إلى مشاركة أهل مكة في الأسواق التي كانت تقـام فـي القرى المجاورة لها خلال موسم الحج مثل عكاظ ومجنة وذي المجاز[7].

وكان يرد إلى مكة المسك والكافور والعنبر والعود[8] والعقاقير الهندية[9] والصندل وأصناف الطيب والجواهر[10].

واتسمت مكة بخلوها من الزراعة حيث تستورد غذاءها من داخل الحجـاز وخارجـه[11]. فكان أهل مكة يشترون الشعير، والذرة والقطاني، والزبدة. كما تزود بعض قرى جبال السراة مكـة بالصابون.

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٣؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٦٠.

(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٦٠.

(3) المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٣.

(4) المقدسي، المصدر نفسه ، ص٧٦.

(5) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٥٧.

(6) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٥٦.

(7) ابن بابة القاشي، رأس مال النديم، ص ٤٣

(8) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٩٨؛ ابن جبير، المصدر نفسه، ص٩٧.

(9) ابن جبير، المصدر نفسه، ص٩٧.

(10) ابن رسته، المصدر نفسه، ص١٩٨.

(11) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

أما عن سكان مكة، فكانت خزاعة في البداية هم سكان مكة، حيث غير عمرو بن لحي الخزاعي دين إبراهيم وبدله، وبعث العرب على عبادة التماثيل، وأكثر من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها، وامحت الحنيفية منهم إلا لمعا[١]. ثم استطاع قصي بن كلاب القرشي انتزاع حكم مكة من يد خزاعة[٢]. وقد قسمت مكة أرباعا، فلكل بطن من بطون قريش خطة وشعب ومن الأمثلة عليها شعب أبي طالب وهو لبني هاشم والمطلب[٣].

وازدهرت مكة قبل الإسلام، حيث كان أهل مكة آمنين يغزون الناس ولا يغزون ويسبون ولا يسبون[٤]. وبعد الإسلام ورد إلى مكة وهاجر إليها الكثير للمجاورة، فانقسم سكان مكة إلى: سكان مكة الأصليين والمقيمين بها من القادمين للمجاورة[٥].

أما أهم المعالم الدينية في مكة فعلى رأسها المسجد الحرام الذي يقع وسط الوادي. ووصف المسجد الحرام وأبوابه ومنها باب حكيم بن حزام أو باب بني الزبير بن العوام أو باب الحزامية[٦]. وقد أعيد بناء الكعبة إذ إن عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وجدد بناءها وكساها القباطي[٧]. وبعث الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار، فضرب على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى الميزاب وعلى الأساطين التي في جوفها، وعلى الأركان. وهو أول من ذهب البيت في الإسلام[٨].

ومن معالمها الدينية أيضا: دار الخيزران بإزاء الصفا التي وصفت بأنه كان منها منشأ الاسلام، وهي بإزاء الصفا ويلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل إليها كان مسكن بلال، رضي الله

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٩ -٣٠؛ الكلبي، الأصنام، ص٨.

(2) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٠٣-١١٥.

(3) الأزرقي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٦ -١٨٧؛ خريسات، العصبية، ص٦٤

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٨٣.

(5) خسرو، سفرنامة، ص١٢٣.

(6) انظر وصف المسجد الحرام عند: اليعقوبي، كتاب البلدان ص ١٥٢ ــ ١٥٥، الأزرقي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٠١؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة ص ٤٦؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص ٧٧ ــ ٧٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض ص ٣٥ ــ ٣٦؛ البكري، المسالك ج١، ص ٣٩١ ــ ٣٩٢، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٧٥ــــ ٧٨، خسرو، سفرنامة، ص٣٧

(7) الأزرقي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٩-٢١٠.

(8) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص٩٨.

عنه، وفيها مقعد النبي، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، والصخرة التي كان إليها مستنده، وعن يمينه موضع أبي بكر الصديق، وعن يمين أبي بكر موضع علي بن أبي طالب، والصخرة التي كان إليها مستنده هي داخلة في الجدار كشبه المحراب. وفي هذه الدار كان إسلام عمر بن الخطاب(١).

وكان للمواسم الدينية في مكة أهميتها التجارية، فهناك موسمان ينفق فيهما كل ما جلب إليها، أحدهما في أول رجب والثاني موسم الحجيج(٢). ففي أول رجب تتجه العمرات (جمع عمـرة) إلـى مكة لأداء العمرة وتبلغ أكثر من ألف محمل وجمل(٣).

لقد تكونت طبقة عباسية ثرية في مكة في العصر العباسي، فكانت عمائر العباسيين في مكة مباني جميلة كثيرة، لكن ضعف السلطة العباسية في مكة في الفترات التالية أدى إلى ضـعف هـذه الطبقة، فقد خربت عمائرهم نتيجة انقطاع حجيج العراق في بعض المواسم وقلة العناية بترميمها وتم شراء بعضها من قبل بعض الملاكين والتجار بمكة فأصبحت ملكا خاصا(٤). وأيضاً طبقة ضـعفاء أهل مكة التي وصفت بأن الغالب عليهم الجوع وسوء الحال(٥). إضافة إلى طبقة العبيد فـي مكـة، الذين عملوا بالخدمة وكانوا يؤخذون كأسرى(٦).

أما مباني أهل مكة فكانت من الحجارة مضافا لها الطين، وكانوا يحصلون على الحجارة من الجبال المحيطة بمكة(٧)، ويصف المقدسي مباني مكة بأنها مبنية من: "حجارة سود ملـس وبـيض أيضاً وعلوها الآجر وهي كثيرة الآجر من خشب الزاج، وهي طبقات مبيضة نظيفـة، حـارة فـي الصيف إلا أن ليلها طيب قد رفع الله عنهم مؤونة الدفء وأراحهم من كلف الاصطلاء"(٨).

وحدث التطور في البناء بعد الإسلام، فقد بنى معاوية بن أبي سفيان بمكـة دورا منهـا دار البيضاء بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء، والدار الرقطاء بنيت بالحجر الأحمر والجص

---

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٩٢، ١٤٥.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

(3) خسرو، سفرنامة، ص١٣٥.

(4) خسرو، المصدر نفسه ، ص١٢٣.

(5) الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤١.

(6) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٦٩.

(7) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٥٤.

(8) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٧٥

الأبيض فكانت رقطاء، ودار المراجل وفيها قدور من صفر (نحاس) لمعاوية يطبخ فيها طعام الحاج وطعام شهر رمضان[١].

كما بني في مكة القصور، فقد كان لأمير مكة قصر غربي مكة في المربعة وهو قصر مبني من الحجارة[٢] وله حديقة تتكون أشجارها من بعض النخيل وشجر المقل وأشجار أخرى منقولة إليها[٣]، وكان لبعض أمراء مكة قصر في بطن مر (الذي وصف بأنه واد طيب) ثم خرب القصر[٤]. وقد انتقد عبد الله بن عباس ابن صفوان، لاتخاذه وصاحبه الدور والقصور بأجياد وقعيقعان في مكة[٥].

ووصفت مكة بأنها مشتى، فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: أغبط الناس عيشا عبدي أو مولاي سعد، وكان يلي أمواله بالحجاز ويتربع جدة ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة[٦].

أما عن الحياة الاجتماعية في مكة، فكان من تقاليد الزواج التي استمرت إلى فترة متأخرة من القرن الرابع الهجري أن الواحد من أهل مكة إذا أراد الزواج فإنه يخطب في العاشر من ذي الحجة وفي العاشر من محرم يدخل كل واحد منهم على عرسه. وإذا تزوج رجل من أهل مكة وقطع المهر وأراد الدخول على المرأة يخضب الرجال أيديهم وأرجلهم تزينا. ويحضر كل أصدقائه من الأهل والأقارب وبيده قرطاس منشور مكتوب عليه اسمه مع وزن المبلغ وعدده يقدمه قدام العروس كل على قدر حاله وسعة ماله وكذلك يفعل النساء. ويخرج العروس إلى الحرم ويطوف سبعا ويصلي في مقام إبراهيم ركعتين ويقبل الحجر الأسود، ويخرج بالشمع إلى بيت العروس فتجلى عليه ويدخل عليها ويبقى عندها سبعة أيام. وفي اليوم السابع يخرج يضم الطرح الذي طرح له ويدبره رأس مال في يده وعند ذلك يفتح له دكانا يعيش به. ويكون ذلك الطرح دينا عليه وكل من

---

(1) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٣٧.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

(3) الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤١-١٤٢.

(4) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص١٤.

(5) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٦٤.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٢.

تزوج من القوم الذين حضروا العرس يرجع يرد إليهم الذي أخذ إلى كل واحد من القوم مثل الــذي جاء به إليه أو أزيد منه[١].

وكان من العادات الاجتماعية في مكة أن الرجل يشارك المــرأة فــي الاكتحــال وخاصــة بالأثمد[٢].

وقد وصف أهل مكة بالطمع، ويذكر المقدسي أنه قيل: "لا أطمع من أهل مكة"[٣].

أما عن الطعام والشراب في مكة، فقد وصف أهل مكة بأنهم ذوو قناعة في المأكل حتى إن أحدهم يبقى على قرص الخبز وقليل سمن ثلاثة أيام بلياليها. وكان مأكول أهل مكة اللحم والــسمن والخبز[٤]. ومن أطعمة أهل مكة السويق[٥]. والسكر[٦]. ومن أشهر مأكولاتهم أيضا الهريسة[٧]. ومن أطعمة أهل مكة الجبجبة، وهي الكرش يجعل فيها الخليع[٨] أو تذاب الإهالة فتحقن فيها، وقد سميت الجبال بمكة الجباجب تشبيها بها[٩]. ومن أطعمة قريش السخينة وهي طعــام مــن دقيــق وتــسمى الخريزة أيضا[١٠].

ولأهل مكة ملابس وزي يتميزون بها عن غيرهم؛ فقد لبس أشراف مكة العمــائم البيــضاء وارتدى الرجال القميص أو الثوب[١١]. وعرفت في مكة الأبراد الجوزية وهي وزرات بــيض ذات حواش يأتزرون بها تنسب إلى الجوز في الحجاز[١٢]. وكان من ملــبس الرجــال فيهــا النــصافي

---

(1) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٦-٧.

(2) خسرو، سفرنامة، ص١٣٥؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٧١.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٤.

(4) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٥، ٦.

(5) المقدسي، المصدر نفسه، ص٤٤، ٧٢.

(6) المقدسي، المصدر نفسه ، ص٧٢.

(7) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص١٢.

(8) الخليع: هو لحم يطبخ بالتوابل، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٨؛ ابن منظور، لــسان العــرب، ج٨، ص٧٦؛ الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٢٦٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص٥١٩١.

(9) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٩٨.

(10) ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٢٤٢.

(11) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

(12) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٣.

النيسابوري الرفيع ويتحزم بنصفه الثاني ويرمى بما فضل منها[١]. ولبست النساء الغمر وهو منديل أو غيره تغطي به النساء رؤوسهن[٢]. كما لبسن القنوع والبراقع[٣].

وهناك بعض السلوكات الاجتماعية التي طرأت بعد الإسلام في إطار التغير الاجتماعي، فقد أمر خالد القسري والي مكة بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف، للحيلولة دون الاختلاط في الطواف الذي كان مسموحا به في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعصر الراشدين، بعد أن قال عمر بن أبي ربيعة[٤]:

يقصد الناس للطواف احتسابا   وذنوبي مجموعة في الطواف

وهناك اللقاءات بين الرجال والنساء في مكة، ومن ذلك لقاء الشاعر نصيب والنسوة في مكة في المسجد الحرام في الليل[٥].

وكان لأهل مكة ألعاب في الأعياد، فكانوا يلعبون بالكُرّك (مُهْر يُلعب به ويسمى أيضا الكُرَّج) في كل عيد، وكان لكل حارة من حارات مكة كُرّك يعرف بهم يجمعون له ويلعبون في حارة ويذهب الناس فينظرون إليه في تلك المواضع[٦].

وفيما يتعلق بالإدارة في مكة، فقد كانت مكة عاصمة ولاية الحجاز، لكن لم يلبث أن قامت فيها إمارات وراثية في ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب. ومن أشهر هؤلاء الأمراء ابن أبي هاشم، الذي أقام علاقات مع الدول المجاورة فقد أرسل ابن عمه شهم بن أحمد بن عيسى الحسني أبو شكر المكي رسولا إلى الإسكندرية[٧].

---

(1) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٦.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٣.

(3) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٦.

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٧٤.

(5) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص١١٦ -١١٧.

(6) الفاكهي، المنتقى في أخبار أم القرى، ص١٠.

(7) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٤، ص٢٦٥.

وعن منصب القضاء في مكة، فقد كانت دار القاضي في مكة تقع قرب الحـــرم[1]. وكـــان قضاة مكة هم: القاضي العباسي عمر بن الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (ت بعد ٣٣٦هـ/٩٧٣م)[2]. ويحيى بـــن عبد الرحمن بن هارون بن عبد الله بن محمد بن كثير بن معن بن عبد الرحمن بن عوف القرشـــي الزهري (ت بعد ٣٢٠هـ/٩٣٢م)[3]. ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن محمد بن زياد بن إســـماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي أبو عمرو (ت بعـــد ٣٩٣هـــــ/١٠٠٢م)[4]. وعلي بن المفرج بن عبد الرحمن الصقلي[5]. وعبد الملك بن أبي مسلم بـــن نـــصر النهاونـــدي[6]. وإبراهيم بن علي بن الحسين الشيباني أبو إسحاق الطبري المكي (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)[7].

وأشهر من ولي سوق مكة فكان: الحسين بن علي بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن حمزة بن عتبة بن إبراهيم بن أبي خداش بن عتبة بن أبي لهب الهاشمي (ت بعد ٣٦٣هـ/٩٧٣م)[8].

٢ - المدينة المنورة:

والمدينة (يثرب) هي المدينة الثانية ــ بعد مكة ــ من حيث الأهمية في الحجاز، وهي تقـــع في حوض جبلي[9]، في حرة سبخة من الأرض[10]. ويحيط بها جبلان هما أحد وعيـــر[11]. ومـــن

---

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٣٥.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣١٢-٣١٣؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٥، ص٣٢٧.

(3) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٦، ص٢٢٤.

(4) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٢، ص٢١٧.

(5) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٥، ص٣١٦.

(6) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٥، ص١٣٣.

(7) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٣، ص١٤٧.

(8) الفاسي، المصدر نفسه ، ج٣، ص٤٢٦.

(9) Encyclopedia Britannica, vol.15, p. 206.

(10) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٨٢؛ مالكي، مرافق الحج، ص٤١.

(11) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١.

جبالها أيضا جبل سلع [1] وجبل ثور. ووصفت بقعة المدينة بأنها تربة جبلية[2]. وتحيط بها بساتين ونخيل وقرى[3].

كما تقع المدينة بين حرتين: حرة واقم وحرة الوبرة، وقد ارتبطت حرة واقم بوقعة الحرة في العصر الأموي[4].

أما عن مصادر المياه في المدينة، فأهلها يتزودون بالماء من العيون ومن أشهرها العين الزرقاء في المدينة[5]. كما إن للمدينة أربعة أودية يأتي ماؤها في وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع حرة بني سليم على مقدار عشرة فراسخ من المدينة وهي وادي بطحان، والعقيق الكبير، والعقيق الصغير، ووادي قناة، فمياه هذه الأودية تأتي في وقت السيول، ثم تجتمع كلها بموضع يقال له الغابة، وتخرج إلى واد يقال له وادي إضم، ثم يخرج العقيق الكبير، والعقيق الصغير[6]. ويستقبل وادي قناة باتجاه المدينة بعض السيول عن حرة واقم قبل اندفاعه وأودية المدينة الأخرى غربا وانتهائها في زغابة[7]. ويمر وادي بطحان بالمدينة وسط بيوتها، ثم يتجه شمالا بعد التقائه بوادي مذينيب. ووادي قناة شمال المدينة يأتي ماؤه من شرقيها ثم تجتمع مياهه مع الأودية الأخرى بموضع الغابة[8].

وقد ساعد النشاط البركاني في المدينة على حجز المياه الجوفية مما جعل في الاستطاعة الوصول إليها في أي بقعة منها عند حفر الآبار العميقة[9]؛ فبالمدينة آبار يسقى منها النخل والمزارع تجرها النواضح وهي الإبل التي تعمل في الزرانيق (بكرة لسحب المياه من البئر)[10]. وهناك بئر

---

(1) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٣٥.

(2) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٥.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٠.

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٩.

(5) السمهودي، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٨٧.

(6) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١.

(7) Al-Rashid, Darb Zubayda, p. 3, 4.

(8) ابن شبة، تاريخ المدينة، ص٤١، ٤٥، ٥٤

(9) Encyclopedia Britannica, vol.15, p. 206.

(10) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص١٥١.

رومة وسط العقيق ومن أسفله شمالا وكانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها فاشتراها عثمان فجعلها للمسلمين[١]، وهي حفيرة بني مازن، وهناك بئر عروة أيضا، فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هاتين البئرين وغيرهما من الآبار التي ليست لها شهرة هاتين البئرين[٢].

وفيما يتعلق بسكان المدينة، فقد سكنها قبل الإسلام من القبائل اليهودية: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو ضخم وبنو زعوراء، وبنو ملسكة، وبنو القمعة، وبنو زيد اللات وبنو قينقاع، وبنو حجر، وبنو ثعلبة، وأهل زهرة، وأهل زبالة، وأهل يثرب، وبنو القصيص، وبنو ناغصة، وبنو عكوة، وبنو مزاية وبنو هدل وبنو عمرو وبنو مريد وبنو معاوية وبنو محمم[٣].

وعن تحديد مواضع نزول اليهود في المدينة فقد نزل بنو قريظة ومعهم بنو النضير في العالية على واديي مذينيب ومهزور. ونزل يهود بني القصيص وبني ناغصة بقباء. وكان بنو هذل وبنو عمرو مع بني قريظة. وسكن بنو زعورا عند مشربة أم إبراهيم، ولهم الأطم الذي عندها. وتمتد منازل بني قينقاع عند منتهى جسربطحان مما يلي العالية[٤].

ثم قدم إلى المدينة الأوس والخزرج الذين سالموا اليهود وعقدوا بينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض، ويمتنعون به ممن سواهم. فكان زعيم اليهود في المدينة يعتدي على نساء الأوس والخزرج، فقتله مالك بن العجلان السالمي الخزرجي وفر إلى الشام فنزل على أبي جبيلة ملك غسان (ويبدو أنه أحد أمراء الغساسنة الذين يمتون بصلة قرابة للخزرج) فوعد أبو جبيلة الغساني بنصرة الخزرجي فسار إلى المدينة وضرب اليهود وكسر شوكتهم فعزت بذلك الأوس والخزرج في المدينة[٥].

---

(1) ابن شبة، تاريخ المدينة، ص٤٩.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١.

(3) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣، ٥٠، ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢١، ٥١٣؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص٦٢؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج١، ص١٦٣-١٦٥

(4) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج١، ص١٦١ ــ ١٦٤.

(5) السمهودي، المصدر نفسه ، ج١، ص١٧٨-١٨١.

وأقام الأوس والخزرج بعد غلبتهم على اليهود متفقي الكلمة حينا من الزمن ثم ساءت العلاقة بينهم بسبب التنافس على المناطق الزراعية والمناطق الخصبة في المدينة وبسبب الخلافات القبلية[١]. ونشبت بينهم الحروب وكان يوم بعاث آخر الحروب بين الأوس والخزرج[٢].

وبعد فتح مكة اتجهت القبائل العربية للتعامل مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث أصبحت سلطة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي السائدة في الجزيرة العربية[٣]. فأصبحت المدينة هي عاصمة الدولة الإسلامية، وبقيت المدينة عاصمة الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل أبو بكر وعمر وعثمان، لكن التطورات في عهد عثمان ومقتله، أدى إلى انتقال عاصمة الدولة الإسلامية إلى الكوفة أولا، ثم إلى دمشق، ثم إلى بغداد.

وكانت المدينة مقسمة إلى خطط، كل خطة لبطن من بطون الأوس والخزرج[٤]. وبعد الإسلام أقام بعض الأعراب[٥] وقبائل من العرب إلى جوار أهل المدينة على وادي العقيق[٦].

أما عن المباني في المدينة، فقد ابتنى اهل المدينة مئة وسبعة وعشرين أطما[٧]. وفي موسم الحج كان بعض الحجيج يقيمون مضاربهم في الساحات القريبة من المسجد النبوي[٨]. وحدث التطور في البناء بعد الإسلام بالمدينة، فقد ابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق، فرفع سمكها، ووسع فضاءها، وجعل أعلاها شرفات، وابتنى المقداد داره بالمدينة بالجرف على أميال من المدينة، وجعل أعلاها شرفات، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن[٩].

---

(1) ابن النجار، الدرة، ص٣٢٧.

(2) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج١، ص٢١٧-٢١٨.

(3) Naimat, Mecca Trade, p. 87.

(4) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨١، السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج١، ص١٣٤-١٥٢؛ خريسات، العصبية، ص٦٤.

(5) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤١.

(6) الحربي، المناسك، ص٤١١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٣.

(7) ابن النجار، الدرة، ص٣٢٧.

(8) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨١، ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٦٨.

(9) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٣٣.

ويذكر ابن حوقل في أثناء زيارته للمدينة قبل عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م أن المدينة محاطة بسور قال: "وعليها سور والمسجد في نحو وسطها"[١].

كما بنيت القصور في المدينة[٢]؛ فقد ابتنى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية قصرا في العرصة (عرصة الماء بعقيق المدينة) في سرتها، واحتفر بها بئرا وغرس النخل والبساتين[٣]، وكان نخلها أبكر شيء بالمدينة. واتخذ عروة بن الزبير قصرا ومزارع في العقيق. واتخذ عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان قصرا في قبل الجماء، واتخذ عنبسة بن سعيد بن العاص قصرا بالعقيق الصغير بنى ضفائره بالآجر المطبق، وبنيت القصور في العقيق الذي كان أهل المدينة يخرجون إليه متنزهين، كما بنى أهل المدينة القصور في الجماوات[٤].

وتحفل المدينة المنورة بالمعالم الدينية، ففيها مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم "الذي يقع في نحو وسط المدينة[٥]. وقد حفلت كتب الجغرافيين بذكر أوصافه وتعداد أساطينه ووصف منبره ومنائره وشرفاته، ويشير ابن رستة إلى إصلاحات أجراها عليه الخليفة المعتضد بالله سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م[٦].

وتعتمد المدينة في اقتصادها على الزراعة وتربية الماشية[٧]. فقد ساعدت الحرات البركانية على جعل تربة المدينة جيدة الخصوبة صالحة للزراعة. مما مكن أهل المدينة من الزراعة[٨]. وكان أكثر أموالهم النخل ومنه معاشهم وأقواتهم[٩]. أما عن أهم المزروعات في المدينة فقد اشتهرت

---

(1) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٣٧، وانظر أيضا: الحميري، الروض المعطار ص ٤٠١

(2) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص١٠٤٠-١٠٥٥.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٠١؛ السمهودي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٥٥.

(4) السمهودي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٤٤ـ١٠٥٥.

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٥، .ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٨٢.

(6) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص ٧٣، وانظر الحربي، مناسك الحج ص ٣٦٨

(7) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٢٨.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٠. Encyclopedia Britannica, vol.15, p. 206, 207.

(9) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص١٥١.

بزراعة التمر، فصيحاني المدينة من أجود أنواع التمور[١]. كما اشتهر البان المديني الذي يدخل في صناعة العطور[٢].

وفي زمن الصحابة كان هناك ثروات كبيرة لكثير من الصحابة من سكان المدينة، فـالزبير بن العوام ترك ألف عبد وأمة. وبلغ ربع ثمن مال عبد الرحمن بن عوف الزهري بعد وفاته أربعة وثمانين ألفا[٣]. وكان الملاكون في المدينة يقضون الصيف في ضياعهم.

واتسمت المدينة بقلة عدد سكانها[٤]. ووصف أهل المدينة في القرن الرابع الهجـري بـأنهم فقراء قليلو المال لا صنع لهم ولا ضياع عندهم وحولها نخل كثير وثمرها حسن وبها يتقوتون فـي معايشهم وليس لهم زرع ولا ضرع[٥]. وقيل لا أفقر من أهل يثرب[٦].

ويتصل بالمدينة بعض القرى، ومنها قباء التي وصفت تارة بأنها مدينة وتارة أخرى قريـة قبلي المدينة وهي متصلة بالمدينة، تقع على ميلين منها على يسار القاصد إلى مكـة وهـي قريـة معمورة[٧]. وقد ازدهر البناء فيها بعد الهجرة[٨].

ومن القرى الواقعة بالقرب المدينة أيضاً قريـة الـصورين[٩]. وكـان بعـض الفلاحـين الميسورين يحيطون بيوتهم باشجار النخيل وسعفها حماية لبيوتهم من الرياح والغبار[١٠].

وازدهرت التجارة في المدينة، فتعددت الأسواق فيها، وعند قدوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة عمل على تنظيم أسواق المدينة لتحرير اقتصاد المدينة من سـيطرة اليهـود،

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٣.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص٢١٥.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٣٣.

(4) المقدسي، المصدر نفسه، ص٨٠.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٣.

(6) المقدسي، المصدر نفسه، ص٣٤.

(7) الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤٣.

(8) ابـن الفقيـه، كتـاب البلـدان ص ٨٣، الفيـروز آبـادي، المغـانم المطابـة، ص٣٢٣-٣٢٤. Encyclopedia of Islam, vol.3, 1action, p. 83.

(9) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٤.

(10) Encyclopedia of Islam, vol. 3, 1action, p. 83, 88.

ووصفت الأسواق عند الجامع أن لها نورا وبهاء[١]. فبالقرب من باب الرحمة بالمسجد النبوي الشريف يقع سوق الصاغة وبالقرب منه سوق العطارين[٢]، وفيها سوق الخزامين وهو منسوب إلى عمله، وهو اتخاذ الحبال من شجر الخزم[٣]. وسوق بالجرف يروح فيها الناس ثمانين جملا جوانا غير الألوان الأخرى وعرفت فيما بعد باسم سوق زبالة وكانت سوقا موسمية أول أمرها ثم تحولت إلى سوق ثابتة، و تقع السوق الثابتة في قلب المدينة على أطراف وادي بطحان واسمها سوق حباشة ثم صار اسمها سوق بني قينقاع أو سوق الجسر وقد عظم أمر هذه السوق ثم انتهت بعد أن أجلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بني قينقاع عن المدينة، وسوق الصفاصف وهي موضع بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وبين العصبة (والعصبة موضع بقباء)[٤]. وهناك سوق في غرب المدينة في قباء وبطحان عند أطم مزاحم الذي كان لعبد الله بن أبي بن سلول، وهي صغيرة تسمى زقاق ابن حبين[٥]. وكانت محاطة بسور ترابي[٦]. وإضافة إلى ذلك فقد كان الفلاحون من أهالي القرى القريبة من المدينة يجلبون منتجاتهم لبيعها في المدينة.

ويرد ذكر بعض العادات الاجتماعية التي كانت عند أهل المدينة، منها أنهم كانوا يحملون مقامع الحديد (دبابيس حديدية) عند خروجهم من البيوت[٧]. وكان من وسائل التسلية لديهم تلك الحكايات التي تظهر فيها شخصية أشعب، وهو من أهل المدينة وأدرك الصحابة وكان مشغوفاً بالأكل والطمع[٨]، فكان أهل المدينة يحبونه ويتناقلون حكاياته ويتندرون بها في مجالسهم.

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٠.

(2) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص٧٣٦.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٦٧.

(4) ابن شبة، تاريخ المدينة، ص٣٠٦؛ السمهودي، المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٦٧.

(5) ابن شبة، المصدر نفسه، ص٣٠٦.

(6) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٣.

(7) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٧٧.

(8) الفاكهي، المنتقى في أخبار أم القرى، ص٧ -٨؛ ابن بابة القاشي، رأس مال النديم ص ٣١٢

٣ - الطائف:

والطائف هي المدينة الثالثة في الحجاز من حيث الأهمية، وهي تقع على بعد اثنـــي عــشر فرسخا عن مكة[١]. وتقع على ظهر جبل غزوان[٢] في وادي وج[٣]، وذكر ابن الفقيــه أن الطـــائف تسمى أيضاً وج[٤]، وقد عرفت الطائف ومكة باسم القريتين[٥]. ووصـــفت الطـــائف بأنهـــا مدينـــة صغيرة[٦] متحضرة مياهها عذبة وفواكهها كثيرة وضياعها متصلة وبها تجار مياسير[٧].

ويتسم مناخ الطائف بالبرودة، فيذكر أنه من شدة البرد في كانون الثاني في الطائف يحتـــاج أن يجلس في الشمس[٨]. وليس بالحجاز مكان هو أبرد من رأس جبل غزوان، ووصـــفت الطـــائف بأنها شامية الهواء[٩]. وربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل في الصيف لشدة برودتـــه[١٠]. ولـــيس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع[١١].

وتعتمد الطائف على الزراعة وتربية الماشية[١٢]. ففيما يتعلق بالزراعة في الطائف، فذكرت أنها ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه مثل التين والرمان المشهور بحلاوته[١٣]. وبها مياه جارية وأودية تنصب منها إلى تبالة[١٤]. ولهذا كان فيها تنوع ووفرة فـــي الإنتـــاج الزراعـــي،

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

(2) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

(4) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٧٩

(5) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٠.

(6) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤.

(7) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٥.

(8) خسرو، سفرنامة، ص١٣٧.

(9) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩.

(10) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٤؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤٤.

(11) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٤.

(12) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١؛ ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص٢٨.

(13) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤٦ -٤٧؛ خسرو، سفرنامة، ص١٣٧؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٩.

(14) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٩.

ووصفت بأنها بستان مكة[١]، فقد كانت أكثر فواكه مكة تأتي وتجلب من الطائف[٢] واستثمر أثرياء مكة في الطائف فامتلكوا بها الضياع والمزارع واتخذوها مصيفا لهم إذا اشتد الحر بمكة[٣]. ووصف عنب الطائف بلذته وطيب مذاقه ونكهته[٤]. ويصدر الحجاز الزبيب الطائفي[٥]. كما تنتج الطائف الفواكه[٦] كالعنب والرمان والليمون والتين[٧].

وللطائف أهمية في تجارة الحجاز والجزيرة العربية، ووصفت بأنها ممر للقوافل التجارية والحجيج، وكان فيها سوق محكمة وسويقة صغيرة[٨]. ويربط بين مكة والطائف طريق، وقد جرت عليه توسعة[٩]. وهذه التوسعة تدل على كثرة استخدامه نتيجة ازدهار التجارة بين الطائف ومكة.

وسكنت قبيلة ثقيف في الطائف[١٠]، ولذلك جعلت الطائف من سراة بني ثقيف وهو أدنى السروات إلى مكة[١١]. كما سكنتها بعض بطون القبائل الأخرى مثل حمير وقوم من قريش، كما سكنت بغزوان قبائل هذيل[١٢].

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١.

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩.

[3] المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٧؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤٤-١٤٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

[4] المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٩٧-٩٩؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٩.

[5] المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٩.

[6] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٩٩.

[7] خسرو، سفرنامة، ص١٣٧.

[8] خسرو، المصدر نفسه، ص١٣٧.

[9] ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٩.

[10] ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٩؛ الحازمي، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ص١١؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص١١؛ القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٧٠؛ ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ص٦٥.

[11] ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٢٤٣.

[12] ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

أما عن الصناعات في الطائف، فوصف الأديم الطائفي بأنه أديم مليح ثقيل[1]. وصنعت منه النعال وألبسة القدمين، حيث كان النعل الطائفي يضرب به المثل[2]. فالطائف بلد الدباغ يــدبغ بهــا الأهب الطائفية المعروكة[3].

أما عن الطعام في الطائف، فيوصف طعام أهل الطائف بأنه يشبه طعام أهل مكة[4].

ووصفت الطائف بأنها مصيف، فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: أغبط الناس عيشا عبدي أو مولاي سعد، وكان يلي أمواله بالحجاز ويتربع جدة ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة[5]. وهــذا يــدل على أن من يقضي الصيف في الطائف يكون محظوظا لاعتدال مناخها في الصيف. ويحيط بمدينــة الطائف مجموعة من القرى، وفي كل قرية منها مضافة عامة.

٤ - جدة:

ومن المدن الهامة في الحجاز أيضا مدينة جدة، وهي المدينة الثانية بالحجاز بعد مكــة مــن حيث غنى أهلها وحسن حالهم وبها مراكب كثيرة تبحر للعديد من الجهات[6]. وتتبــع جــدة إداريــا مكة[7]. وسميت جدة بهذا الاسم، من الجدة وهي الطريقة أو الخطة التي في ظهر الحمــار تخــالف سائر لونه[8]. وهذا يدل على تميز جدة جغرافيا عن المناطق المحيطة بها.

وقد وصف أهل جدة بأنهم ذوو أموال واسعة وأحوال حسنة[9]، فسكان جدة أهــل تجــارات ويسار وهي خزانة مكة[10]. ووصفت مدينة جدة بأنها عامرة كثيرة التجــارات والأمــوال، لــيس

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٠، ٢٥.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٥.، الحميري، الروض المعطار، ص٣٧٩.

[3] الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠.

[4] ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٢٥.

[5] ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٢.

[6] الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٣٩.

[7] خسرو، سفرنامة، ص٢٠؛ ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٤٨؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٣٩.

[8] ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١١٤.

[9] السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩-١٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٩.

[10] المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص١٣٩.

بالحجاز بعد مكة أكثر مالا وتجارة منها[١]. كما وصفت بأنها مدينة كبيرة أهلها مياسير ذوو مرابح ظاهرة ولها موسم قليل وقت الحجيج مشهور البركة تنفق فيه البضائع المجلوبة والأمتعة المنتخبة والذخائر النفيسة.

واشتهرت جدة بالتجارة، حيث تحمل الميرة من مصر إلى ساحل مكة وهو جدة[٢]. ترسو سفن الذين يقدمون من جدة إلى سواكن قرب عيذاب[٣]. كما وصفت جدة بأنها ساحل مكة[٤] أو فرضة أهل مكة على مرحلتين منها على شط البحر[٥] أو خزانة مكة[٦]. وهذا يدل على أهمية جدة بالنسبة لتجارة مكة.

كما وصفت بأنها "مدينة على البحر محصنة عامرة وهي خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر وأزقتها مستقيمة ووصفها حسن"[٧]. وأنه "ليس يمكن بها السكون لازدحام الخلق بها في أيام الموسم الحاج لأنه يلتام إليها من جميع أطراف بلاد العالم والربع المسكون والبحر المعمور من ديار مصر والمغرب والهند واليمن"[٨]. وهذا يدل على النشاط التجاري الكبير في جدة.

وسمي بحر القلزم (بحر جدة)[٩]. ووصف مرساها بأنه مليء بالشعاب المرجانية[١٠]. ونتيجة لموقع جدة على البحر، فقد اشتهرت بصيد السمك، حيث يصاد بها السمك الكثير، ومصائد السمك فيها كثيرة[١١].

---

(1) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣.

(2) ابن الفقيه، البلدان، ص١٥٤.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٦.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥٧-٥٨؛ البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٤٥؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٥.

(5) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٢٣؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٥١.

(6) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩.

(7) المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩.

(8) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٥١.

(9) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٤٢.

(10) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٠.

(11) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٥٧.

أما عن سكان جدة، ولكونها مدينة تجارية فيرد أن أكثر أهل جدة في القرن الرابع الهجري من الفرس ويرد أيضاً أن لهم بها قصوراً عجيبة[١]. وكان عمل هؤلاء الفرس بالتجارة[٢]. وأكثر سكانها من الأشراف العلويين الحسنيين والحسينيين والجعفريين. وهم من شظف العيش بحال، ويستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن: من إكراء جمال إن كانت لهم، أو مبيع لبن أو ماء، إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه، وبخارجها مصانع يستقى منها الماء.

وفي أيام ابن جبير تراجع عدد سكان جدة وعادة لتكون قرية، يعمل أهلها في التجارة ولا يعملون بالزراعة[٣].

وكانت جدة موضع جباية المكوس، حيث كان يؤخذ من التجار والحجاج الضرائب[٤].

أما عن مصادر المياه في جدة، فقد كان في جدة صهاريج داخل البلد وصهاريج بظاهرها، فكان إذا وقع الغيث وامتلأت منه الصهاريج التي بظاهر البلد كانت العبيد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور. ومن هذه الصهاريج أبو الطين وعامر والمرياني والحفيرة والنخيلات وصهريج أبي بكر والحجري والصرحي وصهريج السدرة والحوار والفرحي وصهريج يحيى الشريف والودية والمبادر وصهريج البيضة والبركة وصهريج أم ضرار وصهريج بركات وصهريج سليمان العطار والطولاني والعرضاني، وصهريج الأخميمي وصهريج مسجد الأبنوس وصهريج الجامع وصهريج ردرية وصهريج محمد بن القسم[٥]. ومع ذلك فقد كان يحمل الماء إلى أهل جدة من مناطق بعيدة مع أن فيها بركا كثيرة[٦].

ووصفت جدة بأنها متربع، فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: أغبط الناس عيشا عبدي أو مولاي سعد، وكان يلي أمواله بالحجاز ويتربع جدة ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة[٧].

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩.

(2) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣.

(3) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٣.

(4) المقدسي، المصدر نفسه، ص١٠٤؛ خسرو، سفرنامة، ص٢٠؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٤٨.

(5) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص٤٣-٤٥.

(6) المقدسي، المصدر نفسه، ص٧٩.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٢.

٥ - الجار:

ومن المدن الهامة في الحجاز أيضا الجار، مدينة صغيرة[1]، وتقع على شاطئ البحر، وترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر، ومن البحرين والصين. وبها منبر (يدل على أنها بلدة)، وهي كبيرة آهلة وشرب أهلها من عين البحيرة. وبها قصور كثيرة، وبحذائها جزيرة في البحر لا يعبــر إليها إلا في السفن، وهي مرفأ الحبشة خاصة، يقال لها قراف، وسكانها تجار كنحو أهل الجــار[2]. فالجار شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات وتنقسم إلى نصفين نصف في جزيرة قراف من البحر ونصفها على الساحل[3]. وأهلها يأتون بالماء العذب من نحو فرسخين[4].

ووصفت الجار بأنها ساحل المدينة وفرضة المدينة وهي على ثلاث مراحل منها (ثلاثة أيام) على شط البحر، وهي أصغر من جدة[5]، وذكر المقدسي بأن جدة والجار همــا خزانتــا مــصر[6]، وأشار بقية الجغرافيون إلى أن الجار هي خزانة المدينة[7]. وتقع على البحر القلزمي (البحر الأحمر) بينهما[8]. ولهذا سمي البحر الأحمر بحر الجار[9]. ويمتد من جدة إلى قرب مدينة القلزم[10]. وهــي مرسى قريب من جدة ترسي فيه المراكب الواردة من الديار المصرية. ووصف بحرها بأنــه بحــر أسود جيفة وموج هائل تبطل فيه حيلة السابح وهي بين ينبع وجدة[11].

---

(1) خسرو، سفرنامة، ص٨٦.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩ -١٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٣٩؛ ياقوت، معجم البلــدان، ج٤، ص٣١٧

(3) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩ -١٠؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٦. Encyclopedia of Islam, vol. 1, p.1016.

(4) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩ -١٠؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣١٧.

(5) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣.

(6) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٩.

(7) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩؛ خسرو، سفرنامة، ص١٢٠؛ الإدريسي، نزهــة المــشتاق، ج١، ص١٤٤؛ السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩ -١٠؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(8) السلمي، المصدر نفسه، ص٩ -١٠؛ شيخ الربوة، المصدر نفسه، ص٢١٦.

(9) ياقوت، المشترك وضعا المفترق صقعا، ص٩٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٢.

(10) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٣.

(11) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص٣٧١؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٥٠.

وبالجار قصور كثيرة[1]؛ وهي محصنة بثلاثة حيطان والرابع البحري مفوه وبها دور شاهقة وسوق عامرة ويحمل إليهم الماء من بدر والطعام من مصر وليس لجامعهم صحن[2]. والجار فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند[3].

وكانت الجار تتاجر مع مصر وعيذاب التي تقع مقابلها[4]. كما تاجرت مع المدن الواقعة على بحر القلزم، وكانت الرحلة من القلزم إلى الجار تستغرق خمسة عشر يوما[5]. واستفادت البلدة من موقعها على طريق الحجاج إذ كانت من الأماكن الواقعة على طريق الحج، فكان الحجاج عندما يصلون الجار يستأجر كل حاج منهم جملا لنقله إلى مكة[6].

ثانياً: قرى الحجاز:

يدل تعبير قرية على تجمع السكان واستقرارهم حول مصدر ماء واحترافهم للزراعة[7]. وقد أطلق على القرية أيضا كلمة خيف وعين[8]. وأطلقت تسمية القرى العربية على كل قرية في أرض العرب، نحو خيبر، وفدك، والسوارقية[9]. وقد تميز شمال الحجاز بكثرة القرى فيه ومنها تيماء وخيبر وقرى وادي القرى ودومة الجندل وفدك[10].

وكانت القرى في نواحي المدينة ومناطق ما بين الحرمين تعتمد على الزراعة وتربية الماشية[11].

---

(1) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٢-٩٣.

(4) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٤٨.

(5) خسرو، سفرنامة، ص١١٠.

(6) خسرو، المصدر نفسه، ص١١٢.

(7) Encyclopedia of Islam, vol.1, 1action, p. 238-239.

(8) Nasif, Al-Ula, p. 221.

(9) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٥.

(10) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٦.

(11) اليعقوبي، البلدان، ص١٥١؛ ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص٢٨.

١ - خيبر:

وخيبر تقع شمال شرق المدينة مما يلي الشام[1]، وقد اشتهرت بحصونها، فكان فيها حصون ناعم والعموص والوطيح والسلالم والكتيبة[2]. وتتبعها الصهباء من أدنى خيبر[3].

وفي خيبر واديان هما: نطاة[4] والشق، تليهما أرض تسمى السبخة، وبالشق عين تسمى الحمة أو قسمة الملائكة يذهب ثلثا مائها في فلج (نهر) والثلث الآخر في فلج والمسلك واحد، ولا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث، ومن قام في الفلج الذي يأخذ الثلثين ليرد الماء إلى الفلج الآخر غلب الماء وفاض ولم يرجع إلى الفلج الثاني شيء يزيد على الثلث. والعين العظمى بالنطاة تسمى اللحيحة[5].

٢ - تبوك:

وتبوك هي قرية حجازية؛ وتقع بين الحجر وبين أول الشام[6]. وفيها حصن له عين ماء ونخيل وحائط ينسب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - (أي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بناه بعد غزوة تبوك)[7]. ويتبعها ركوبة وهي ثنية صعبة المركب سلكها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك[8]. كما يتبعها المنتفق وهو واد مر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مسيره إلى تبوك، به وشل يروي الراكب والراكبين[9].

---

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨٣

(2) البلاذري، فتوح البلدان ص ٧٦، ٨٣؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٠٩-١٢١٠.

(3) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٥٥.

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٩١.

(5) الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٨.

(6) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص١٤.

(7) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٢؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤.

(8) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٧٠.

(9) البكري، المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٦٦.

٣ - ينبع:

وقد سميت بذلك لكثرة ينابيعها[١]. حيث إن فيها عيونا عذبة المياه غزيرة[٢]. وهـي قريـة كبيرة، وبها تسع وتسعون عينا توصف بالعذوبة والغزارة[٣]. ويجري وادي يليل فيهـا[٤]. وسـمي وادي يليل باسم قرية، وهو قرب وادي الصفراء، من أعمال المدينة، وفيه عين كبيرة تخـرج مـن جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون، وأكثرها ماء وتسمى العين البحيرة[٥] ويجري في رمل لا يستطيعون الزراعة عليها إلا في مواضع يسيرة من أنحاء الرمل، ويصب في البحر عنـد ينبـع[٦]. وفي ينبع نخيل، ويتخذ فيها البقول، والبطيخ[٧].

ووصفت ينبع بأنها قرية كبيرة جليلة حصينة الجدار حسنة الحصن حارة السوق لها بابـان الجامع عند أحدهما[٨]. وهي على ليلة من رضوى وبها منبر وهي قرية كبيرة غناء، وفيها عيـون عذاب غزيرة الماء، وواديها يليل يصب في غيقة[٩]. وقد بنى الفلاحون بيوتهم فيها بين الأشـجار، وسكنها بنو الحسن[١٠] والأنصار وجهينة وليث أيضا[١١].

وتاجرت ينبع مع عيذاب ولهذا أطلق على عيذاب: مرسى ينبع[١٢]. وهي مشهورة بمـسانها وحنائها[١٣]، والمسان هي الحجارة التي تشحذ بها السكاكين وتحـزز المناجـل والأدوات المعدنيـة الأخرى.

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٥٠.

(2) الفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص٤٤٠.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٥٦.

(4) البكري، المصدر نفسه، ج٢، ص٦٥٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٥٠.

(5) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٤٣٩.

(6) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص٤٣٩.

(7) الفيروز آبادي، المصدر نفسه ، ص٤٣٩.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(9) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٨.

(10) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(11) السلمي، المصدر نفسه، ص٨.

(12) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٤٨.

(13) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٨.

٤ - وادي القرى:

ويقع بين تيماء وخيبر[١]. وهو عبارة مجموعة من الشعاب والأودية المنحدرة عن جبال الحجر وحرة العويرض[٢]. واشتهر وادي القرى بسوق القرح[٣]. ووصف وادي القرى بأنه بلد شامي مصري عراقي حجازي وماؤهم ثقيل وتمرهم وسط وهم أكثر الحجاز تجارا وأموالا وخيرات[٤]. ويتلو وادي القرى مكة والمدينة واليمامة في الكبر[٥]. وسمي وادي القرى لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد[٦]. وكان في كل قرية من قرى وادي القرى يشكل منزل الشيخ ديوانا عاما لأهل القرية[٧].

وقد نزل وادي القرى اليهود وقبيلة عذرة واستخرجوا كظائمها وأساحوا عيونها وغرسوا نخلها، فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفا وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل في كل عام ومنعوها لهم على العرب ودفعوا عنها قبائل قضاعة[٨].

٥ - فدك:

وهي قرية حجازية بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة[٩]. وبينها وبين خيبر يومان، وحصنها يقال له الشمروخ، وأكثر أهلها أشجع[١٠]. وقد أرسل أهل فدك إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهي مما لم يوجف

---

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٨.

(2) Nasif, Al-Ula, p. 9-10.

(3) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٢٠-٣٢١.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣-٨٤.

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣١

(6) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣٨.

(7) Nasif, Al-Ula, p. 244.

(8) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣٨.

(9) ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص ٨٣؛ ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٢٣٨.

(10) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠١٥.

عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة للرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة[١].

٦ - **السقيا:**

وهي قرية جامعة من عمل الفرع بطريق الحاج، على يومين من المدينة[٢]. وهي قرية عظيمة قريبة من البحر على مسيرة يوم وليلة من أسافل أودية تهامة[٣]. ومن العرج إلى السقيا سبعة عشر ميلا، ومن السقيا إلى الأبواء تسعة عشر ميلا[٤]. ومن الرويثة إلى السقيا عشرة فراسخ[٥]. وتعرف السقيا بأنها كثيرة الآبار والعيون والبرك[٦].

٧ - **سرغ:**

وسرغ قرية حجازية بوادي تبوك، وهي أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك وهي من منازل حاج الشام، وبينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة، وهي آخر عمل الحجاز الأول[٧]. وكذلك قرية العلا الواقعة على طريق الحاج الشامي[٨].

٨ - **تيماء:**

ومن قرى الحجاز تيماء وهو حصن أعمر من تبوك وهي في شمالي تبوك، وبها نخيل وهي ممتار البادية، وبينها وبين أول الشام ثلاثة أيام[٩]. وهي قديمة واسعة البقعة كثيرة النخل هائلة

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٨.

(2) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٣٤.

(3) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٨.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٥٤.

(5) البكري، المصدر نفسه، ج٢، ص٦٨٦.

(6) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٧٤٣.

(7) ياقوت، المصدر نفسه، ج٢، ص٢١١-٢١٢.

(8) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٣؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٣١.

(9) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٥، وانظر: ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨٣

البساتين غزيرة الماء وهي في سهلة إلا إن أكثرها خرابات وكل تمورها جيدة[١]. ويتبعها حصن الأبلق الفرد هو حصن السموأل بن عادياء اليهودي مشرف عليها[٢].

ومن القرى الحجازية تلك القرى التي كانت تقام بها الأسواق ومن أشهرها حباشة، وعكاظ، ومجنة، وذو المجاز[٣]. فحباشة هي سوق الأزد وهي في دار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي وذلك من ناحية اليمن وهي من مكة على ست ليال[٤]. وقد ارتبطت بعض أسواق هذه القرى بموسم الحج، فكانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج[٥]. وكانت هذه الأسواق لقريش والعرب وأعظمها عكاظ[٦].

وبقيت الأسواق بعكاظ ومجنة وذي المجاز قائمة في الإسلام فأما عكاظ فإنما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الإباضي في سنة تسع وعشرين ومئة، وخاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة[٧].

٩ -عكاظ:

وتقع عكاظ بين نخلة والطائف[٨]. وهي نخل في واد، بينه وبين الطائف ليلة أو عشرة أميال، وبينه وبين مكة ثلاث ليال. وبه كانت تقوم سوق العرب بالأثيداء، وهو أعظم أسواق قريش والعرب[٩]. وهي إلى بلد يقال له العتق كانت سوقه[١٠].وهي وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٥٢-٣٥٣.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٦٧.

(3) الجاحظ، البلدان ص ٤٧٠، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩٢.

(4) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩١.

(5) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٢؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٨٧-١٨٨؛ الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص٥٩، ١٥٤؛ المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٦٥.

(6) ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٢؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣١-٣٢.

(7) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩٠.

(8) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢؛ الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص١٥٤؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣١-٣٢.

(9) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٣١-٣٢؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٥٩.

(10) الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص١٥٤؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٥٩؛ ابن بابة القاشي، رأس مال النديم، ص ٤٣

صنعاء في عمل الطائف على بريد منها وهي سوق لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنصر[١]. واسم عكاظ مشتق من العكظ وهو القهر بالحجة لأنهم كانوا يتعاكظون هناك بالفخر[٢]. وبها أموال ونخل لثقيف[٣]. وهي في وسط أرض قيس عيلان[٤] لبني نصر منهم فلهم فيها نخل وأموال[٥]. وكان يحضر سوق عكاظ تجار من مصر والشام والعراق[٦]، ويقيمون هناك أياما طويلة[٧]، ولما دخلت سنة خمسة وثلاثين من عام الفيل وذلك قبل المبعث بخمس سنين حضر سوق عكاظ من نزار واليمن ما لم يروا مثله في سائر السنين[٨].

كان سوق عكاظ مجمعا تجاريا وثقافيا حرا لا يؤخذ ممن يدخله ضرائب[٩]. وكان سوقا هاما لتجارة قريش فعندما طرد عبد الله بن جدعان مئة ناقة من كلاب بن ربيعة من قبيلة هوازن، قال كلاب بن ربيعة لقريش: إن سفيهكم أغار علينا فطرد لنا مئة ناقة فليس لكم أن تشهدوا سوق عكاظ ولي لديكم وبرة. فقال عبد الله بن جدعان: إن قريشا ائتمرت بقتلي لئلا أجني عليها الجرائر، فيطلبون بسببي وهم تجار لا يستغنون عن بلد[١٠].

ونسب الأديم العكاظي إلى عكاظ وهو مما يحمل إليها فيباع فيها[١١]. ويباع في عكاظ أيضا زبيب الطائف. كما يباع فيها الإبل والبقر والبضائع المتنوعة من أمتعة مصر والشام والعراق[١٢].

---

(1) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩٠.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٠٥؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٩٦٠

(3) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٥٩.

(4) الهمداني، الإكليل، ج٨، ص١٨٤.

(5) البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٥٩، ٩٦٢.

(6) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٦٥.

(7) الجاحظ، البلدان، ص ٤٧٠

(8) المرزوقي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٨.

(9) Naimat, Mecca Trade, p. 124.

(10) الهمداني، الإكليل، ج٨، ص١٨٤.

(11) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢.

(12) المرزوقي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٨.

١٠ - مجنة:

ومجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها وهي سوق لكنانة وأرضها من أرض كنانة[١]، بمر الظهران[٢]. وهي إلى جبل يقال له الأصفر[٣]. وهو بأسفل مكة على بريد (ثلاثة أميال) منها[٤].

١١ - ذو المجاز:

وذو المجاز هو ماء من أصل كبكب، وهو لهذيل، خلف عرفة[٥]، عن يمين الموقف منهاة على فرسخ منها[٦]، وهي ثريبة من عكاظ وفيها كان يقام سوق كبير من أسواق العرب[٧].

١٢ - دومة الجندل:

وتقع بين برك الغماد ومكة، وذلك بين الحجاز والشام[٨]. وكانت تقام فيها أول أسواق العرب. وكانت تحضره تجار قريش دون أن تتخفر (تحتمي) بأحد نتيجة لحلفها مع مضر والقبائل المتحالفة معها وبسبب مكانتها الدينية، وكانت مضر تقول في ذلك: "قضت قريش مذمة ما أورثنا إسماعيل من الدين"[٩].

١٣ - الروحاء:

والروحاء منزل بين مكة والمدينة فيها سوق صغيرة تباع فيها الشواهين والصقورة[١٠].

---

(1) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٠٥.

(2) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣١-٣٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢؛ الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص١٥٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٢٣.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١١٨٧؛ الزمخشري، المصدر نفسه، ص٥٩.

(4) الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص٥٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٢٣.

(5) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣١-٣٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢؛ الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص١٥٤؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩١.

(6) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٠٥.

(7) ابن بابة القاشي، رأس مال النديم ص ٤٨

(8) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨٣؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٦٤-٥٦٥.

(9) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٦١ــ ١٦٢، وانظر: ابن بابة القاشي، المصدر نفسه، ص٤٤

(10) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٧٨.

١٤ - فيد:

ومن قرى الحجاز فيد وتقع على طريق الحاج العراقي [١]. وفيها يودع الحاج أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ووهبوا لمن أودعوها شيئا من ذلك، وهم مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طوال العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم[٢].

١٥ - قرية العشيرة:

وهي من منازل الحج، وقد وصفت بأنها ليس لخانها نظير[٣].

١٦ - قرية الرس:

وهي من أودية القبلية[٤].

١٧ - الخوار:

وهي قرية في وادي ستارة من نواحي مكة قرب بزرة، فيها مياه ونخيل[٥].

١٨ - تبالة:

وهي بلدة من أرض تهامة في طريق اليمن[٦].

١٩ - خليص:

وكانت البيوت فيها تقام على التلال، وهي بيوت طينية منخفضة السقوف. وقرية كتنة، وقد بنى الفلاحون بيوتهم فيها على الأماكن الجرداء[٧].

---

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٣؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٣١.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢؛ ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص١٩٢.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤.

(5) ياقوت، المصدر نفسه ، ج٢، ص٣٩٤.

(6) ياقوت، المصدر نفسه ، ج٢، ص٩.

(7) Encyclopedia of Islam, vol. 4, p. 160.

٢٠ - قرى وادي المحرم:

بنى الفلاحون بيوتهم فيها بين الأشجار. وقرية حوس كانت البيوت فيها بيوت طينية منخفضة السقوف. وقرية رنية، وكانت البيوت فيها بيوت طينية من طبقتين. وقرية بدر من القرى الحجازية، وتقع على بعد ستة عشر ميلا من الجار. وكانت ميرة بدر من الجار[١].

٢١ - قرية الطرف:

ويكتنفها ثلاثة جبال، في أحدها آبار ليس بها ماء ينتفع به وهناك ماء سماء أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بسده، وماء سماء لا ينقطع لكثرة ما يجتمع فيه، وهناك قناة لنقل الماء[٢].

٢٢ - قرية السوارقية: فيها سوق يأتيها التجار من الأقطار[٣].

٢٣ - قرية الجحفة:

وهي قرية جامعة بها منبر على الطريق من المدينة إلى مكة، سميت بذلك لأن السيول اجتحفتها وهي مهل أهل الشام[٤].

٢٤ - قرية الفرع: وهي من أعمال المدينة الواسعة[٥].

٢٥ - قرية الصفراء:

وكان بعض الفلاحين الميسورين يوفرون لبيوتهم الوقاية من الرياح والغبار بجدار من أشجار النخيل[٦].

٢٦ - قرية الحجر: وهي قرية صغيرة قليلة السكان[٧].

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٣١، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٤.

(2) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٥٣-٥٤.

(3) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١٢٣٨.

(4) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٣٦٧-٣٦٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١١١.

(5) ابن الفقيه، كتاب البلدان ص ٨٤؛ البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٢٠.

(6) Encyclopedia of Islam, vol. 3, 1action, p. 83, 88.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢١.

الخاتمة والنتائج

الخاتمة والنتائج:

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، ومن أهمها:

- لم تستطع الدراسة رسم حدود إقليم الحجاز وتبيان حدوده من الجهات الأربعة، خصوصاً مع الاختلاف الكبير الحاصل بين الجغرافيين في تعيين حدوده والنواحي التابعة له، بالاعتماد على كتب الجغرافيين والتي تميزت بكمية فريدة من المعلومات التي لم ترد في كتب التاريخ.

- اهتم الجغرافيون في الحجاز نظراً للأهمية الدينية التي يحظى بها، لذلك ألفوا الكتب العديدة إلا أن معظم هذه الكتب لم يصلنا، حيث أن الحجاز من أوائل الأقطار الإسلامية التي اهتمت بكتب السير والمغازي حيث أن هناك اتصال وثيق بين القبائل الشامية وقبائل شمال الحجاز.

- بينت الدراسة أهمية الحجاز في النواحي الاقتصادية من خلال بيان الثروة الزراعية التي احتوى عليها، من الأشجار والزراعة الحقلية والثروة الحيوانية، وأن هناك واحات مشهورة بالحجاز إلا أن الاعتماد كان على الموارد الخارجية مما شجع حركة التجارة لاسيما في مواسم الحج.

- تعرضت الدراسة لأبرز الصناعات والحرف والمهن التي كانت تقام فيه، وشكلت مصدر دخل للحجازيين، مع إظهار العوامل التي ساعدت على نمو هذه الصناعة وتطورها، فالطائف المشهورة بالدباغة ساعدها على ذلك توفر الأديم الذي يدبغ به.

- وظهر أن أهم نشاط اقتصادي في الحجاز هو التجارة، وسبب ذلك كثرة الزائرين له فيحملون معهم بعض البضائع، ويشترون منه أخرى، إضافة إلى موقعه الجغرافي على البحر الأحمر، ومرور الطرق التجارية من خلال مدنه وقراه.

- كما أظهرت الدراسة مقدار الحركة العلمية والفكرية في الحجاز، وأشارت على أهم المعارف والعلوم التي لاقت العناية من علماء الحجاز، مع ذكر المشهورين في كل فن.

- أظهرت الدراسة جانباً من المراكز الحضارية في إقليم الحجاز، وعدد المدن الرئيسية والقرى والمواضع التي أوردتها المصادر الجغرافية خلال فترة الدراسة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصادر

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل (ت٦٥٠هـ/١٢٥٢م)، الأزمنة والأنواء، تحقيق عزة حسن، دمشق، ١٩٦٤م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسين (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، إيطاليا، ١٩٧٠م - ١٩٧٧م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٣٣هـ/٨٤٧م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط٨، تحقيق رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

الإسكندري، أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن (ت٥٦١هـ/١١٦٥م)، الأمكنة والجبال والمياه والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، ط١، أعده للنشر حمد الجاسر، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي أبو إسحق (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، بلاد العرب، ط١، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، الأغاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي الباهلي (ت٢١٦هـ/٨٣١م)، الأصمعيات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد، كتاب البئر، تحقيق رمضان عبد التواب، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٢.

ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م.

ابن بابة القاشي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٥١٠هـ/ ١١١٦م)، رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط٢، تحقيق علي المنتصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة العروبة، مصر، ١٣٨١هـ.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، حققه وقدم له أدريان فان لينوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م.

__________، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربية ودار المعارف، ١٩٥٩م.

__________، فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

التجيبي، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي الحسيني (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ابن تغري بردي، يوسف جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

التلمساني، محمد بن أبي بكر (ق٤هـ/ ١٠م)، وصف مَكَّة شرَّفها الله وعظمها، ووصف المدينة الطيبة كرَّمها الله، ووصف البيت المقدس المبارك وما حوله [تحقيق] حمد الجاسر، مجلة العرب، السنة الثامنة، ج ٥ ٦، (١٩٧٤م)، ص ٣٢٤ ــ ٣٥٧.

التنوخي، الحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ٥مج، بيروت، ١٩٧١.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، الإمتاع والمؤانسة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م.

التيفاشي، أحمد بن يوسف بن أحمد، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، كتاب البلدان. تحقيق صالح أحمد العلي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠م. (مستلة من مجلة كلية الآداب)

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٧هـ/١٥٧٠م)، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

ابن الجواليقي، موهوب بن أحمد البغدادي (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، شرح أدب الكاتب، ط١، تحقيق طيبة حمد بودي، جامعة الكويت، الكويت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، صفة الصفوة، ط٣، حققه وعلق عليه محمود فاخوري، خرج أحاديثه محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

____________، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى الهمذاني (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٩٤م.

____________، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م..

ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتينر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، لسان الميزان، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢م.

الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٩م.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.

الحلي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، وصالح درادكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت.

ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الخزاعي، علي بن ذي الوزارتين محمد بن أحمد بن موسى (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

خسرو، ناصر، سفرنامة (ت٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

الخطيب، أحمد بن علي البغدادي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ط١، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع، تحقيق عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٣م.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (تحقيق) بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

__________، سير أعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

__________، طبقات الحفاظ، دمشق، ١٩٢٨م.

__________، العبر في خبر من غبر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٠م.

الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١م.

ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م.

الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، بغداد.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

ابن سعيد الأندلسي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

السلمي، عرام بن الأصبغ (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ط١، تحقيق عبد السلام هارون، عني بنشره يوسف زينل ومحمد نصيف، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

السمهودي، علي بن أحمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط٤، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر المصري (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٠م.

ابن شاكر، صلاح الدين محمد الكتبي الدمشقي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن شبة، أبو زيد عمر البصري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الأنصاري شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطرسبورغ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م.

الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، طبقات الفقهاء، حققه وقدم له إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٧٠م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ط٢، دار طلاس للدراسات، دمشق، ١٩٩٦م.

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ،٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

الفاسي، محمد بن أحمد الحسني المكي تقي الدين (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

__________، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ط١، تحقيق وتعليق ودراسة محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس (ت بعد ٢٧٢هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، (٦ج) دار خضر، بيروت، ١٩٩٤م

ــــــــــــــ، المنتقى في أخبار أم القرى، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان، باريس، ١٨٤٠م.

الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠م.

ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى شهاب الدين (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني (ت٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.

ابن فهد، جارالله محمد بن عبد العزيز بن عمر (ت ٩٥٤هـ)، حسن القرى في ذكر أودية أم القرى، مجلة العرب، السنة ١٨، ج١، ٢، (رجب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

ــــــــــــــ، المغانم المطابة في معالم طابة، ط١، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الأنواء في مواسم العرب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد، الدكن، ١٩٥٦م.

قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن جعفر بن زياد البغدادي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد، ١٩٨١م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٣٥٧م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٢٨٠هـ/١٩٦٠م.

القزويني، عبد الكريم محمد الرافعي (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، التدوين في أخبار قزوين، ضبط نصوصه وحقق متنه عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

قطرب، أبو علي محمد بن المستنير (ت٢٠٦هـ/٨٣١م)، الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق حنا جميل مراد، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.

__________، تاريخ الحكماء، جامعة طهران، طهران، ١٩٦٧م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ/٨٢٩م)، الأصنام، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، ١٩٦٥م.

__________، المثالب، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى عقلة، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١١م.

ابن ماجد، أحمد بن ماجد بن السعدي شهاب الدين (ت٩١٣هـ/١٥٠٦م)، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

ابن المجاور، يوسف بن يعقوب الدمشقي، جمال الدين (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة (تأريخ المستبصر)، ط٢، اعتنى بتصحيحها أوسكر لوففرين، منشورات المدينة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

مجهول (مؤلف من أهل القرن الرابع الهجري، كتبه سنة ٣٧٢هـ): حدود العالم من المشرق إلى المغرب. (طبعة مزيدة ومنقحة)، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، الأزمنة والأمكنة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٣٢هـ.

المسعوديّ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران [تقديم] عبد الله الصاوي. ط ٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٨م.

__________، التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوي، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

__________، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

المقدسي، محمد بن أحمد شمس الدين أبو عبد الله (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ابن النجار، مجد الدين أبو عبد الله محمد بن محمود (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠١م.

النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، كتاب الفهرست، (تحقيق) أيمن فؤاد سيد، ٤ ق في ٢مج، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م.

النعمان بن بشير الأنصاري (ت٦٤هـ/٦٨٣م)، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق يحيى الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

الهجري، أبو علي هارون بن زكريا (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م.

__________، التعليقات والنوادر، ط٢، دراسة وتحقيق حمود عبد الأمير الحمادي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت٢١٨هـ/٨٣٣م)، السيرة النبوية، ط٢، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب أبو محمد (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، نسخه وحققه وعلق عليه محمد بن علي بن حسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

__________، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين: الصفراء والبيضاء، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، ١٩٨٧م

__________، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٣٢م)، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٦م.

ياقوت، ابن عبد الله الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، تحقيق يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب حمران، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠١م.

__________، المشترك وضعا المفترق صقعا، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

__________، معجم الأدباء أو: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م.

__________، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، ط١، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٩٢هـ.

المراجع

أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، (د.ت)

الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٧١م.

__________، في شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م.

خريسات، محمد عبد القادر، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، عمان، ٢٠٠٥م.

__________، العصبية القبلية في صدر الإسلام، مؤسسة حمادة، إربد، ٢٠٠٥م.

خريسات، محمد، وحسن محمد النابودة، صاحب الخبر في الدولة الإسلامية، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين (الإمارات العربية المتحدة)، ٢٠٠٣م.

دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام، دار الفكر.

درادكة، صالح، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية، ط١، المطابع العسكرية، عمان، ١٩٩٧م.

الشريف، أحمد إبراهيم، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

الصمد، واضح، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م.

العلي، صالح أحمد، الحجاز في صدر الإسلام: دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠م.

الغنيم، عبد الله يوسف، جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري، ذات السلاسلا للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٧٧م.

مالكي، سليمان عبد الغني، مرافق الحج والخدمات الدينية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٧م.

محمدين، محمد محمود، التراث الجغرافي الإسلامي، ط٣، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.

مدني، أمين، التاريخ العربي وبدايته، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

__________، التاريخ العربي ومصادره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

المراجع الأجنبية المترجمة:

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

روزنثال، فرانز، علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

فازيليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.

كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي. (٢مج) [ترجمة] صلاح الدين عثمان، القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٦٣م.

نفيس أحمد، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي، (ترجمة) فتحي عثمان، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٩٧٨م.

هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

المراجع الأجنبية

Doe, B., Southern Arabia, Thomas and Hadson, London, 1971.

Doughty, Charles, Travels in Arabia Desert, Cape, London, 1926.

Encyclopedia Britannica, vol.15,2action.

Encyclopedia of Islam, vol. 4, 2action.

Husaini, S. A. Q., Arab Administration, fifth edition, Lahore, Pakistan, 1966.

Lewis, Bernard, The Arabs in History, fourth edition, London, 1966.

Muir, Sir William, The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall, Khayats Beirut, 1963.

Naimat, S. S., Mecca Trade Prior to the Rise of Islam, The University of Durham, 1991.

Nasif, Abdallah Adam, Al-Ula: a Historical Archaeological Survey with Special Reference to Its Irrigation System, King Saud University Press, 1988.

Nicholson, Reynold, A., A literary History of the Arabs, London, 1966.

Al-Rashid, Saad A., Darb Zubayda, Riyad University Libraries, Riyad, 1980.

Smith, Robertson, Kinship and Marriage in Early Arabia, London, 1907.

Saunders, J. J., A history of Medieval Islam, London, 1966.

Watson, A., Agricultural Innovation in Early of Islam, Cambridge University Press, London, 1983.

Wilkinson, J. C., Water and Tribal Settlement in South East Arabia, Oxford, 1977.

الرسائل الجامعية

أبو سنينة، زياد سلمان نعمان، بنو تميم في الجاهلية وصدر الإسلام حتى مطلع العصر الأموي، رسالة جامعية غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٠م.

أبو الغنم، أسامة خالد محمد، الفكر الوثني والمؤسسات الوثنية في الحجاز قبيل الإسلام، رسالة جامعية غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١١م.

موسى، محمود سعيد، الحياة الزراعية في الحجاز في القرن الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٦.

الدوريات

البدلي، أحمد خالد، جزيرة العرب كما رآها الرحالة ناصر خسرو القباديانى، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد السادس، ١٩٧٩م، ص ٣ ــ ٥ ١٩٧٩م، ص ٣ ــ ٥٤

بشير، بشير إبراهيم، ابن المجاور: دراسة تقويمية لكتابه تاريخ المستبصر، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ٢.

بوروبية، رشيد، مسجد المدينة في حدائق الكتب الثمينة، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١.

البياتي، عادل جاسم، نصوص التلبية قبل الإسلام ومضات من وحدة الفكر والمصير، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ع١، ١٩٨٢م.

الجاسر، حمد، القطائع النبوية، مجلة العرب، س٨، ع١، ١٩٨٣م.

__________، مر الظهران (وادي فاطمة)، مجلة العرب، س٧، ١٩٧٣م، ع١٠، ص٧٣٨-٧٥١، ع١١، ص٨١٦-٨٢٨، ع١٢، ص٩٣٦-٩٤٦، س٨، ١٩٧٣م، ع١، ص٣٥-٤٨.

خريسات، محمد عبد القادر، القطائع في العصر الأموي، مجلة دراسات، مج١٦، ع٣، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٩م.

شلتوت، فهيم، تاريخ المدينة المنورة تأليف عمر بن شبة النميري، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ٢، ص ٣ ــ ٨

طرخان، إبراهيم علي، الجزيرة العربية في كتب السير والتراجم مع دراسة تحليلية لكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد وأهميته مصدراً لتاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١، ص ١٦٢ ــ ١٦٤

العلي، صالح أحمد، العلي، تحديد الحجاز عند المتقدمين، مجلة العرب، السنة الثالثة، الجزء الأول (رجب ١٣٨٨هــ/ تشرين الأول ١٩٦٨م). ص ١ــ ١٠

ـــــــــــــ، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ١١، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤م، ص ١١٨ ــ ١٥٧

العمري، ليلى توفيق، التلبية عند عرب الجاهلية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع٢، ٢٠٠٢م.

عياش، سعيد، مدينة جرش الأثرية، مجلة العرب، س٦، ع٤، ١٩٧١م.

فراج بن شافي، حول مقال كتنة والهجيرة، مجلة العرب، س١٨، ع٨، ١٩٨٣م.

الفقيه، حسن إبراهيم، مدينة السرين الأثرية، مجلة العرب، س١٧، ع٦، ١٩٨٣م.

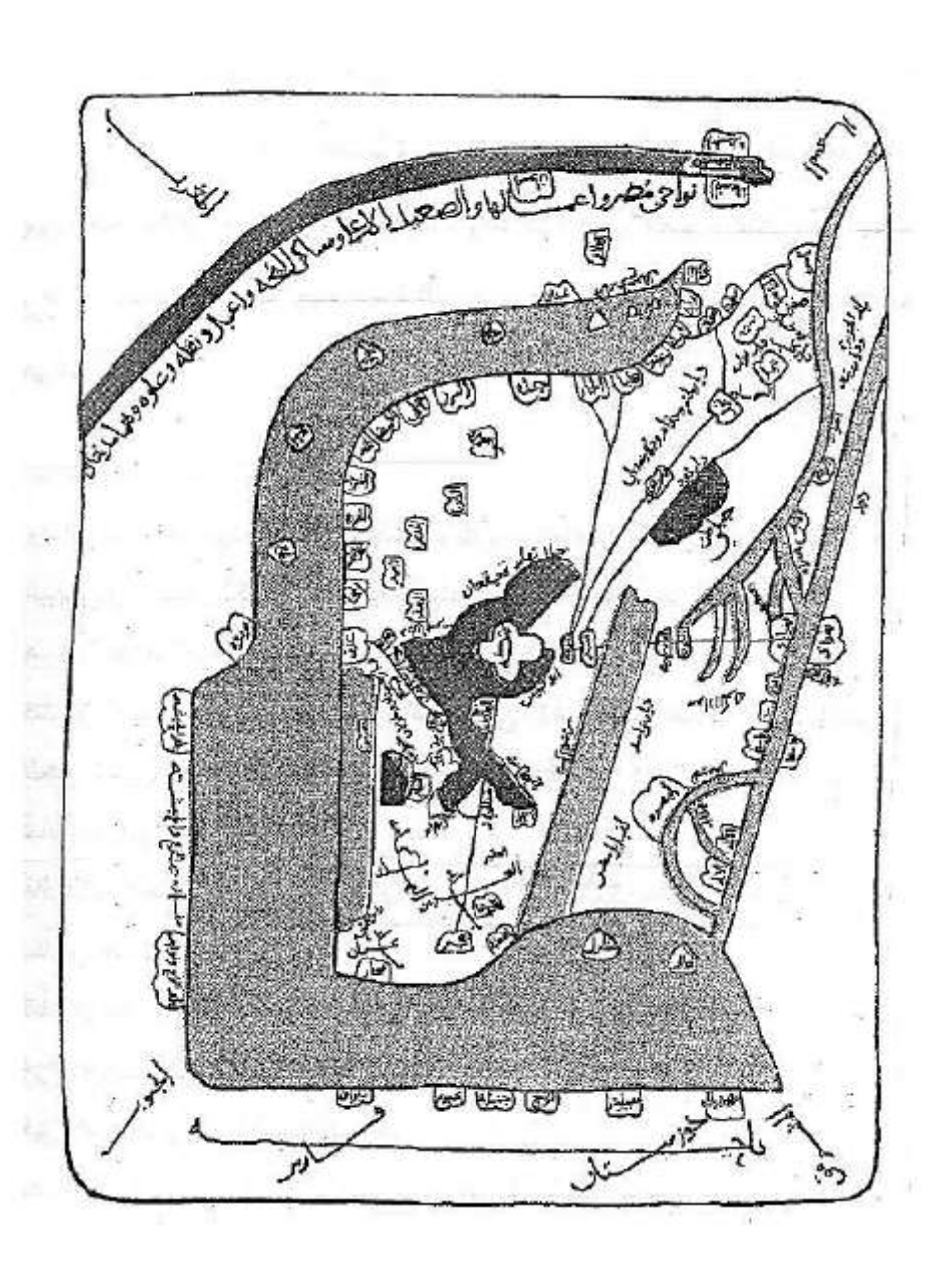
كمال، محمد سعيد، قبائل الطائف، مجلة العرب، س٢، ع٣، ١٩٦٧م.

مختار، محمد علي، الأزرقي المؤرخ من خلال رواياته، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٩م، مج ١، ص ١٩٩ ــ ٢٢٧.

الملاحق

ملحق رقم (١)

خريطة ابن حوقل لجزيرة العرب وبضمنها الحجاز



المصدر صورة الأرض، ص ٢٠

ملحق رقم (٢)

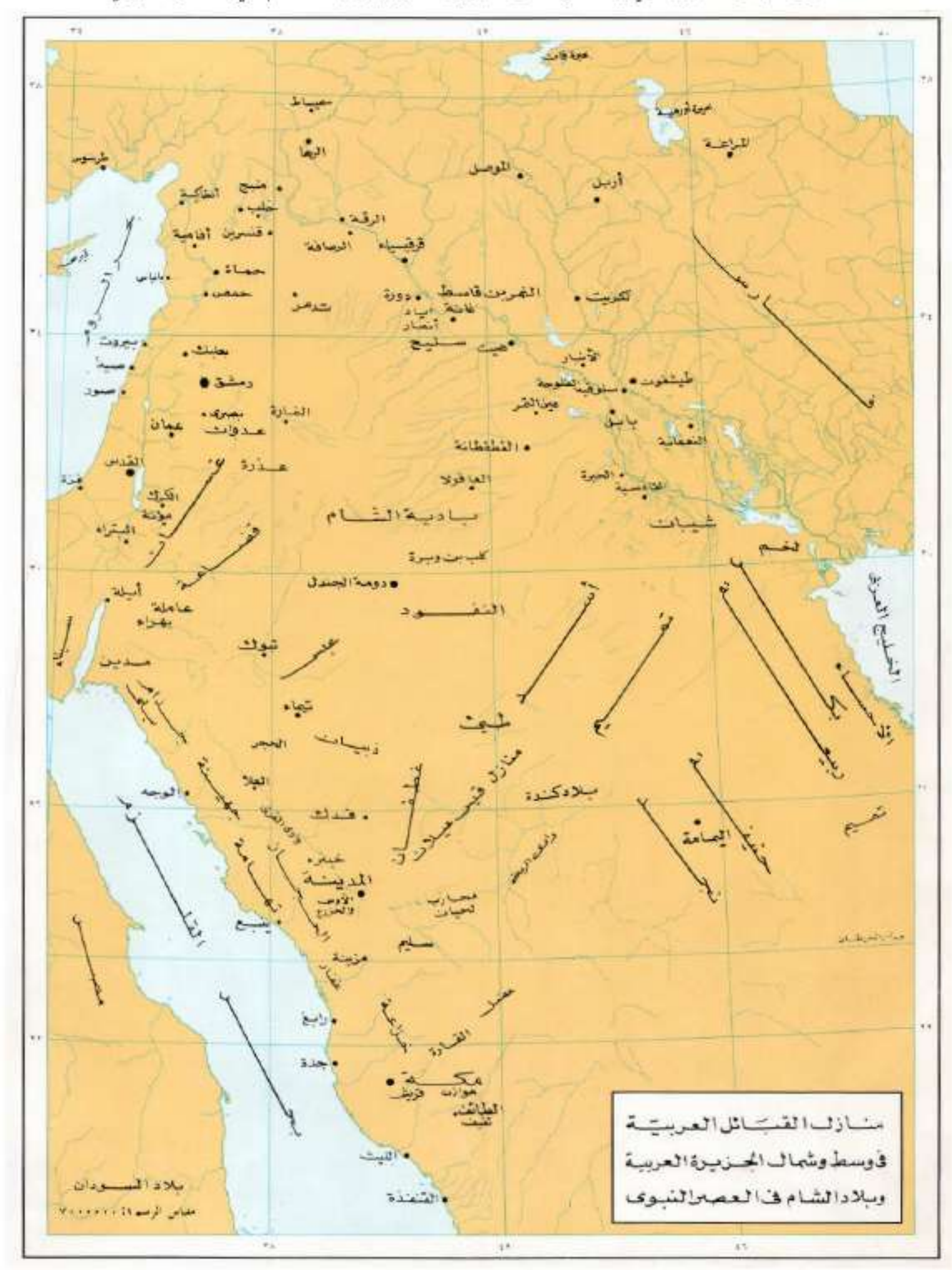
الأعلام الجغرافية ومنازل أهم القبائل في الحجاز وشمال وسط الجزيرة خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى



المصدر: أطلس تاريخ الإسلام، ص٥٦.

ملحق رقم (٣)

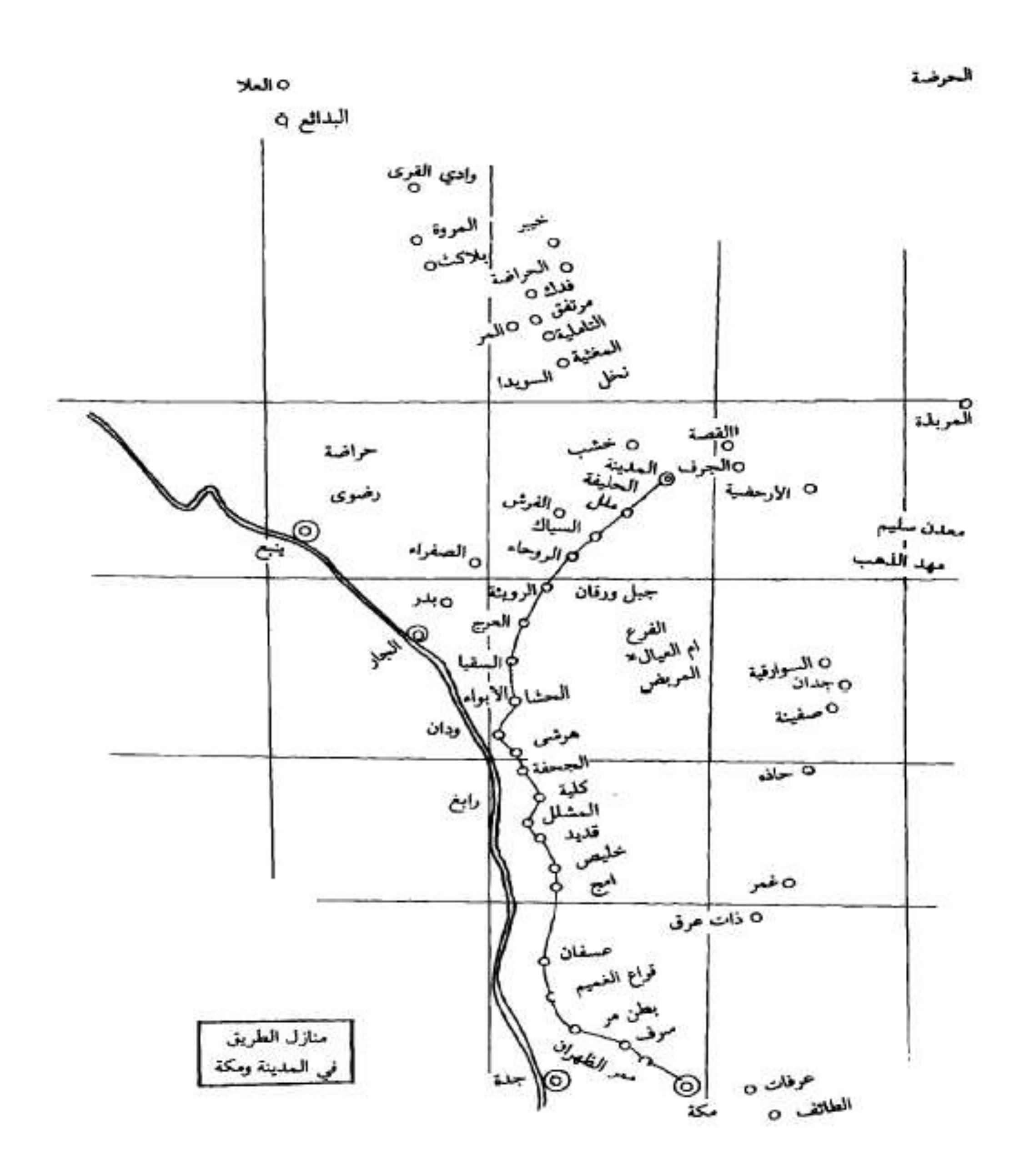
منازل القبائل العربية في وسط وشمال الجزيرة العربية وبلاد الشام في العصر النبوي



المصدر: أطلس تاريخ الإسلام، ص٥٧.

ملحق رقم (٤)

طرق المواصلات التي كانت تنظم وحدات الحجاز



المصدر: العلي، أحمد صالح، الحجاز في صدر الإسلام ؛ دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، ط(١)، مؤسسة الرسالة، الرياض، ١٤١٠هـ

AL-HIJAZ IN GEOGRAPHY RESOURCES UNTIL THE END OF THE FOURTH CENTURY A.H/TENTH A.D

By

Sultanah Mallah Mouish Al-Rowaily

Supervisor

Prof.Dr. Mohammad Abdulqader Khreisat

ABSTRACT

The study talked about the province of Al Hijaz , which represents one of the parts of the Arabian Peninsula that has received considerable attention by Arab geographers and Muslims, who wrote books and letters on that subject , examined its places and the roads leading to it from the four corners . The study also mentioned the features distinguishing that province from other regions, because people need to know about that place as all Muslims desire to visit it in order to perform the Hajj or minor pilgrimage , visit religious monuments, or meet with scholars and narrators to take from them , particularly in the first four centuries of the Islamic history.

The study aims to identify the province of Hejaz and determine its geographical borders, illustrate the administrative framework, towns and villages annexed to it, highlight its status in the eyes of Muslims.

The study also tackled the social life, mentioned the tribes settled in it, and highlighted the components of its Economy: agricultural, industrial and commercial, and showed how the province of Al Hijaz had been in terms of cultural, scientific and constructional aspects and the evolution of such aspects during the study period.

To achieve this, the researcher traced the geographic testimonies about these aspects stated by the historical sources, and collected stories and information from the primary sources, then she proceeded with the study of the texts and information, and presented analysis and criticism to draw the picture of the province in that era.

The study found a number of results, most notably that it was able to demarcate the region, especially with the presence of the huge difference between the Arab and Muslim geographers regarding its borders to the north, east and south, and the differences in opinion concerning the subordinate regions.

The study examined the geographic writings about Al Hijaz until the fourth century AH, and included the names of geographers from the Arabs and Muslims who have written about Al Hijaz, such as men of literature and language, historians, books of classes, books of genealogy and biographies , and books of Maghazi and Yosor .

The study showed the importance of Al Hijaz in economic terms through the statement of the agricultural resources it contains, and the grown trees, agriculture field and livestock, and industries that were held in it.

The study showed that the most important economic activity in Al Hijaz is trade-related to Hajj and minor pilgrimage, and the reason for this is the large number of visitors who bring some goods, and buy other goods, in addition to its geographical location on the Red Sea, and the passage of trade routes through its towns and villages.

The study also showed the social and intellectual life in that time, it studied the tribes settled in the province of Al Hejaz before and after Islam, and their social class's habitats, religious life, knowledge, and science and scientists.

The study examined the most important urban centers in Al Hijaz in that period, it demonstrated the most important cities, villages and urban center of Hijaz, which were renowned and famous during the first four centuries of the Islamic State, with an indication of its most important features as mentioned in the books of Arab and Muslim geographers and travelers , and the books of history.